المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا

مقتضيات توحيد الربوبية العملية
من خلال آيات القران الكريم

رسالة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالبة
رحمه بنت عمر أحمد فلاته

إشراف الدكتورة
ابتسام بنت أحمد جمال

1439هـ - 2018م


بسم الله الرحمن الرحيم

صفحة الإجازة

إجازة الرسالة العلمية

اسم الطالب: المرحلة:

عنوان البحث:

المشرف على البحث

الاســـم :

التـوقـيـع :

أعضاء لجنة المناقشة

١. الاســـم :

التوقيـــــع :

٢. الاســـم :

التوقيـــــع :

تاريخ المناقشة يوم / / ١٤ هـ الموافق : / / ٢٠ م

الإهـــــــداء

إلى فقيدي الغالي رحمة الله عليه

(والدي العزيز)

إلى من بـها أكبر وعليها أعتـمد وبدعواتها وصلت إلى القــلب الحنون

(والدتي الحبيبة)

إلى من بذلوا جهداً في مساعدتي وكانوا خيرا سنداً

(إخواني وأخواتي)

إلى والدتي الثانية وأمي في جامعة أم القرى

(د.ابتسام جمال)

إلى أسرتي إلى صديقاتي وزميلاتي ....

إلى كل من دعا لي وتمنى لي التوفيق في حياتي ومسيرتي العلمية.....

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل، الذي أسال الله تعالى أن يتقبله خالصاً....

الباحثة

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل والفضل الكبير لله وحده لا شريك له فله الحمد أولا وآخرا .

ثم أثنّي الفضل والشكر العظيم لوالدتي على ما بذلت وتعبت وسهلت ويسرت السبل التي تعينني على بذل الجهد والتفرغ للبحث

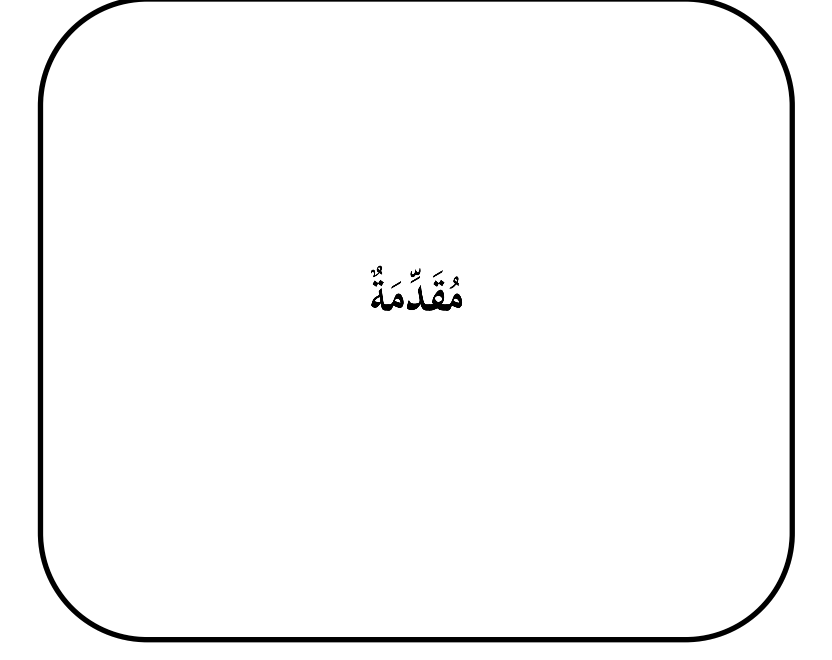
ثم والدي رحمة الله عليه الذي لطالما تمنى بلوغ هذا اليوم

ثم والدتي التي لم تلدني والتي ما افتخرت بوجودي في جامعة أم القرى إلا وكان بمعرفتي لها نصيب من الفخر ، والتي لن أوفيها حقها فيما ما بذلت من اجلي ولن أملك إلا أن يجزيها الله عني خير الجزاء ويطيل عمرها في طاعته (د.ابتسام جمال)

ثم إخواني وأخواتي الذين ساندوني ووقفوا معي بما يستطيعون ، وزوجي الذي أدلى بدلوه وبذل من وقته وماله الكثير

ثم صديقاتي ومعارفي وأستاذاتي الفاضلات وكل من ساعدني باستشارة أو دعوة أو إعارة كتاب

فأرجو من الله أن يجزي الجميع كل خير ويثيبهم الأجر العظيم .


مُقَدِّمَةٌ

المقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، ورضي لنا الإسلام دينا .
وصلى الله على رسوله النبي الأمي ، الذي أرسله ربه شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، فهدى الله به من الضلالة ، وأرشد به من الغواية ، وأنقذ به الناس من الظلمات إلى النور ، وفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا .

يقول العماد الأصفهاني : ((إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)) ."[1]"

ثم أما بعد ...
فإن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .
يقول الله تعالى في أول أمر بالعبادة "[2]" في كتابه : **﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾** [البقرة 21]

فإن توحيد الله تعالى هو غاية هذه الحياة ، وهو النهج الذي يسير عليه كل هذا الكون ، وتوحيد الله عز وجل هو حقه على العبيد ، وإنه لا هناء للإنسان ولا سعادة ، ولا عزة ولا كرامة ، إلا بتوحيد الله سبحانه ، ونبذ كل ماسواه حتى يلقاه الله تعالى يوم القيامة بقلب سليم .
والتوحيد هو الأصل الذي بنيت عليه الملة الحنيفية ؛ فالاهتمام به اهتمام بالأصل ، وإذا تدبرنا القرآن الكريم وجدنا أنه بيَّن التوحيد تبيانًا كاملاً، حتى إنه لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن إلا وفيها تناول للتوحيد، وبيان له ونهى عن ضده ، وأول سورة من سور القران اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة

---

[1] - انتشرت هذه العبارة بين الناس منسوبة للعماد الأصفهاني والصواب أنها للقاضي عبد الرحيم البيساني الملقب باستاذ البلغاء من رسالة بعثها للأصفهاني يعتذر إليه من كلام استدركه عليه . انظر كشف الظنون لحاجي خليفة 14/1 ، أبجد العلوم لصديق خان ص52
[2] - أول أمر بالعبادة حسب ترتيب المصحف حيث ذكر في أول سورة البقرة .

وتوحيد الربوبية – الذي عليه مدار حديثنا – مبحث مهم من مباحث العقيدة؛ كونه متعلق بأهم الأصول والواجبات ألا وهو الإيمان بالله ـ عز وجل ـ وما يتضمنه من الإيمان بربوبيته، وتفرده تعالى بالخلق، والرزق، والتدبير.

بناء على ما سبق فإنه من الجدير الاعتناء به وتوضيحه وتقديمه في مبحث جديد بأسلوب سهل يسير بإذن الله تعالى مع بيان علاقته بالعقيدة من خلال استقراء آيات كتاب الله تعالى وحصر ما يمكن حصره من الآيات .

بحيث نصل في النهاية إلى . . . .

موضوع الرسالة :

((المقتضيـات العملية لتوحيد الربوبية من خلال آيات القران الكريم))

أسباب اختيار الموضوع :

- أهمية هذا التوحيد وما يثمره من ثمرات عظيمة ؛ فالعلم به، والإيمان بمقتضاه يثمر إجلال الرب، وتعظيمه، ورجاءه، ومحبته والخوف منه إلى غير ذلك؛ فلا ينبغي التقليل من شأنه .
- فهم العبد لكتاب الله تعالى وتدبره من خلال ربط حياته العملية بالقران الكريم وهو الأمر الذي ينبغي لكل مسلم أن يفقهه .
- إن كثيراً من الناس لا يفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، ويظنون أن الموحد هو الذي يثبت وجود الرب ويثبت أسمائه وصفاته وأفعاله فقط، ولو لم يعبده ، وهذا باطل ، بل هناك فرق شاسع بينهما سنبينه فيما بعد .
- والمتأمل في حال جمهور أهل الأرض ، وما هم عليه — اليوم — من ضلال وانحراف ، وتيه وضياع ، يرى عجباً ، ولا يملك إلا أن يحمد الله تعالى على نعمة التوحيد ، التي حباه الله بها ، وأخرجه بسببها من الظلمات إلى النور ، قال الله تعالى : ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ "[1]"

حدود البحث :

ينحصر البحث الذي بين يديكم في استقراء آيات كتاب الله تعالى المتعلقة بتوحيد الربوبية وهي كثيرة متنوعة كلها تدل على تفرد الله بالربوبية على خلقه أجمعين .

وما تتضمنه هذه الآيات وما يلزم منها وعلاقة ذلك بالعقيدة من ناحية التضمن والتلازم والتطابق .

الدراسات السابقة :

بحسب الاطلاع والقراءة فإن هناك الكثير من الأبحاث التي تناولت وتحدثت عن توحيد الربوبية سواء كان ذلك قديما أو حديثا وهي كما يلي :

- الآثار الواردة عن السلف في توحيد الربوبية والأسماء والصفات في تفسير الطبري للباحث : إبراهيم بن عبد الله الحماد
- الألفاظ و المصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية جمعا ودراسة للباحثة : آمال عبد العزيز العمرو
- توحيد الربوبية بين السلف ومخالفيهم من الفرق الإسلامية للباحث : سعيد علي العمري
- توحيد الربوبية لمحمد بن إبراهيم الحمد

وتناول فيه الباحث هذا النوع من التوحيد بشيء من الإجمال باختصار مفيد وضح توحيد الربوبية وأسمائه وأنواعه وأدلته ثم ختم ذلك بالآثار والفوائد واهم الفرق المخالفة ولم يتحدث عن أي جانب من الجوانب التي سنتحدث عنها سوى إشارة موجزة عن التوحيد القلبي

- قول الفلاسفة عامة وقول فلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية عرض ونقد بحث لسعود الخلف

ولم يتطرق فيه الباحث إلى شيء من متعلقات موضوعنا وإنما نحا فيه منحى آخر

وما وضحناه من الدراسات السابقة إنما هو فيما يتعلق بتوحيد الربوبية فقط ولم نلتفت إلى التي تحدث عن التوحيد عموما أو أي نوع من الأنواع الأخرى

لكن لم يوجد من تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة المستقلة وان كان وجد في بعضها شيئا يسيرا بين ثناياها لكن لم يتوسع فيه بهذه الصورة .

---

[1] - سورة البقرة (257)

منهج البحث :

كان النهج المتبع في البحث ما يلي :

- استقراء آيات كتاب الله تعالى المتعلقة بتوحيد الربوبية ومن ثم نقل ما يخص البحث منها وبيان مواضعها في المصحف الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية .
- تفسير الآيات المنقولة مع بيان أقوال السلف والمفسرين فيها
- عزو كل نص إلى مصدره
- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية مع الاجتهاد في الحكم عليها أو حكم أهل الاختصاص ما أمكن ذلك .

فإذا ورد الحديث في البخاري ومسلم أو في أحدهما بلفظه اكتفيت بتخريجه منهما ، أما اذا لم يكن بلفظه فيهما أو في احدهما فاني أضيف مصدرا من المصادر التي ذكرته بلفظه ، مع تقديم من أخرجه بلفظه .

- تدوين المراجع والمصادر بذكر اسم الكتاب والمؤلف ثم معلومات النشر الخاصة بكل مرجع في الحاشية
- الترجمة لأسماء الأعلام الواردة في الرسالة .
- التعريف بالفرق والطوائف .
- شرح المصطلحات والألفاظ الغريبة والغامضة الواردة في البحث .
- وضع عدة فهارس في آخر الرسالة تسهيلا للوصول إلى محتوياتها ، وهي كالتالي :

  فهرس الآيات القرآنية

  فهرس الأحاديث النبوية

  فهرس الأعلام والشخصيات (إن وجد)

  فهرس الفرق والطوائف المعرف بها (إن وجد)

  فهرس المصادر والمراجع

  فهرس الموضوعات

خطة البحث :

اشتمل البحث على مقدمه وتمهيد وخمس فصول وخاتمه على التقسيم التالي :

- **المقدمة : واشتملت على :**

الدراسات السابقة

. حدود البحث . خطة البحث

. منهج البحث

- **التمهيد : ويشتمل على أربع مباحث :**

المبحث الأول / توحيد الربوبية

المبحث الثاني / توحيد الألوهية

المبحث الثالث / توحيد الأسماء والصفات

المبحث الرابع / مكانة توحيد الربوبية بين أنواع التوحيد الأخرى

- **الفصل الأول : مفهوم توحيد الربوبية وأهميته**

فيه ثلاث مباحث :

المبحث الأول : تعريف توحيد الربوبية

المبحث الثاني : منكروا الربوبية

المبحث الثالث : أهمية توحيد الربوبية

- **الفصل الثاني : دلائل توحيد الربوبية**

فيه مبحثان :

المبحث الأول : دلالة الفطرة على ربوبية الله على خلقه

المبحث الثاني : دلالة الأنفس والآفاق على ربوبية الله على خلقه

- **الفصل الثالث : التعريف بالمقتضيات وعلاقة العقيدة بالعمل**

فيه مبحثان :

المبحث الأول : المقتضى الإيماني لتوحيد الربوبية القلبي (عبادة القلوب)

المبحث الثاني : المقتضى الإيماني لتوحيد الربوبية العملي (عبادة الجوارح)

- **الفصل الرابع : المقتضيات العملية (أعمال الجوارح)**

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : إفراد الله تعالى بالعبادة

المبحث الثاني : التحاكم إلى شرعه

- **الفصل الخامس** : **المقتضيات القلبية** (**أعمال القلوب**)

المبحث الأول : تحقيق العبد التوحيد في أعمال القلوب

المبحث الثاني : موافقة عمل القلب عمل الجوارح

المبحث الثالث : الآثار التي يجنيها العبد من تحقيق مقتضى التوحيد العملي والقلبي

- **الخاتمة**
- **الفهارس**

والله ولي التوفيق

التَّمهيدُ

المبحث الأول : توحيد الربوبية

المبحث الثاني : توحيد الألوهية

المبحث الثالث : توحيد الأسماء والصفات

المبحث الرابع : مكانة توحيد الربوبية بين أنواع التوحيد الأخرى

التمهيد

بحسب ما توصل إليه العلماء بعد الاستقراء وتتبع آيات كتاب الله وأحاديث نبيه ﷺ وجدوا أن التوحيد لا يخرج عن ثلاثة أقسام أو أنواع :

توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات .

وسأفصل الحديث عن النوعين الأخيرين الألوهية والأسماء والصفات وأذكر مختصرا يسيرا عن النوع الأول توحيد الربوبية .

والله الموفق .

المبحث الأول

توحيد الربوبية

توحيد الربوبية هو الإقرار الجازم بأن الله وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه ، وأنه خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ، وهو الذي بيده الضر والنفع وهو الذي يدبر الأمر والمتفرد بإجابة الدعاء ، والقادر على كل شيء ، لا رادَّ لأمره ، ولا معقب لحكمه ، ولا يشاركه أحد في شيء من معاني ربوبيته . "[١]"

وله عدة مسميات فهو التوحيد العلمي ويسمى بالتوحيد الخبري وتوحيد المعرفة والإثبات والتوحيد الإعتقادي

أدلة توحيد الربوبية :

وبحسب تتبعي واستقرائي للآيات وجدت أن هناك ضابطان يمكن من خلالهما معرفة أدلة هذا النوع من التوحيد في القران الكريم وهما :

- الأول : كل آية ورد فيها لفظ الرب بجميع تصريفاته (**رب – ربكم – ربهم – ربي**) فهي من آيات الربوبية .

مثل قوله تعالى ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ "[٢]"

وقوله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ** ﴾ "[٣]"

وقوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ** ﴾ "[٤]"

وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ** ﴾ "[٥]"

- والضابط الثاني : كل آية ورد فيها صفة من صفات الربوبية فهي من آياته كالخلق والرزق والملك والتدبير والتسخير والنفع والضر والقضاء والقدر .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ** ﴾ "[٦]"

[١] - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص17
[٢] - سورة الفاتحة (2)
[٣] - سورة البقرة (21)
[٤] - سورة البقرة (5)
[٥] - سورة آل عمران (51)
[٦] - سورة الأنعام (102)

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ "[١]"
وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ "[٢]"
وقوله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ "[٣]"

أنواع الربوبية

ربوبية الله على خلقه على نوعين:

١. الربوبية العامة : وهي لجميع الناس ؛ بَرِّهم وفاجرِهم مؤمنِهم وكافرِهم ؛ وهي خلقه للمخلوقين، ورزقُهم، وهدايتهم ، لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا .

قال تعالى في ربوبية جميع الخلائق : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ "[٤]"
وقال تعالى في هدايته لهم : ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ "[٥]"

٢. الربوبية الخاصة : وهي تربيته لأوليائه المؤمنين ، فيربيهم بالإيمان ، ويوفقهم له ، ويكملهم ، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه

قال تعالى في ربوبية أوليائه المؤمنين (جاء ذلك على لسان يوسف عليه السلام) لما قال :
﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ "[٦]"

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة ."[٧]"

ولعل هذا التوضيح يكفي في بيان توحيد الربوبية وسنفصل فيه قدر المستطاع في الفصل الأول ."[٨]"

---

[١] - سورة يونس (31)
[٢] - سورة فاطر (13)
[٣] - سورة يونس (3)
[٤] - سورة الفاتحة (2)
[٥] - سورة النمل (63)
[٦] - سورة يوسف (101)
[٧] - تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص39
[٨] - راجع رسائل في العقيدة للشيخ محمد إبراهيم الحمد ص2-6 / تيسير العزيز الحميد سليمان بن عبد الوهاب ص17-18 / تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص39

المبحث الثاني

توحيد الألوهية

توحيد الألوهية لغة : مأخوذ من الإله وهو الله المعبود بحق

وقيل : الإله أصل اسم الله ، واشتق من التأله وهو التعبد ، وجمعه آلهة ."[١]"

اصطلاحا : الاعتقاد الجازم بأنَّ الله – جلَّ وعلا – هو وحْده المستحق للعبادة، واعتقاد انفراده بجميع أنواع العبادات الظاهرة والباطنة، والبراءة من كلِّ معبود دونه، فلا يُعبد إلاَّ الله، ولا يُتَوَكَّل إلاَّ عليه، ولا يُتَحاكَم إلاَّ إليه، ولا يُتَلَقَّى الهُدى إلاَّ منه، ولا يُتوَجَّه بالعمل إلاَّ إليه، وأن يكون الله وحْده أحبَّ إلى العبد من كلِّ ما سواه .

والعبادة هي أساس مدار هذا النوع من التوحيد

ومعنى العبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية "[٢]":

اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة "[٣]"

فالعبادة بكل أنواعها يجب أن تصرف لله وحده فمن الأفعال الظاهرة عبادة الصلاة والصيام والزكاة والحج وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام وجهاد الكفار والمنافقين في سبيل الله والإحسان إلى الجار واليتيم والفقراء والمساكين وغيرها ومن الأقوال قراءة القران والدعاء والذكر وصدق الحديث ومن الباطنة أقوالا كانت أم أفعال الحب والخشية والتوكل والإنابة والإخلاص والصبر والشكر والرضا بقضاء الله وقدره وغيرها ."[٤]"

---

[١] - راجع لسان العرب 467/13 ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم 307/1 ، معجم ديوان العرب 193/4

[٢] - أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام أبو العباس تقي الدين بن تيمية الحراني الحنبلي أُشتهر بشيخ الإسلام ، ولد بحران عام 661هـ ، تنقل بين دمشق ثم مصر للفتوى ، برع في علوم عدة آية في التفسير والأصول فصيح اللسان والقلم وكان يناظر العلماء ويدافع عن العقيدة وله مؤلفات تزيد على أربعة آلاف منها السياسة الشرعية ، والفتاوى ومنهاج السنة ونقض المنطق ومجموع الرسائل والمسائل ، توفي مسجونا بقلعة دمشق عام728هـ . للاستزادة راجع الأعلام للزركلي 144/1

[٣] - العبودية / شيخ الإسلام ابن تيمية ص44

[٤] - نفسه ص44

مسمياته :

سمي **بتوحيد الألوهية** باعتبار إضافته إلى الإله فهو مبني على التأله لله وهو التعبد المصاحب للمحبة والتعظيم .

وسمي **بتوحيد العبادة** باعتبار إضافته إلى العباد لأن العبد يتعبد الله بأداء أوامره واجتناب نواهيه .

وسمي **بالتوحيد العملي** لأنه العبد يتوجه فيه بالعمل إلى الله مقابلة لتوحيد العلم وهو الربوبية والأسماء والصفات .

وسمي **بتوحيد الطلب والقصد والإرادة** لان العبد لا يطلب فيه إلا الله ولا يقصد غيره ولا يريد إلا وجهه فيعبد مخلصا له

وكل هذه المسميات تدل على شيء واحد ولكل مسمى منها مقصوده ودلالته كما بيّنا .

أهمية توحيد الألوهية :

هو الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق وأوجدهم

قال تعالى : **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾** "[١]"

ومن أجله بُعِثَت الرسل وأنزلت الكتب ولم يبعث الله رسولا بغيره

قال تعالى : **﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾** "[٢]"

وقال تعالى : **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾** "[٣]"

وبسببه كانت الخصومة بين المؤمنين وأعدائهم ومن أجله شُرع الجهاد في سبيل الله وانقسم الناس إلى مؤمنين وكافرين وخلقت الجنة والنار .

حقيقة كلمة التوحيد

أنه معنى لا إله إلا الله ، حيث جاء في حديث النبي ﷺ أنه قال :

((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله**)) "[٤]"

---

[١] - سورة الذاريات (56)

[٢] - سورة النحل (36)

[٣] - سورة الأنبياء (25)

[٤] - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان / باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة /ح25/ج1/ص14 ، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان / باب الأمر بقتال الناس / ح20/ج1/ص51 .

وأول واجب على المكلف وآخر واجب ،

وهو أول ما يدخل به المرء الإسلام جاء في حديث النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه "[1]"

حين بعثه إلى اليمن أنه قال :

((**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى**)) "[2]"

وآخر ما يخرج به امتثالا لحديث : ((**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة**)) "[3]" ، وبها النجاة والفلاح في الآخرة ، ومن حقق معناها فقد حقق الألوهية لله تعالى وأتى بالتوحيد الواجب عليه .

كلمة التوحيد وشروطها

وهي الشهادتان بركنيها النفي والإثبات (**لا اله إلا الله**) ومعناها : لا معبود بحق إلا الله .

لا إله / (نفي) نفي جميع ما يُعبد من دون الله

إلا الله / (إثبات) إثبات العبادة لله وحده

وشروط تحقيقها سبعة

أولا : **العلم** بمعناها المنافي للجهل قال تعالى : **﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾** "[4]"

الثاني : **اليقين** بها المنافي للشك قال تعالى : **﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾** "[5]"

الثالث : **القبول** بها المنافي للرد

قال تعالى : **﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾** "[6]"

---

[1] - هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري ، يكنى بأبي عبد الرحمن ، شهد العقبة وبدرا وأحد والمشاهد كلها ، آخى ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود ، أعلم الأمة بالحلال والحرام ، توفي في طاعون عمواس سنة 18هـ وله من العمر 38 سنة . انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير 187/5

[2] - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد / باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ /ح7372/ج9/ص114 ، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان / باب الإيمان إلى الشهادتين /ح19/ج1/ص51 .

[3] أخرجه الإمام احمد في مسنده 363/3 ح22034 واللفظ له ، وأبو داوود في سننه 190/3 ، والبزار في مسنده 77/7 ، والطبراني في المعجم الكبير 112/20 ، والحاكم في المستدرك 678/1 ، والبيهقي في الشعب 198/1 ، وصححه الألباني في المشكاة 509/1 .

[4] - محمد (19)

[5] - الحجرات (15)

[6] - الصافات (35)

الرابع : **الانقياد** لما تقتضيه المنافي للترك قال تعالى : ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ** ﴾ "[١]"

الخامس : **الصدق** المنافي للكذب

قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ "[٢]"

السادس : **الإخلاص** المنافي للشرك قال تعالى : ﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ "[٣]"

السابع : **المحبة** المنافية للبغض

قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ** ﴾ "[٤]" "[٥]"

أنواع العبادات

العبادات القلبية وهي من عمل القلب وحده وهي الأساس لما بعدها لما يترتب على الإخلال بها من الدخول في الشرك وتشمل الحب والرجاء والخوف والإخلاص والصبر والتوكل والإنابة والشكر وغيرها

العبادات القولية أو اللفظية وهي ما يُنطق باللسان وأعلاها وأفضلها كلمة التوحيد (وهي قول أشهد أن لا إله إلا الله) وتشمل الذكر بأنواعه والدعاء والتسمية والاستعاذة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها

العبادات البدنية وهي التي يؤديها العبد ببدنه وتشمل الصلاة والصوم وأفعال الحج والجهاد في سبيل الله

العبادات المالية وهي التي تعتمد على المال وحده وتشمل الزكاة والصدقة والنفقة والنذر وغيرها ."[٦]"

"[٦]".

[١] - سورة الزمر (54)

[٢] - سورة البقرة (8)

[٣] - سورة الزمر (3)

[٤] - سورة البقرة (165)

[٥] - راجع كتاب شروط لا إله إلا الله / د.عواد بن عبد الله المعتق

[٦] - رسائل في العقيدة للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد 15/2

المبحث الثالث

توحيد الأسماء والصفات

مفهوم توحيد الأسماء والصفات "[1]"

هو اعتقاد انفراد الله عز وجل بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة ، والجلال ، والكمال وذلك بإثبات ما ثبته لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات ، ومعانيها وأحكامها الواردة بالكتاب والسنة .

وطريقة أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبته الله لنفسه في الكتاب أو على لسان رسول الله ﷺ ونفي كل ما نفاه الله عنه في كتابهأو على لسان رسوله ﷺ ، والتوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه مما تنازع الناس فيه كالجسم ، والحيز ونحو ذلك .

أهمية توحيد الأسماء والصفات

– أن الإيمان به داخل في الإيمان بالله عز وجل إذ لا يستقيم الإيمان بالله حتى يؤمن العبد بأسمائه وصفاته .

– أن معرفة هذا التوحيد والإيمان به كما آمن السلف ومن سار على نهجهم هو عبادة لله أمرنا الله بها وطاعته واجبة

– الإيمان به على الطريقة الصحيحة هو طريق السلامة من الانحراف والزلل الذي وقع فيه أهل التعطيل والتمثيل ومن زاغ عن طريقة الرسل في الإثبات المفصل والنفي المجمل .

– الإيمان به على الوجه الحقيقي سلامة من وعيد الله ،

قال تعالى: **﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** "[2]"

– العلم بهذا العلم اشرف العلوم ، واجلها على الإطلاق ، والبحث فيه اشتغال بأعلى المطالب

[1] - رسائل في العقيدة / محمد بن ابراهيم الحمد ص197-206 (بتصرف)

[2] - سورة الأعراف (180)

– أن أعظم آية في القران هي آية الكرسي لاشتمالها على هذا النوع من أنواع التوحيد وسورة الإخلاص تعدل ثلث القران لأنها خلاصته في وصف الله عز وجل

ثمرات العلم بتوحيد الأسماء والصفات

- سعي العبد للاتصاف بأسماء الله تعالى وصفاته بما يصح أن يتصف به من صفات الجود والكرم والعفو والصفح والرفق والرحمة وغيرها
- معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته ، لذلك كان العلماء أكثر خشية لله تعالى لأنهم أكثر معرفة به وبأسمائه وصفاته ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ "[١]"
- تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد
- الانزجار عن المعاصي حين يستشعر مراقبة الله تعالى له وانه لا تخفي عليه خافية وأنه سبحانه يبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء .
- سبب لدخول الجنة كما جاء في الحديث ((**لله تسعة وتسعون اسما ، من حفظها دخل الجنة**)) "[٢]"

مخالفو أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات

مذهب المخالفين في الأسماء والصفات على وجه الإجمال ، أن هذا التوحيد يضاده أمران :

الأول / التمثيل

وهو تمثيل الله بخلقه وضل في ذلك اليهود والنصارى والروافض الذين مثلوا الله بخلقه فوصفوه بالأكل والنوم والتعب والراحة تعالى الله عما يقولون

---

١ - سورة فاطر (28)

٢ - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والاستغفار /باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها /ح2677/ج4/ص2062 واللفظ له ، والبخاري في صحيحه بمعناه كتاب الدعوات /باب لله مائة اسم غير واحد /ح6410/ج8/ص87

الثاني / التعطيل

وهو أربعة أقسام ، احدها : سلب النقيضين عن الله تعالى كقولهم لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ، وضلت في ذلك الباطنية "[١]" والجهمية "[٢]" والقرامطة "[٣]"

الثاني : وصفه تعالى بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات وجعله هو الوجود المطلق وقالت بذلك الفلاسفة

الثالث : إثبات الأسماء له تعالى دون الصفات كقولهم عليم بلا علم قدير بلا قدرة بصير بلا بصر سميع بلا سمع ، فاثبتوا الاسم دون ما تتضمنه الصفة أو إخراج الصفة عن ظاهرها إلى غير المراد كتأويل الوجه بالذات واليد بالقدرة والاستواء بالاستيلاء ، ضل في ذلك المعتزلة "[٤]"

الرابع : إثبات بعض الصفات دون بعض كمن يثبت سبع صفات وينفي غيرها كما فعلت الأشاعرة "[٥]".

هذا باختصار منهج الفرق التي ضلت في أسمائه تعالى وصفاته "[٦]""[٧]"

أقسام الناس في باب الأسماء والصفات :

١. المثبتة :

وطريقتهم هي إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، ويفرقون في ذلك بين الاسم والصفة فالاسم يعتبر علماً على الله عز وجل متضمناً للصفة

---

[١] - حركة ومذهب قديم يقوم على أن للدين ظاهر وباطنا فمن أصول مذهبهم عدم نشر عقائدهم وأفكارهم، فهم يأخذون العهود والمواثيق على من يدخل في مذهبهم ألا يظهر شيئا منها، ويعدون ذلك من أصول دينهم وأركانه التي لا يجوز الإخلال بها ومن القابهم القرامطة والخرمية والبابكية ويعتقدون اعتقادات باطلة كوجود الهين قديمين للعالم . الفرق بين الفرق للبغدادي ص265-271

٢ - هم أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها وزعم أن الجنة والنار تفنيان وأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط والكفر هو الجهل به فقط وله شطحات كثيرة أبرزها امتناعه من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد وأبرز مقالاته اشتهرت بها الجهمية . انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص199

[٣] - حركة باطنية هدامة تنتسب إلى حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط كان ظاهرها التشيع لآل البيت وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الإسلام ، ومن ابرز معتقداتها إبطال القول بالمعاد والعقاب وأن الجنة هي النعيم في الدنيا والعذاب هو الاشتغال بتعاليم الإسلام ويقولون بوجود إلهين قديمين أحدهما علة لوجود الثاني ، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه ، وأن الأول لا يوصف بوجود ولا عدم فلا هو موصوف ولا غير موصوف ،وغير ذلك من الأباطيل المزعومة . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة 378/1

[٤] - فرقة اسلامية نشأت على يد واصل بن عطاء اشتهرت بتقديم العقل على النقل وبأصولها الخمسة ومن أهم معتقداتهم أن التوحيد هو إثبات وحدانيةِ الله سبحانه ونفي المثل عنه، فلا يصفون الله إلا بالسلوب، ويقولون لا جوهر ولا عرض ، فكأن التوحيد عندهم يقتضي نفي الصفات. من ابرز أئمتهم الإمام الجويني والقاضي عبد الجبار . يمكن التوسع في معتقداتهم بالرجوع إلى مؤلفات أئمتهم أو في الكتب التي فصلت في مقالاتهم .

[٥] - فرقة اسلامية تنتسب للامام أبي الحسن الأشعري ، غالب عقائدهم يشتركون فيها مع المعتزلة لان أمامهم كان معتزليا أول حياته ثم تحول عنهم ، ويختلف متقدمي الأشاعرة عن متأخريهم ، ومن ابرز عقائدهم اثباتهم لله سبع صفات وتأويل أو تفويض الباقي وحصرهم الإيمان في التصديق القلبي . يمكن التوسع في معتقداتهم بالرجوع إلى الكتب التي فصلت في مقالاتهم .

[٦] - الرسالة التدمرية / تقي الدين أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية ص16-18، راجعه مختصرا في عقيدة التوحيد للملكاوي ص121-122

[٧] - من أراد الاستزادة في الأسماء والصفات ومخالفيهم فليراجع المؤلفات المختصة بذلك مما تختص به كل فرقة مما ذكرنا .

ويلزم من إثبات الاسم إثبات الصفة، مثاله : { **إن الله غفور رحيم غفور** } اسم يلزم منه المغفرة و {رحيم} يلزم منه إثبات الرحمة .

ولا يلزم من إثبات الصفة إثبات الاسم ، مثل الكلام لا يلزم أن نثبت لله اسم المتكلم ، بناء على ذلك تكون الصفات أوسع، لأن كل اسم متضمن لصفة وليست كل صفة متضمنة لاسم .

وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته الذين استقاموا على الطريق وكانوا وسطا بين النفي والإثبات فلم يبالغوا في الإثبات كالمشبهة ولم يبالغوا في النفي كالمعطلة ."[1]"

٢. المعطلة

وهم الذين أنكروا ما سمى الله تعالى ووصف به نفسه إنكاراً كلياً أو جزئياً ، وحرفوا من أجل ذلك نصوص الكتاب والسنة ، فهم محرفون للنصوص، معطلون للصفات .

وقد انقسم هؤلاء إلى أربع طوائف :

- الطائفة الأولى : أثبتوا لله الأسماء ، وبعض الصفات، ونفوا حقائق أكثرها، وردوا ما يمكنهم رده من النصوص، وحرفوا ما لا يمكنهم رده، وسموا ذلك التحريف تأويلاً .
- الطائفة الثانية : يثبتون لله تعالى الأسماء دون الصفات ، ويجعلون الأسماء أعلاماً محضة مجردة عن الذات .
- الطائفة الثالثة : ينكرون الأسماء والصفات ، ولا يصفون الله تعالى إلا بالنفي المجرد عن الإثبات، ويقولون : إن الله هو الموجود المطلق .
- الطائفة الرابعة : أنكروا في حق الله تعالى الإثبات والنفي ، فنفوا عنه الوجود، والعدم، والحياة، والموت، والعلم، والجهل ... ونحوها ، وقالوا : إنه لا موجود ولا معدوم ، ولا حي ولا ميت، ولا عالم، ولا جاهل ... ونحو ذلك . "[2]"

٣. المشبهة أو الممثلة

وطريقتهم أنهم اثبتوا لله الصفات على وجه يماثل صفات المخلوقين ، فقالوا : لله وجه، ويدان، وعينان، كوجوهنا، وأيدينا، وأعيننا، ونحو ذلك.

[1] - معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات / محمد بن خليفة التميمي ص56-58

[2] - تقريب التدمرية / محمد بن صالح بن عثيمين ص24-34

وشبهتهم في ذلك أن الله تعالى خاطبنا في القرآن بما نفهم ونعقل قالوا : ونحن لا نفهم ولا نعقل إلا ما كان مشاهدًا، فإذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد.

ومذهبهم باطل مردود عليهم .

لأن الله تعالى يقول : **﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾** "[١]"

وقال أيضا : **﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾** "[٢]"

ففي الآية الأولى نفى أن يكون له مماثل مع إثبات السمع والبصر له ، وفي الثانية نهى أن تضرب له الأمثال ، فجمع في هاتين الآيتين بين النفي والنهي ."[٣]"

---

[١] - سورة الشورى (11)

[٢] - سورة النحل (74)

[٣] - تقريب التدمرية / محمد بن صالح العثيمين ص22

المبحث الرابع
مكانة توحيد الربوبية بين أنواع التوحيد الثلاثة

إن الإيمان بالله جلّ وعلا يتضمّن إيماناً بأنواع التوحيد الثلاثة ولا شك أن هذه الأنواع الثلاثة التي تُشكّل قضيّة الإيمان بالله جلّ وعلا، قد قامت بينها نوعٌ من العلاقة بينها، ونصّ عليها العلماء في كتبهم ومصنّفاتهم، ويمكن تقرير هذه العلاقات وبيانها من خلال المحاور التالية:

أولا / العلاقة بين توحيد الربوبيّة وتوحيد الإلوهية

المتفق عند علماء العقيدة أنهم يقولون : " **توحيد الربوبيّة يستلزم لتوحيد الإلوهية** " ، ومعنى ذلك أن من آمن بتفرّد الله تعالى في الرّبوبيّة ، وأنه وحده لا شريك له ، وأنه خالق كل شيء بقدرته، ومدبر أمره بمشيئته، وقاهره بجبروته ، والمباين عن خلقه بأفعالٍ لا يقدرُ عليها إلا هو ،
فإن من كان بمثل هذه العظمة والتفرّد كان مستحقّاً للعبادة، بل كانت العبادة له واجبة وأن هذه الصفات وغيرها مما لم نذكرها توجب على الإنسان تعظيمه وإفراده بالعبادة دون من سواه من المعبودات الباطلة ، التي لا تضرّ ولا تنفع .
ومثال هذا التلازم القائم بين الربوبيّة والألوهيّة في قوله تعالى :
﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ "[١]"
فالله تعالى هنا استدل بتوحيد الربوبية على وجوب تفرده بتوحيد الألوهية وأمرهم بالعبادة ونهاهم عن الشرك استحقاقا له ووجوبا على ما انعم به عليهم من بسط الأرض وقرارها وبناء السماء وما أودع فيهما من المنافع ما تقوم به حياتهم وتصلح به أحوالهم ورزقهم بأنواع الثمار والمآكل والمشارب ، فذلك كله يوجب على الإنسان لان يعبد ربه ويفرده بالعبادة .

---
[١] - سورة البقرة (21-22)

وقد أنكر سبحانه صنيع الكفّار حين يعبدون ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يُغني عنهم شيئاً ، لان صفات النقص القائمةِ في معبوداتهم تُنافي ربوبيّتهم ، فكيف يجعلون لها نصيباً من العبادة ؟
قال الله تعالى : **﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۞ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾** "[١]"

وهناك أمثلة كثيرة تبين ما ذكرنا .

والعلاقة بينهما كما ذكر ابن تيمية رحمة الله عليه مثل العلاقة التي تذكر في الأسماء المترادفة كالفقير والمسكين والبر والتقوى والإيمان والإسلام ، حين بيّن أن الإقرار بتوحيد الألوهية يتضمن الإقرار بالربوبية ، بخلاف الإقرار بالربوبية وحده فإن صاحبه لا يكون مقرا بالألوهية بل يلزمه أن يقرّ ويعترف وينصاع لتوحيد الألوهية فيوحد الله لا يشرك به شيئا مما تكرر كثيرا في القران الكريم . "[٢]"

أما بالنسبة لتوحيد الألوهيّة فهو إفراد الله تعالى بالعبادة وهو متضمن لتوحيد الربوبيّة ، والمعنى أن في الإفراد بالعبادةٍ إقرارٌ ضمنيّ بوجود ربٍّ واحدٍ متفرّد ، ولذلك استحقّ العبادة دون ما سواه من الآلهة الباطلة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عند تفسير قوله تعالى (**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**) ((..فإنه يقتضي انفراده بالألوهية ، وذلك يتضمن انفراده بالربوبية ، وأن ما سواه عبدٌ له ، مفتقرٌ إليه وأنه خالقُ ما سواه، ومعبودُه ..)) "[٣]"

واستدلّ ابن أبي العز الحنفي "[٤]" على قوله تعالى (**قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا**)

---

[١] - سورة الأعراف (191-193)
[٢] - جهود ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة / احمد عبد الله الغنيمان ص88
[٣] - العقيدة الصفدية / تقي الدين أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية 64/2
[٤] - هو العلامة صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي الدمشقي ولد سنة 731هـ ، نشأ في كنف أسرة جميع افرادها كانوا ينتحاون مذهب أبي حنيفة ، اشتغل بالعلوم ، وكان ماهرا في دروسه وفتاويه، ومن أشهر مؤلفاته شرح العقيدة الطحاوية ، التنبيه على مشكلات الهداية ، النور اللامع فيما يعمل به في الجامع وغيرها وكانت وفاته بدمشق سنة "792 هـ . راجع مقدمة شرح الطحاوية تحقيق : عبد الله التركي ، شعيب الارناؤوط

بإثبات هذه العلاقة فقال : ((وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس ، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزا ، والعاجز لا يصلح أن يكون إلها))
فالحاصل أن كل من أقرّ باستحقاق الله تعالى للإفراد بالعبادة فهو مقرٌّ سلفاً بتفرّد الله في الخلق والإماتة والنفع والضرّ، وغير ذلك من الأفعال.

ثانيا / العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة

العلاقة بين أنواع التوحيد علاقة تلازم وتضمن ، فكل منها ملازم للآخر لا ينفك عنه بحال .
فنجد أنه سبحانه كثيرا ما يلزم المشركين المقرين بالربوبية أن يقروا ويؤمنوا بتوحيد الألوهية ، ويستدل بأفعال ربوبيته على ذلك مما يقع لهم من الضر والبلاء الذي يوقنون انه لا يصرفه عنهم إلا هو سبحانه
قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا** ﴾ "[١]"
فإن كان الأمر كذلك وجب توحيده تعالى وعبادته ونبذ ما سواه ، فمن تمام ربوبيته أن ينزل بهم من الشدة والضر ما يلجئهم إلى عبادته والإخلاص له ورجاءه وحده دون سواه وتعلق قلوبهم به ، فيحصل لهم من أنواع العبادة ما هو أعظم من زوال المرض أو الخوف والجدب وغيره .
وتارة يلزمهم بالإقرار بالألوهية لأنهم مقرين بربوبيته ويوجب عليهم إخلاص العبادة له وأمثال هذا كثير في كتاب الله ،
قال تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ "[٢]"
فاتضح بذلك أن توحيد الألوهية هو الأساس الذي خلقت الخليقة من أجله وأرسلت الرسل من أجله وهو الذي يجب أن تقوم عليه المعاملة والاعتقاد ، وأن الله تعالى يقدر من الأسباب على الناس ما يلجئهم إلى تحقيق هذا التوحيد في سائر أعمالهم بما يشاهدونه من الأمور التي تدل على توحيد الربوبية الذي لا ينكرونه "[٣]"

[١] - سورة الإسراء (67)
[٢] - سورة العنكبوت (61)
[٣] - جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة / احمد عبد الله الغنيمان ص86-87

وكلمة الشهادة التي دعت إليها الرسل اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة ، فقد دلت أولا على توحيد الألوهية لأن معناها لا معبود بحق إلا الله ففيها إثبات العبادة ونفيها عما سواه .
ودلت على توحيد الربوبية لان العاجز لا يكون إلها معبودا ولا بد للإله أن يكون خالقا مدبرا .
وعلى توحيد الأسماء والصفات لان فاقد الأسماء الحسنى وصفات الكمال غير كامل وليس بشيء ولا يصلح من هذا حاله أن يكون إلها ."[١]"

وغالب سور القران متضمنة لأنواع التوحيد الثلاثة ، يقول ابن القيم "[٢]" رحمة الله عليه في ذلك :
((إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائه)) "[٣]""[٤]"

إذن أنواع التوحيد متلازمه ، وبعضها مرتبط ببعض ، بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية ، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات داخل في توحيد الربوبية .
والربوبية علم و اعتقاد قلبي ولذا سمي بتوحيد المعرفة ، أما الألوهية فهو عمل قلبي وبدني فلا يكفي عمل القلب بل يتعداه إلى السلوك والعمل قصداً لله
وتوحيد الربوبية لا يكفي وحده لأنه مركوز في الفطر فلو كان كافيا لما احتاج الناس إلى بعثة الرسل وتوحيد الألوهية هو الذي جاءت به الرسل وهو الذي حصل به النزاع بين الرسل عليهم السلام وأقوامهم ،

[١] - التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية / عبد العزيز الناصر الرشيد ص13

[٢] - هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ ، أحد كبار العلماء ، ولد وتوفي في دمشق ، كان تلميذا لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله ، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه وأهين وعذب بسببه وسجن معه في قلعة دمشق وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، له تصانيف كثيرة من كل الفنون منها : أحكام أهل الذمة ومفتاح دار السعادة وزاد المعاد و الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة وغيرها كثير توفي سنة 751هـ . الأعلام للزركلي 56/6

[٣] - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية 3/417-418

[٤] - راجع أيضا عقيدة التوحيد في القران الكريم / محمد احمد عبد القادر ملكاوي ص125-126

وخلاصة القول أن الربوبية والألوهية إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، فهما إذا ذكرا جميعاً فلكل لفظ ما يراد به ، كما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَهِ النَّاسِ** ﴾ "[1]" ، فيكون معنى الرب : هو المالك المتصرف ، وهذا توحيد الربوبية ، ويكون معنى الإله : المعبود بحق المستحق للعبادة دون سواه .

وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر فيجتمعان في المعنى كما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا** ﴾ "[2]"

فلابد لسلامة التوحيد ، والفوز بالدارين من تحقيق هذين الأمرين . "[3]"

[1] - الناس (1-3)
[2] - سورة الأنعام (164)
[3] - رسائل في العقيدة / محمد بن ابراهيم الحمد ص187-196

الْفَصْلُ الأَوْل

مفهوم توحيد الربوبية وأهميته

- التمهيد

التوحيد لغة واصطلاحا

الربوبية لغة واصطلاحا

- المبحث الأول : تعريف توحيد الربوبية
- المبحث الثاني : منكروا الربوبية والمشركون بها

المطلب الأول / منكروا الربوبية

المطلب الثاني / المشركون بالربوبية

- المبحث الثالث : أهمية توحيد الربوبية

تمهيد

أول الواجبات على المكلفين هو معرفة ربهم وخالقم ، وهذه المعرفة فطر الله عليها جميع مخلوقاته ، فلا ينكرها منكر إلا من فسدت عنده هذه الفطرة وتغيرت .

وتوحيد الربوبية يعتبر مسألة من المسائل الفطرية التي لا تحتاج إلى النظر "[1]" والاستدلال كما ذهب أو قال بذلك بعض أهل الكلام ومن وافقهم ، وقد أجمع أهل السنة وأصحاب العقول السليمة والفطر النقية على أن كل موجود في الكون يدل على الله الواحد ، وأنه تعالى رب كل شيء وخالقه ومالكه ومدبر أمره ومتصرفٌ فيه وحده لا يشاركه أحد من خلقه كائنا من كان .

فما هو التوحيد ؟

ومن هو الرب ؟

وما هو مفهوم توحيد الربوبية ؟

[1] - مصطلح متداول بين أهل الكلام ومعناه حسب ما يرى علماؤهم يقول الجويني : "النظر في اصطلاح الموحدين ، هو الفكر الذي يطلب به من قام به، علماً، أو غلبة ظن، ثم ينقسم النظر قسمين؛ إلى الصحيح، وإلى الفاسد، والصحيح منه كل ما يؤدي إلى العثور على الوجه الذي منه يدل الدليل، والفاسد ما عداه / ويقول الرازي: "النظر والفكر عبارة عن ترتيب مقدمات علمية، أو ظنية، ليتوصل بها إلى تحصيل علم، أو ظن"3، وقال: "النظر ترتيب تصديقات، ليتوصل بها إلى تصديقات أخر / ويقسم القاضي عبد الجبار النظر في أمور الدين إلى قسمين: "أحدها النظر في الشبه لتحل، والثاني النظر في الأدلة ليتوصل بها إلى المعرفة"
فللنظر عند المتكلمين هو ترتيب الأمور في الذهن على وجهٍ يؤدي إلى معرفة الله والإيمان به استدلالاً لا تقليدا ، واختلفوا في حكمه إلى أنه واجب شرعاً، بل عدّه بعضهم أول الواجبات على العبد، وادُّعو فيه الإجماع
راجع الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية / امال عبد العزيز العمرو ص237

التوحيد

في اللغة من الوحدانية ، والوحدة الانفراد

أحد أصلها وحد ، أُبدلت الهمزة واوا ، وتعني المنفرد ، والوحدة الانفراد .

يقال : فلان أوحد زمانه ، أي لا نظير له . "[1]"

والفرق بين الواحد والأحد أن الواحد منفرد بالذات في عدم المثيل والنظير ، أما الأحد منفرد في المعنى ، وقيل الواحد الذي لا ثاني له ولا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام .

ولا يجمع بين هذين الوصفين سوى الله وحده "[2]"

اصطلاحا :

التوحيد عرفه النبي ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن قائلا : (**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى**) "[3]"

ف "يوحدوا" مصدره " التوحيد "

وفي رواية أخرى (**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله**) "[4]"

فدل على أن تحقيق هاتين الشهادتين ، هو: تحقيق للتوحيد ."[5]"

وهناك جملة من التعريفات أوردها كما هي :

التوحيد : هو إفراد الله بالعبادة التي شرعها على لسان رسوله ﷺ ونفي العبادة عما سواه . "[6]"

وقيل : أن التوحيد لا يتحقق إلا بنفي وإثبات ؛ نفي الحكم عما سوى الموحد ، وإثباته له ."[7]"

---

[1] - راجع كتب اللغة لفظ (أحد ، وحد) . العين للفراهيدي 280/3 ، جمهرة اللغة للازدي 1301/3 ، الزاهر للانباري 136/2 ، تهذيب اللغة للهروي 124/5 ، الصحاح للجوهري 547/2 ، مجمل اللغة لابن فارس 918/1 ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس 67/1-90/6 ، ومعجم الفروق اللغوية للعسكري ص564 ، وشمس العلوم للحميري 7089/11 ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير 27/1-159/5 ، المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي ص479 ، مختار الصحاح للرازي ص334 ، لسان العرب لابن منظور 448/3 ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للحموي 650/2 ، القاموس المحيط للفيروزابادي ص324 ، مجمع بحار الأنوار للكجراتي 22/5 ، الكليات للكفوي ص53 ، تاج العروس للزبيدي 268/9 ، ومعجم اللغة العربية المعاصرة لعبد الحميد عمر وآخرون 2410/3 ، والمعجم الوسيط 1016/2

[2] - معجم الفروق اللغوية للعسكري ص564 ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 195/5 ، مجمع بحار الأنوار للكجراتي 22/5

[3] - أخرجه البخاري في كتاب التوحيد / باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد / ح7372/ج9/ص114 .

[4] - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 353/2 واللفظ له ، والإمام احمد في مسنده 498/3 ، الدارمي في مسنده 1005/2 ، وابن ماجه في سننه 5/3 ، وأبي داود في سننه 34/3 ، والترمذي في سننه 14/2 ، والنسائي في الكبرى 45/3 ، وابن خزيمة في صحيحه 1128/2 ، وابن حبان في صحيحه 475/11 ، والدار قطني 55/3 ، والبيهقي في السنن الكبرى 12/7 . صححه الألباني في المشكاة وقال متفق عليه 555/1

[5] - التمهيد لشرح كتاب التوحيد / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص5

[6] - فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد / حامد بن محمد بن محسن ص28

[7] - المفيد في مهمات التوحيد / عبد القادر محمد صوفي ص10

– إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ؛ فمن أفرد الله بالعبادة فقد وَحَّده ."[١]

– إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ."[٢]

– التوحيد هو إفراد الخالق بالعبادة ذاتا وصفة وأفعالا ."[٣]

– ويطلق التوحيد شرعًا على تفرّد الله بالربوبية والألوهية ، والأسماء والصفات . "[٤]

– وقيل التوحيد المطلق هو العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال ، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال ، وإفراده وحده بالعبادة ."[٥]

– التوحيدُ هو إفرادُ الله بالخلق والتدبر، وإخلاصُ العبادة له ، وترك عبادة ما سواه ، وإثبات ما لَهُ من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وتنزيهه عن النقص والعيب ؛ فبالمعنى العام هو اعتقادُ تفرُّدِ الله تعالى بالربوبية ، وإخلاص العبادة له ، وإثبات ما له من الأسماء والصفات ."[٦]

– التوحيد مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له ، وواحد في ذاته وصفاته لا شريك له ، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له ، لأجل ذلك سمي دين الإسلام توحيدا ."[٧]

– التوحيد المطلق هو العلم والاعتراف المقرون بالاعتقاد الجازم ، بتفرّد الله عز وجل بالأسماء الحسنى ، وتَوَحُّدِهِ بِصفات الكمال ، والعظمة والجلال ، وإفراده وحده بالعبادة ."[٨]

– إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة ، وإخلاصها له وحده لا شريك له وهذا هو دين الرسل الذي أرسلهم الله إلى عباده ."[٩]

– التوحيد العامي وهو أن الله واحد لا شريك له ولا مثيل وهذا الكون كله ملكه ."[١٠]

وجميع هذه الأقوال مدارها على أمرين يمكن تعريف التوحيد من خلالهما :

الأول / أن التوحيد تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله نفيا وإثباتا

الثاني / عبادة الله تعالى وإفراده بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات

---

[١] - إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد / صالح بن فوزان الفوزان 19/1 ، الملخص في شرح كتاب التوحيد / صالح بن فوزان الفوزان ص9

[٢] - القول المفيد على كتاب التوحيد/ محمد بن صالح العثيمين 11/1

[٣] - التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد / عمر العرباوي الحملاوي ص15

[٤] - مذكرة التوحيد / عبد الرزاق عفيفي ص3

[٥] - القول السديد في مقاصد التوحيد / عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص18

[٦] - عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك / صالح بن فوزان الفوزان ص15-16

[٧] - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب ص17

[٨] - نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة / سعيد بن علي القحطاني ص6

[٩] - حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد / محمد بن عبد الله الغامدي ص16

[١٠] - حقيقة التوحيد / بديع الزمان سعيد النورسي ص50

فنقول في التعريف الراجح :

التوحيد هو إفراد الله تعالى بالشهادتين وعبادته وحده فيما يختص به تعالى من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

فالخلاصة مما ذكرنا :

أن التوحيد في اللغة والاصطلاح يدل على الإفراد والوحدانية والعبادة وتحقيق الشهادتين .

فالله هو الأوحد والمتوحد وذو الوحدانية ومن صفاته الواحد الأحد "[1]"، وأما اسم الله عز وجل أحد فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره "[2]"

فالوحدانية لله والتوحيد الإقرار بها . قال تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ "[3]"

وكذلك هو سبحانه الواحد في الذات والواحد في الصفات وحقيقة هذين الأمرين هي إفراده سبحانه بأنواع التوحيد الثلاثة أو بالنفي والإثبات كما في شهادة التوحيد .

أما الربوبية

الرب في معاجم اللغة يأتي بثلاثة معاني :

الملك : فالرب هو المالك ، وكل من ملك شيئا فهو ربه ، والله تعالى ملك الملوك والأملاك وهو رب الأرباب ."[4]"

والرب هو الله تبارك وتعالى ، ولا يقال بغير الإضافة إلا على الله عز وجل

كما يقال لمالك الدار والدابة ، رب البيت ورب الدار .

السيد المطاع : فالرب سيد القوم والمطاع فيهم .

فكان الرجل يقول : ربيت القوم : أي سستهم وكنت فوقهم ، وكانت العرب تقول : ربى فلان قومه : أي ساسهم وجعلهم ينقادون له .

المصلح : فمصلح الشيء والقائم عليه ومدبر أمره يسمى ربا .

[1] - القاموس المحيط / مجد الدين أبو طاهر محمد الفيروزابادي ص324

[2] - تهذيب اللغة / أبو منصور محمد بن احمد الأزهري 127/5

[3] - سورة الإخلاص (1)

[4] - العين للفراهيدي 256/8

يقال : رب فلان ضيعته : إذا قام على إصلاحها . "[1]"

والله تعالى بفضله جامع لذلك كله ، فهو سبحانه ملك الملوك وهو خالقها تذللت له بالطاعة بما له عليها من سلطان القوة والقهر والعزة وهو مربيها ومدبر أمورها والقائم على رعايتها .

قال تعالى : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ "[2]"

فهو سبحانه مالك الملك ، وهو خالق ذلك كله ورازقه ، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق وكل مملوك أصبح مالك بعد أن لم يكن وملكه إلى زوال ومع ذلك يملك شيئًا دون شيء ، إلا ربنا سبحانه وهذا الفرق الذي بينه وبين كل من سمي ربا من عباده، فالله لا يماثله ولا يناظره أحد من خلقه في شيء ."[3]"

سبحانه فله الربوبية على جميع الخلائق لا شريك له .

التعريف الراجح :

أن الربوبية على الوجه العام هي السيادة والطاعة والتربية والإصلاح

وعلى وجه الخصوص هي لفظ مختص بالله تعالى فهو الملك المطاع والسيد الحاكم على جميع مخلوقاته وهو المربي لهم بنعمه وفضائله وهو القائم والمدبر والمتصرف فيهم من جميع الوجوه

ومن خلال ما ذكرنا في معنى التوحيد ومعنى الربوبية ، يمكن أن نلخص **تعريف توحيد الربوبية** من خلال المبحث الأول . . .

أو هو اعتقاد تفرد الله تعالى بأفعاله ، وانه تعالى رب كل شيء فلا خالق في الكون إلا هو ولا مالك ولا رازق غيره وهو المحيي والمميت والضار والنافع وهو المدبر والمتصرف في مخلوقاته ولا يعلم الغيب سواه والقائم بجميع ذلك كله لا يشاركه فيه أحد من خلقه .

أو هو **إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير** "[4]"

[1] - تهذيب اللغة للأزهري 129/15 ، لسان العرب لابن منظور 401/1

[2] - سورة الفاتحة (2)

[3] - الجامع لأحكام القران / أبو عبد الله محمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي 137/1

[4] - هو اختصار لتعريف الربوبية وعام شامل ، فالتدبير يدخل فيه كل أفعال ربنا تعالى غير الخلق والملك .

أو **توحيد الله بأفعاله** .

وجميع ما ذكرنا يدل على توحيد الربوبية سواء كان التعريف مفصلا كما في الأول ، أو مختصرا كما في الثاني ، أو مجملا مقتصرا على أفعاله تعالى .

وسنفصل ذلك كله في المبحث الذي يليه .

المبحث الأول

تعريف توحيد الربوبية

بعد حديثنا عن الربوبية والتوحيد وبيان معناهما ، كان لزاما علينا أن نبين ما هو توحيد الربوبية وما المعاني المتعلقة به .

المطلب الأول / تعريف توحيد الربوبية

وردت عدة تعريفات في توحيد الربوبية منها ما هو مفصلا ومنها ما جاء مجملا ، وسأقتصر في ذلك على ثلاث تعريفات نذكرها فيما يأتي :

فمن خلال معرفة معنى التوحيد ومعنى الربوبية يمكن أن نجمع بينهما ونستنبط توحيد الربوبية فنقول :

1/ هو **اعتقاد تفرد الله تعالى بأفعاله ، وأنه تعالى رب كل شيء فلا خالق في الكون إلا هو ولا مالك ولا رازق غيره وهو المحيي والمميت والضار والنافع وهو المدبر والمتصرف في مخلوقاته ولا يعلم الغيب سواه والقائم بجميع ذلك كله لا يشاركه فيه أحد من خلقه .**

2/ أو هو **إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير** "[1]"

3/ أو **توحيد الله بأفعاله** .

[1] - هو اختصار لتعريف الربوبية وعام شامل ، فالتدبير يدخل فيه كل أفعال ربنا تعالى غير الخلق والملك .

التعريف الأول وشرحه :

هو اعتقاد تفرد الله تعالى بأفعاله ، وأنه تعالى رب كل شيء فلا خالق في الكون إلا هو ولا مالك ولا رازق غيره وهو المحيي والمميت والضار والنافع وهو المدبر والمتصرف في مخلوقاته ولا يعلم الغيب سواه والقائم بجميع ذلك كله لا يشاركه فيه أحد من خلقه ."[١]"

فالاعتقاد محله القلب ، والإفراد يعني الوحدانية ، وأفعاله سنبينها كالآتي :

أفعال ربوبية الله تعالى :

وهي تصريفاته وتدبيراته الدالة على تفرده بالربوبية في عباده ، سأذكرها بالتفصيل ومن ثم اكتفي بالتعريف المختصر على الأفعال الثلاثة في المقتضيات ."[٢]"

١. الخلق

في اللغة :

الخلق في كلام العرب : ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه

وهو عندهم على ضربين ، أحدهما : الإنشاء على مثال أبدعه ، والآخر : التقدير ."[٣]"

وخلق الله الشيء يخلقه خلقا : أحدثه بعد أن لم يكن ."[٤]"

والخالق الصانع . "[٥]"

ومن أسمائه تعالى (**الخالق والخلاق**) وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة ، وأصل الخلق التقدير، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها مقدّر ، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير خالق .

والخلاق اسم لا يطلق بالألف واللام إلا لله . "[٦]"

---

[١] - وهو الراجح عندي حيث انه عام وشامل لمعاني وصفات الربوبية

[٢] - وذلك لكثرة الآيات التي تتعلق بالخلق والملك في كتابه تعالى وما عداها يكون من تدبير الله لخلقه ولقلة الآيات فيه في مقابل الخلق كالإحياء الإماتة والضر والنفع .

[٣] - تهذيب اللغة للأزهري 16/7 ، لسان العرب لابن منظور 85/10

[٤] - المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده 535/4 ، تاج العروس للزبيدي 262/25

[٥] - العين للفراهيدي 151/4

[٦] - النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 70/2 ، لسان العرب لابن منظور 85/10 ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي 180/1 ، تاج العروس للزبيدي 251/25 ، مجمع بحار الأنوار 98/2

وفي الاصطلاح :

قال الأصفهاني "[١]" : (هو التقدير والإبداع والإيجاد من العدم على غير مثال سابق وهو الذي يكون لله وحده) . "[٢]"

وقال الإمام أبو حامد الغزالي "[٣]" :

(كل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى تقدير أولا وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيا وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثا والله سبحانه وتعالى خالق من حيث أنه مقدر وبارئ من حيث أنه مخترع موجد ومصور من حيث أنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب) ."[٤]"

والجمع بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي نقول :

أن الخلق هو الإبداع والإيجاد من العدم على غير مثال سابق والتقدير المقترن بالحكمة وهو الذي يكون لله وحده

فمن هنا نريد بيان أن من علم أن كل شيء حوله مخلوق لله مملوك له محتاج مفتقر إليه في كل لحظة ، إذا شاء أبقاه وإذا شاء أفناه أمره وحياته بين يدي ربه ، فإن علم ذلك لم يعلق قلبه باحد سوى ربه ، ونظر إلى غيره وما عنده نظرة استغناء ، فيخاف ربه ويخشاه ويرجوه ويتوب إليه ، ويقبل إليه بكل جوارحه ولا يغفل عن ذكره بقلبه وخواطره ولسانه ، ويشتغل طوال عمره في السعي لمرضاة ربه ، وتلك هي حقيقة الإيمان . "[٥]"

---

١ - هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب ، أديب من الحكماء العلماء ، ولد في أصبهان عام 400هـ ، سكن بغداد ، واشتهر بها من مؤلفاته (محاضرات الأدباء - حل متشابهات القران – الاعتقاد - تحقيق البيان) وغيرها ، توفي سنة 502هـ . الأعلام للزركلي 255/2

[٢] - المفردات في غريب القران ص296

[٣] - أبو حامد محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي،حجة الإسلام فيلسوف متصوف، ولد بخراسان سنة450ه - ، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته ، له أكثر من مائتي مصنف منها (إحياء علوم الدين - تهافت الفلاسفة - المنقذ من الضلال) وغيرها ، توفي بخراسان سنة 505ه - . الأعلام للزركلي 7/22-24

[٤] - المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى / الإمام أبو حامد الغزالي ص75

[٥] - ولله الأسماء الحسنى / للدكتور يوسف المرعشلي ص19

ونعمة الإيجاد والخلق في الدنيا لا يساويها شيء ، فقد أوجد الله تعالى مخلوقاته من العدم وأخرجهم إلى الحياة ، وصورهم في أحسن صورة وأكمل هيئة ، ثم دعاهم بعد ذلك إلى النظر والاعتبار في أصل خلقتهم وطبيعتها ومكوناتها وأطوار نموها ، ليستدلوا بكل ذلك عليه ، وليعلموا بعدها أن الخلق لم يكن عبثا ولا لهوا بل لغاية وحكمة كما قال تعالى : **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾** "[١]"

ومن خلال الغاية من الخلق تظهر الدلالة المراد بيانها والتي يقتضيها الخلق ، فإن المخلوقات والبشر خصوصا إذا أيقنوا واستشعروا هذه النعمة استطاعوا معرفة من الأحق بالعبادة ومن الأجدر بالإتباع والطاعة .

٢. الملك

في اللغة :

الملك ما ملكت اليد من مال وخول . ."[٢]"

والمِلْكُ اسم يجمع ما يحويه الملك وسمي الملك ملكا بذلك .

والمِلك هو الله والملك له فهو المالك المليك وملك الملوك له الملك وهو مالك يوم الدين ومليك الخلق أي ربهم ومالكهم ، وملكوت الله : سلطانه وعظمته ."[٣]"

وقيل : ملكه يملكه ملكا إذا احتواه قادرا على الاستبداد به . "[٤]"

وقيل : استحقاق التصرف في الشيء بكل أمر جائز فعلا أو حكما لا بنيابة .

والملك الحقيقي إنما هو لمالك الملوك الخالق للذوات والصفات فلا مالك حقيقة إلا الله تعالى ومعنى أن العبد مالك للشيء أي أنه أذن له في التصرف في الشيء ."[٥]"

[١] - سورة الذاريات (56)

[٢] - العين للفراهيدي 380/5 ، جمهرة اللغة للازدي 981/2 ، تهذيب اللغة للأزهري 149/10 ، مجمل اللغة لابن فارس ص840 ،

[٣] - العين للفراهيدي 380/5 ، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده 55/7 ، أساس البلاغة للزمخشري 227/2 ، لسان العرب لابن منظور 491/10

[٤] - القاموس المحيط للفيروز ابادي ص954

[٥] - شرح حدود بن عرفة للرصاع ص466

وفي الاصطلاح :

قال الأصفهاني : (هو المتصرف في الأمر والنهي ، وقيل هو اسم لكل من يملك السياسة والذي يتولى الأمر وله الحق فيه وهو المتصرف في الحكم وفي زمام الأمور) . "[1]"

وقال الإمام الغزالي في شرحه للاسم : (هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج إليه كل موجود بل لا يستغني عنه شيء في شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في وجوده ولا في بقائه بل كل شيء فوجوده منه أو مما هو منه فكل شيء سواه هو له مملوك في ذاته وصفاته وهو مستغن عن كل شيء فهذا هو الملك المطلق) ."[2]"

فإن خالق العباد مالكهم بلا ريب ، والمالك يقتضي ملكه أن يكون أمره مطاعا وكلامه مسموعا وهذا الأمر معهود في عرف البشر ، فالملك بيده ما لا يملكه كثير من الناس كالسلطة والمال والجاه والأعوان ولا يتجرأ أحد رفض أوامره أو الاعتراض عليها .

فكيف إذا كان هذا الملك يملك أضعاف ما يملكه ملوك الدنيا ، بل إن بيده ما لا يستطيعون فعله لأحبابهم ولو كانوا أقرب الناس إليهم من دفع الضر وجلب النفع ومنع الأجل إذا جاء موعده .

فإن المخلوقات والعباد عموما إذا علموا ذلك من رب العالمين توجهوا بقلوبهم إليه وانقادوا له حبا وشوقا لما يقتضيه ملكه معهم ، فهو ينعم ويرزق وينصر ويلطف بأحوالهم ويعلم بها فيلبي لهم حاجاتهم قبل أن يطلبوها ، لذلك تسللت محبته إلى قلوبهم بلا إذن وانقادت جوارحهم طواعية وأحبوا كل أمر من مالكهم ولم يفكروا قط في معارضة أمره وارتكاب نهيه .

---

[1] - المفردات في غريب القران للأصفهاني ص774-775
[2] - المقصد الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص66

٣. التدبير

في اللغة : النظر في عواقب الأمور .

يقال دبّر الرجل أمره إذا نظر إلى ما تؤول إليه عاقبته ."[١]"

وفي الاصطلاح :

جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** ﴾ "[٢]"

أي يدبر يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحرى للصواب الناظر في أدبار الأمور وعواقبها ، كي لا يدخل في الوجود ما لا ينبغي . "[٣]"

وقيل مدبرًا للأمور : أي قاضيًا في خلقه ما أحب ، لا يضاده في قضائه أحد ، ولا يتعقب تدبيره متعقب ، ولا يدخل أموره خلل . "[٤]"

وقيل تدبيره لا إله إلا هو إنما هو الإنفاذ لأنه قد أحاط بكل شيء علما "[٥]"

وقيل التدبير القضاء والتقدير ، والتفكر في أدبار الأمور بمعنى عواقبها . "[٦]"

يتبين لنا مما سبق أن التدبير هو كل قضاء يقضيه الله في مخلوقاته وما يقدره لهم بحكمته تعالى التي لا تكون عاقبتها إلا إلى خير .

فدل هذا على أن تصريفه في خلقه وإمدادهم بالرزق وجلب المنافع ودفع المضار وتقدير الآجال غيره مما يكون من أفعال ربوبيته يسمى تدبيرا .

---

[١] - راجع كتب اللغة تحت مادة (دبر) . العين للفراهيدي 33/8 ، مختار الصحاح للرازي ص101 ، التعريفات للجرجاني ص54 ، الصحاح للفارابي 655/2 ، مجمل اللغة لابن فارس ص345 ، مقاييس اللغة لابن فارس 324/2 ، لسان العرب لابن منظور 273/4 ، تاج العروس للزبيدي 265/11 ، القاموس المحيط للفيروزابادي ص390 ، القاموس الفقهي لسعدي أبو حبيب ص128 ، ومعجم الفروق اللغوية للعسكري ص121 .

[٢] - سورة يونس (3)

[٣] - الكشاف للزمخشري 328/2 ، ومفاتح الغيب للرازي 192/17

[٤] - جامع البيان في تأويل القران / محمد بن جرير الطبري 114/12

[٥] - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / أبو محمد عبد الحق بن عطية 104/3

[٦] - تفسير مجاهد ص379 ، تأويلات أهل السنة للماتريدي 7/6 ، تفسير القران للسمعاني 366/2 ، تفسير ابن أبي حاتم 1926/6 ، تفسير التستري ص67 ، الكشف والبيان عن تفسير القران للثعلبي 118/5 ، الوجيز للواحدي ص489 ، الهداية إلى بلوغ النهاية للقرطبي 3215/5 ، المفردات في غريب القران للأصفهاني ص307

يقول الشيخ العلامة السعدي "[1]" في قوله تعالى (**يدبر الأمر**) :

(في العالم العلوي والسفلي من الإماتة والإحياء، وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين الناس، وكشف الضر عن المضرورين، وإجابة سؤال السائلين ، فأنواع التدابير نازلة منه وصاعدة إليه ، وجميع الخلق مذعنون لعزه خاضعون لعظمته وسلطانه) ."[2]"

ومما يدخل تحت التدبير من بقية أفعاله "[3]" مايلي :

(**الرزق**)

المعنى اللغوي :

رزق : رزق الله يرزق العباد رزقا اعتمدوا عليه

وقيل : رزق : إذا أخذ الجند أرزاقهم قيل : ارتزقوا رزقة واحدة أي مرة . "[4]"

وقيل : الرزق معروف وهو ما ينتفع به والجمع الأرزاق ، والرزق العطاء ، وهو مصدر قولك : رزقه الله . "[5]"

في الاصطلاح :

هو اسم لما يسوقه الله تعالى للمخلوق ، وقيل هو كل ما يصل إلى صاحبه بلا كد ولا تعب .

وقال الراغب الأصفهاني : (يقال للعطاء الجاري تارة دنيويا كان أم أخرويا ، وللنصيب تارة ، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة) "[6]"

---

[1] - هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم ، ولد في عنيزة في القصيم ، سنة 1307 هـ ، تربى يتيماً ونشأ نشأة حسنة ، اشتغل في التعلم على علماء بلده وعلى من قدم بلده من العلماء ، فدرس على يد الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر ، والشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل ، والشيخ صالح بن عثمان القاضي (قاضي عنيزة) وغيرهم ، فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فنون العلم ، من أشهر مؤلفاته تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، القواعد الحسان لتفسير القران ، الدرة المختصرة في محاسن الإسلام وغيرها وكانت وفاته بعنيزة عام1376 هـ

[2] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص357

[3] - نذكر هنا بعضا منها ، إذ أن أسمائه تعالى جلّها إن لم يكن كلها دال على ربوبيته وإفراده بالعبادة .

[4] - العين للفراهيدي 89/5 ، جمهرة اللغة 707/2 ، تهذيب اللغة 326/8 ، المصباح المنير 325/1 .

[5] - الصحاح 1481/4 ، مجمل اللغة 373/1 ، مقاييس اللغة 388/2 ، تاج العروس 325/25 .

[6] - المفردات في غريب القران للأصفهاني ص351

والرزق يشمل الأرزاق المادية كالمأكول والمشروب والملبوس وكل ما ينتفع به الحيوان وهو عام لكل الخلائق في العالمين إنسهم وجنهم برهم وفاجرهم وجميع الدواب وكل مخلوق ذي روح .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾ "[1]"

والمعنوية كالعلم والهداية والمعارف ، وهذا خاص لا يكون إلا لأوليائه تعالى يرزقهم التوفيق والإيمان والتوحيد فهو رزق نافع في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ "[2]"

والله تعالى هو الرازق والمتكفل بإيصال الأرزاق إلى مخلوقاته كافة بتدبير أمور معاشهم وهو الموصل لهم أقواتهم ، ومنه سمي اسم الله تعالى (**الرزاق**) لأنه الرازق الحقيقي وما عند العباد ما هو إلا كسب أيديهم وصورة من صور جلب الأرزاق المقدرة والمقسمة من عنده تعالى .

والعباد إن علموا أنه تعالى رازقهم ومالك خزائن السماوات والأرض ومقسم أرزاقهم ولن ينسى أحدا من خلقه ، اطمأنت نفوسهم إليه وأذعنت قلوبهم له حبا وتعلقا ، لأنهم ضمنوا ما يكفل بقاءهم في الدنيا ويكفل صحة أبدانهم وقوامها ، فيعيشون امنين ، مطمئنين إلى أن ربهم لن يهلكهم جوعا ، فإن كان ربهم يطعم الطير في وكناتها والسباع في فلواتها والأسماك في البحار والديدان في الصخور ، فكيف بهم وقد أكرمهم وأثنى عليهم واعتبرهم من أفضل خلقه .

وهذا الذي يدعو إلى الاستسلام والاعتراف بفضل خالقهم عليهم ويعلموا استحقاقه للربوبية والتوحيد

(الإحياء)

في اللغة :

حي حرفان أصليان وهو خلاف الموت ، والحي الحياة والحيوان وهو ضد الموت والموتان .

ويسمى المطر حيا لان به حياة الأرض .

وقيل الحياة نقيض الموت ، والحي من كل شيء نقيض الموت والجمع أحياء . "[3]"

---

[1] - سورة هود (6)

[2] - سورة الذاريات (58)

[3] - مقاييس اللغة 122/2 ، المحكم والمحيط الأعظم 397/3 ، القاموس المحيط ص1277 ، تاج العروس37/508-509 .

والحيوان كل ذي روح ناطقا كان أو غير ناطق مأخوذ من الحياة ، وقيل هي الحياة التي لا يعقبها موت وقيل الحيوان هنا مبالغة في الحياة كما قيل للموت الكثير موتان ."[١]"

والإحياء إحياء الله تعالى . من قوله تعالى : ﴿ **فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** ﴾ "[٢]"

في الاصطلاح :

الحي والحياة لها عدة معان بحسب أوجه استعمالها :

هي القوّة النّامية الموجودة في النّبات والحيوان ومنه قيل : نبات حَيٌّ

قال تعالى : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾ "[٣]"

وهي القوّة الحسّاسة ، وبه سمّي الحيوان حيوانا ومنه قوله تعالى :

﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ** ﴾ "[٤]"

وهي القوّة العاملة العاقلة ، قال تعالى : ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ** ﴾ "[٥]"

وتأتي بمعنى ارتفاع الغم ، وهي الحياة الأخروية الأبدية مثل قوله تعالى :

﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾ "[٦]"

وهي الحياة التي يوصف بها الباري ، ومنه اسم الله تعالى (**الحي**) وهو من لا يصح عليه الموت وذلك له وحده جل شأنه ."[٧]"

وقيل الحي الذي أحيا الخلق وأوجد فيهم الحياة ، وأحيا الموات بإنزال الحياة وإنبات العشب ومنه قوله تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾ "[٨]" "[٩]"

---

[١] - المصباح المنير 160/1

[٢] - سورة البقرة (28)

[٣] سورة الحديد (17)

[٤] - سورة فاطر (22)

[٥] - سورة الأنعام (122)

[٦] - سورة الأنفال (24)

[٧] - المفردات في غريب القران ص268-269

[٨] - سورة الملك (2)

[٩] - تفسير أسماء الله الحسنى / إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج ص56

والإحياء :

عبارة عن تهييج القوة النامية وإثارتها وهو التحقيق ، لأنه لا تزول القوى النامية بل تنعزل عن العمل ، فالحياة هيجانها والموت فتورها ."[1]"

ويرجع معناه إلى الإيجاد ، والموجود إن كان هو الحياة يسمى فعله إيجاد ، وإذا كان الموت سمي إماتة ولا خالق للموت والحياة إلا الله فلا محيي ومميت إلا هو . "[2]"

والإنسان إذا علم معاني الحياة ، وأدرك وأوقن أنه تعالى متصف بها أنزل به حوائجه والتجأ إليه في كل أحواله لأنه يعلم أن الذي لجا إليه لن يلحقه الموت والهلاك فتنقطع منفعته بموته ، فيتوكل عليه ويدعوه ويخشع ويتذلل عنده ، وهذه العبادات لا تكون إلا بعد استسلام القلب وانقياده للربوبية وإيمانه بها .

(الإماتة)

في اللغة :

الموت ضد الحياة ، والموتان خلاف الحيوان"[3]"

وقيل الموت ذهاب القوة من الشيء وهو خلاف الحياة ، والموتان الأرض لم تحي بعد بزرع ولا إصلاح ."[4]" ، وهو خلق من خلق الله "[5]"، وقيل الموت السكون والنوم والبِلَى ."[6]"

والإماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء ، أَو التصيير كالتصغير وَالتكبير ."[7]"

---

[1] - الكليات ص858

[2] - المقصد الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى / أبو حامد محمد الغزالي ص131

[3] - الصحاح 266/1-267 ، مجمل اللغة 819/1 ، المعجم الوسيط 891/2

[4] - مقاييس اللغة 283/5

[5] - لسان العرب 90/2 ، تاج العروس 98/5

[6] - القاموس المحيط 160/1 ، تاج العروس 98/5-99 ، المعجم الوسيط 890/2 ، مجمع بحار الأنوار 626/4

[7] - الكليات ص858

في الاصطلاح :

له معان بحسب أنواع الحياة :

ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوانات والنبات

كقوله تعالى : ﴿ **وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾ "[1]"

وهو زوال القوة الحاسة ، كقوله تعالى : ﴿ **يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا** ﴾ "[2]"

وزوال القوة العاقلة ويسمى بالجهالة ، كقوله : ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ** ﴾ "[3]"

وهو الحزن المكدر للحياة ، كقوله تعالى : ﴿ **وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ** ﴾ "[4]"

ويأتي بمعنى المنام

ومنه قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا** ﴾ "[5]""[6]"

فالإماتة تعني :

أن الحياة في حالتي اليقظة والنوم ؛ هو أنه جعل النوم الذي يكون معه زوال العقل ، وسكون الحركات بمنزلة الموت الذي يكون به عدمها وبطلانها ؛ تشبيها وتمثيلا لا تحقيقا ."[7]"

وكل الناس بلا شك يدركون أن الموت قوة وإرادة خارجة عن أراد البشر لا يمكن لأحد أن يردها أو يعلم بمجيئها مهما بلغ من القوة والعلم .

وهذا يبين لنا أن الله وحده هو المتفرد بذلك ولا يقدر عليه احد سواه ، فإذا اعتقد الإنسان ذلك وتفكر في الموت وعلم انه يأتي بغتة ويأخذ اقرب الناس إليه وينهي تأملاته وتعلقه بالدنيا ، لم يجد أحدا يلجا إليه أو يستعين به سوى الله ، لان الأمر بيده أولا وآخرا وكل شيء في هذه الدنيا مقسوم له رزقه وأجله لن يتقدم عنه ولن يتأخر كائنا من كان .

فإن علم ذلك انتزع من قلبه حب الدنيا وتعلقه بها وأورثه ذلك الشجاعة والإقدام عند مواجهة العدو لأن حياته وأجله بيد ربه .

[1] - سورة الروم (19)
[2] - سورة مريم (23)
[3] - سورة الأنعام (122)
[4] - سورة إبراهيم (17)
[5] - سورة الزمر (42)
[6] - المفردات في غريب القران للأصفهاني ص781 ، النهاية في غريب الحديث لابن الاثير 369/4
[7] - المجموع المغيث في غريبي القران والحديث / محمد بن عمر الأصبهاني 325/3

(النفع)

في اللغة :

النفع كالمنع : ضد الضر ، وهو ما يستعان به في الوصول إلى الخير ، وقد نفعه نفعا وانتفع به ، والاسم منه : المنفعة ."[١]"

اصطلاحا :

النفع ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات ، وما يتوصل به إلى الخير فهو خير ، فالنفع خير ، وضده الضر.

قال تعالى : ﴿ **وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا** ﴾ "[٢]""[٣]"

وفي أسماء الله تعالى (**النافع**) هو الذي يوصل النفع إلى من يشاء من خلقه حيث هو خالق النفع والضر والخير والشر."[٤]"

(الضر)

في اللغة :

الضر والضر لغتان ، فإذا جمعت بين الضر والنفع فتحت الضاد ، وإذا أفردت الضر ضممت الضاد ، كقولك ضُررت ضرا ، قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ** ﴾ "[٥]"

والضُّر المرض والهزال وسوء الحال فهو مضرور وضرير .

قال تعالى : ﴿ **مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ** ﴾ "[٦]"

والضرر : النقصان يدخل في الشيء ، تقول : دخل عليه ضرر في ماله ."[٧]"

---

[١] - تاج العروس 268/22 ، العين 158/2 ، الصحاح 1292/3 ، مقاييس اللغة 463/5 ، تهذيب اللغة 6/3 ، المحكم والمحيط الأعظم 187/2 ، لسان العرب 358/8

[٢] - سورة الفرقان (3)

[٣] - المفردات في غريب القران ص819

[٤] - النهاية في غريب الحديث والأثر 98/5

[٥] - سورة يونس (12)

[٦] - سورة يوسف (88)

[٧] - العين 7-6/7 ، جمهرة اللغة 122/1 ، تهذيب اللغة 314/11 ، الصحاح 2/719-720 ، مجمل اللغة 561/1 ، مقاييس اللغة 360/3 ، المحكم والمحيط الأعظم 148/8 ، أساس البلاغة 580/1 ، لسان العرب 482/4 ، القاموس المحيط 428/1 ، تاج العروس 12/384-385 ، المعجم الوسيط 538/1 ، مجمع بحار الأنوار 395/3 .

اصطلاحا :

الضر : سوء الحال ، إما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة ، وإما في بدنه لعدم جارحة ونقص ، وإما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه ."[1]"

وفي أسماء الله تعالى (**الضار**) هو الذي يضر من يشاء من خلقه ، حيث هو خالق الأشياء كلها خيرها وشرها ونفعها وضرها ."[2]"

يقول الإمام الغزالي في اسم الله تعالى (**الضار**) : (هو الذي يصدر منه الخير والشر والنفع والضر وكل ذلك منسوب إلى الله تعالى إما بواسطة الملائكة والإنس والجمادات أو بغير واسطة فلا تظنن أن السم يقتل ويضر بنفسه وأن الطعام يشبع وينفع بنفسه وأن الملك والإنسان والشيطان أو شيئا من المخلوقات من فلك أو كوكب أو غيرهما يقدر على خير أو شر أو نفع أو ضر بنفسه بل كل ذلك أسباب مسخرة لا يصدر منها إلا ما سخرت له) "[3]"

فإن من يقف عند هذين الاسمين النفع والضر ويتمعن ويبصر فيهما ، يجد ويلاحظ قدرة الله تعالى وحكمته العالية التي توصله إلى مقام العبودية والذل والخضوع الحقيقي للخالق تعالى .

لأنه يوقن أنه نفعه ومصالحه في الدنيا لا تتم إلا على يديه ، وانه مهما اجتمعت عليه الخلائق فأنهم لن يضروه إلا إذا إذن الله لهم بضره .

وبهذا نكون قد بينا معنى توحيد الربوبية والأسماء التي تدخل تحت معاني ربوبيته تعالى وهي في مجملها كما ذكرنا .

الخلق والملك والتدبير .

[1] - المفردات في غريب القران ص503

[2] - النهاية في غريب الحديث 81/3

[3] - المقصد الأسنى ص145

التعريف الثاني وشرحه :

إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير "[1]"

والجمع في هذا التعريف للأفعال الثلاثة لأنها تستوجب إفراد الله تعالى بجميع معاني الربوبية اللغوية والشرعية ونفي الشرك عنها فيها ، فتشمل أفعاله المتعلقة بمشيئته كالخلق والتدبير ، وكذلك صفاته الذاتية كالملك والقيومية والصمدية وغيرها .

فإفراده بالخلق

يعني اعتقاد العبد أنه لا خالق إلا الله ، وأنه لم يخلق الخلق إلا ربهم وحده لم يشاركه أحد في فعله .

والآيات التي تدل على تفرده سبحانه بالخلق كثيرة جدا نذكر بعضا منها .

قال تعالى : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴾ "[2]"

وقال تعالى : ﴿ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ** ﴾ "[3]"

وقال : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ "[4]"

وقال فيما يدل على استحقاقه نفي الشريك بمقتضى ربوبيته وخلقه :

﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ "[5]"

وإفراده بالملك

اعتقاد أن لا مالك إلا الله وحده ، فهو مالك كل شيء ولا مالك غيره ، ولا يملك الخلق إلا خالقهم ، فهو وحده من يملك النفع والضر والحياة والموت .

قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ "[6]"

وقال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا** ﴾ "[7]"

---

[1] - هو اختصار لتعريف الربوبية وعام شامل ، فالتدبير يدخل فيه كل أفعال ربنا تعالى غير الخلق والملك .

[2] - سورة الطور (35)

[3] - سورة فاطر (3)

[4] - سورة الزخرف (87)

[5] - سورة غافر (62)

[6] - سورة آل عمران (189)

[7] - سورة المائدة (17)

وقال أيضا في ملكه الإحياء والإماتة : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ** ﴾ "[١]"
وقد أثنى سبحانه على نفسه بتفرده بالملك فقال : ﴿ **قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ "[٢]"

وإفراده بالتدبير

يعني اعتقاد العبد أن لا مدبر إلا الله وحده ، ولا يملك أحد التصرف في الكون إلا الله ، وكل شيء بتدبيره وحده جل شأنه ، فالرزق من تدبيره وتسخير المخلوقات بعضها لبعض من تدبيره ، واللطف بهم ورحمتهم من تدبيره وتفرده بإجابة الدعاء تدبير لخلقه .
وقد بينا من قبل ما يدخل في التدبير من أفعال ما يغني عن إعادته ها هنا .
وقد أثبت ربنا التدبير لنفسه في قوله تعالى :
﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** ﴾ "[٣]"
وقال تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** ﴾ "[٤]"

---

[١] - سورة التوبة (116)
[٢] - سورة المؤمنون (88)
[٣] - سورة يونس (3)
[٤] - سورة الرعد (2)

التعريف الثالث / توحيد الله بأفعاله

وأفعاله كالخلق والملك والرزق وغيرها ، تم توضيحها وتفصيلها في التعريف الأول .

وجميع ما ذكرنا يدل على توحيد الربوبية سواء كان التعريف مفصلا كما في الأول ، أو مختصرا كما في الثاني ، أو مجملا مقتصرا على أفعاله تعالى .

المبحث الثاني

منكروا الربوبية والمشركون بها

المطلب الأول / منكروا الربوبية

لما ذكرنا أن توحيد الربوبية فطريا ، بمعنى أنه موجود في نفوس الخلائق جميعا ولا يستطيع احد إنكاره أو دفعه عنه ، إلا أن هناك طائفة اعتبرت من شواذ المخلوقات أنكروه ولم يعترفوا به .

وإنكارهم هذا ليس إلا إنكار بالألسنة وقلوبهم معترفة بالله بمقتضى الفطرة

ومن أشهرهم :

فرعون "[1]"

حيث ادعى الربوبية ، قال تعالى على لسانه : **﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾** "[2]"

وقال أيضا في ادعائه الربوبية : **﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾** "[3]"

وكلامه هذا كان مجرد دعوى ، لم تستند إلى بينة أو تُسْتَقى من دليل، بل هو نفسه كان موقنا بغير ذلك ويعلم أن الله هو الحق ، لكنه الطغيان والمكابرة والعناد .

قال تعالى : **﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾** "[4]"

فجحدهم لم يكن مستندا إلى الشك والريب بل يعلمون يقينا بالحق الذي جاء به الرسل ، وإنكارهم إنما هو ظلما لأنفسهم واستكباراً عن قبول الحق ."[5]"

الشيوعيون

والشيوعية مذهب فكري يقوم على الإلحاد وان المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي .

وضعت أسسها الفكرية على يد كارل ماركس ، ساعده في ذلك فردريك انجلز ثم لينين قائد الثورة ، ثم ستالين وتروتسكي .

---

[1] - من أكبر الطغاة والمعاندين في الأرض ، ادعى الربوبية والملك أمام ملاءه ، بعث الله تعالى نبيه موسى عليه السلام حتى يدعوه إلى توحيد الله لكنه ازداد عنادا ومكابرة ، أغرقه الله تعالى في البحر بعد أن أنجى موسى وبني إسرائيل وحررهم من بغيه .

[2] - سورة القصص (38)

[3] - سورة النازعات (24)

[4] - سورة النمل (14)

[5] - تفسير السعدي ص602 ، في ظلال القران / لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي 2630/5

يعتقدون إنكار وجود الله تعالى وكل الغيبيات ، ككفر فرعون ظاهرا ، شعارهم نؤمن بثلاثة ماركس ولينين وستالين ونكفر بثلاثة الله والدين والملكية الخاصة .
يحاربون الأديان ويعتقدون أنها وسيلة لتخدير الشعوب ، ويقولون بنسبية الأخلاق ، ويعتقدون بأنه لا آخرة ولا ثواب ولا عقاب إلا في الدنيا .
ويحاربون الملكية الفردية ويركزون اهتمامهم بكل ما يتعلق بالمادة وأساليب الإنتاج ."[1]"

وهذه المعتقدات بلا شك مخالفة أولا للفطر السليمة التي وجدت الخلائق عليها ، وآيات الله تعالى وعلاماته في كل حركة وسكون في هذا الكون لا تخفى على أحد .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

فلا صحة لما يدعون من الإيمان بالمادة وبكل مشاهد محسوس ، والمادة والكون محال أن توجد صدفة أو لا يكون لها مدبر ، فكل حركة في الكون لها محرك وكل موجود على الأرض له واجد .
والنفوس جميعها أيضا مفطورة على حب كل جميل حسن والسعي وراء ما ينفع النفس لا ما يضرها والأخلاق الحميدة يستحسنها كل الناس مؤمنون كانوا أو كافرون ولو لم يعملوا بها .
والله جعل في نفس كل مخلوق ما يستطيع أن يصل به إلى ربه ويستسلم له كخلق الإنسان نفسه وما أوجد من الطبيعة حوله إضافة إلى الفطرة .
قال تعالى مبينا ذلك : ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ "[2]"
لكن هو الجحود والإنكار والتعالي على الله وحده كما ذكرنا .

[1] - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة / الندوة العالمية للشباب الإسلامي 2/919-921
[2] - سورة الذاريات (20-21)

المطلب الثاني / المشركون في توحيد الربوبية

فهذه الطوائف لم تنكر وجود الله إنما أشركت معه في شيء من خصائص ربوبيته أو ألوهيته .

المجوس (الثنوية والمنوية) :

أما المجوس فقد قالوا بالأصلين : أي اثبتوا للعالم مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر ، والنفع والضر ، والصلاح والفساد ، سموا أحدهما النور والآخر الظلمة ، وجميع المسائل عندهم تدور على هاتين القاعدتين (النور والظلمة) "[1]"

وزعمت الثنوية أن النور والظلمة أزليان قديمان ، بخلاف المجوس الذين قالوا بحدوث الظلام ، لكن قالوا باختلافهما في الجوهر ، والطبع ، والفعل ، والخبر ، والمكان ، والأجناس ، والأبدان ، والأرواح ، ولم يقولوا بتماثلهما في الصفات والأفعال وإن قالوا بتساويهما في القدم ."[2]"

والمانوية أتباع ماني بن فاتك الحكيم وكان يقول أن العالم مصنوع من أصلين قديمين النور والظلمة ، وأنكر وجود شيء في الكون إلا من أصل قديم .

وزعم أنهما لا يزالان قويين حساسين مدركين سميعين بصيرين ، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان ، وفي الحيز متحاذيان تحاذي الشخص والظل .

ومتفقون على أن النور أفضل من الظلمة ، وهي الإله المحمود ، وأن الظلمة شريرة مذمومة ، وتنازعوا في الظلمة، هل هي قديمة أو محدثة .

وجميع هذه الطوائف مشركة بالله في ربوبيته لأنها أثبتت للعالم ربين أو إلهين أو مدبرين يصدر عنهما بقية الأفعال .

وقد نفى سبحانه وتعالى ذلك في قوله :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ "[3]"

وقال تعالى : **﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾** "[4]"

---

[1] - الملل والنحل / أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني 37/2

[2] - نفسه 49/2

[3] - سورة الأنبياء (22)

[4] - سورة المؤمنون (91)

وهذا يبين استحالة وجود الهين أو مدبرين في العالم الواحد وإلا طاله الخلل والفساد والفوضى ، لان ذلك متمانع متعارض وإذا أراد احدهما تدبير شيء وأراد الآخر عدمه فانه يستحيل وجود مرادهما معا ، وإذا وجد مراد أحدهما دل على عجز الآخر وضعفه ، وأيضا اتفاقهما في جميع الأحوال غير ممكن ، فيتبين أن الذي يظهر مراده هو القوي والقاهر على غيره وهو الذي ينفذ مراده دون ممانعة ولا مدافعة وهو الله وحده لا شريك له . "[١]"

النصارى :

أو النصرانية : دين محرف ممن يزعمون أنهم أتباع المسيح

فالعقيدة الصحيحة المنزلة على جميع الرسل بما فيهم عيسى عليه السلام تدعو إلى توحيد الله وتنهى عن الشرك وعبادة الطواغيت ، لكن النصرانية الصحيحة مرت بمراحل واضطهادات حتى وصلت إلى ما نراه اليوم و جاءت بعقيدة محرفة وادّعت زورا أنها منزلة من عند الله وأنه تعالى أمرهم بها وهي عقيدة التثليث .

والتي تعني عبادة ثلاثة آلهة بدلا من واحد – الأب (الله) والابن (عيسى) وروح القدس (جبريل) – فاعتقادهم في المسيح عيسى عليه السلام انه ابن الله ، وروح القدس جبريل عليه السلام الذي حل في مريم عليها السلام إله مع الله وبذلك أصبحوا ثلاثة أقانيم واعتبروها هي التوحيد .

ثم عجزوا عن تفسيرها وانقسموا إلى طوائف وفرق وكفّرت كل طائفة الأخرى بهذا الشأن .

وقد أنكر الله تعالى عليهم ذلك وبين كفرهم وضلالهم فقال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ "[٢]"

فالنصارى امنوا بالرب الخالق ووحدوه لكنهم أشركوا معه آلهة غيره في عبادته ، فوقعوا في الشرك الذي نهى عنه ربنا وما أنزل به من سلطان .

[١] - تفسير السعدي ص521

[٢] - سورة المائدة (73)

القدرية :

هي طائفة تكلمت في القدر أو بالأصح في قدرة الله تعالى تجاه عباده ، وسموا بذلك لأنهم كانوا ينفونه عن الله تعالى .

ووجه اعتبارهم من المشركين بربوبيته تعالى أنهم ينزهون الله عن خلق الشر والمعاصي التي تقع من العبد لان القدر من أفعال الله تعالى وكذلك من خلقه ، فالله خالق العبد وخالق فعله لكن القدرية نفت قدرة الله على العبد واعتبرته خالقا لأفعاله .

يقول الله تعالى : **﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾** "[1]"

وأفعال العباد داخلة في عموم خلقه تعالى ، وقال أيضا : **﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾** "[2]"

الفلاسفة الدهرية :

هي من الطوائف التي اعترفت بوجود الخالق وحده ، أو الصانع الأول كما يزعمون ، وطائفة منهم أنكرت الخالق والبعث والإعادة لكنهم أوكلوا وأسندوا حوادث الكون كلها وما يحدث فيه إلى الدهر ، فأشركوا مع الله تعالى غيره في التدبير والتصرف في الكون الذي هو من خصائص ربوبيته .

قال تعالى عنهم : **﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾** "[3]"

فزعمت هذه الطائفة أن الدهر والزمان هو المتصرف في أمورهم ، فأنكروا البعث وقدرة الله وتدبيره في عباده بهذا الشأن ، وقولهم هذا لا حجة عليه ولا دليل وما هي إلا ظنون أبعد ما تكون عن الحقيقة التي عجزوا عن إدراكها . "[4]"

وقد رد الله عليهم وأجابهم بضرورات عقلية فكرية لا يمكن أن يجهلها احد ، والقران الكريم لو تدبرناه حق التدبر وجدناه مليء بمثل ذلك .

قال تعالى : **﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾** "[5]"

---

[1] - سورة الزمر (62)
[2] - سورة الصافات (96)
[3] - سورة الجاثية (24)
[4] - تفسير السعدي ص777
[5] - سورة الأعراف (185)

فهذه الآية تبين أنه ما من شيء في المخلوقات إلا ويدل على الله وكل جزء من أجزائه يدل على رحمته وحكمته وإحسانه وقدرته ونفوذ مشيئته في خلقه وعلى تفرده وحده بالخلق والتدبير ."[١]"
ودعاهم فيها أيضا إلى النظر في أنفسهم لعل الأجل قد اقترب والموت يأتي فجأة ليسارعوا إلى إدراك أنفسهم والنجاة بها بالتوحيد والتسليم قبل الهلاك كي لا يأخذهم ربهم ويحاسبهم ليعلموا بعدها أنهم ما خلقوا إلا للبعث والحساب والجزاء الذي أنكروه .
وقال تعالى أيضا : ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ** ﴾ "[٢]"
وقال تعالى مخبرا أن الذي خلقهم في المرة الأولى لا تعجزه إعادتهم وبعثهم مرة أخرى فقال :
﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** ﴾ فلما اقروا بأنه الخالق قال رادا عليهم ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ "[٣]"
وقال جل شأنه : ﴿ **أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾ "[٤]"
فاستدل سبحانه بالخلق الأول على النشأة الآخرة ، فالإعادة أهون عليه سبحانه من الابتداء وصدق لما قال : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾ "[٥]"

عبدة الأصنام :

من كفار قريش أو غيرهم على مر التاريخ ممن اتخذ الآلهة والطواغيت من دون الله .
ووجه اعتبارهم من مشركي الربوبية لأنهم اتخذوا غير الله آلهة يقصدونها في جميع الأحوال واعتقدوا فيها ما يملكه رب السموات والأرض من النفع والضر والخير ، فيتقربون إليها ويتبركون بها وينذرون لها لأجل ذلك .
ومع أن ظاهر شركهم في الألوهية وهو اتخاذ الآلهة من دون الله إلا أن هذا الشرك الذي وقعوا فيه متضمن لتوحيد الربوبية .

---
[١] - تفسير السعدي ص310
[٢] - سورة الروم (8)
[٣] - سورة يس (78-79)
[٤] - سورة ق (15)
[٥] - سورة الروم (27)

قال تعالى في شأنهم :﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ** ﴾ "[١]"

حيث بين لهم ربنا باستفهام أنكر عليهم فعلتهم ، إذ كيف يشركون مع الله آلهة لا تستطيع أن تخلق وفوق ذلك هي مخلوقة من قِبَلِهِم ، فكيف يرجون منها نصرا فهي لا تستطيع أن تنصرهم ولا تقدر على النصر لمن عصاها وتعجز عن دفع الأذى عن نفسها .

فهذا يعتبر أسفه السفه وأظلم الظلم ولا يفعل ذلك العقلاء ، لان المنطق يقتضي عبادة الخالق والقادر على النصر والنفع ودفع الضر ."[٢]"

وخاطبهم بأساليب أخرى علها توقظ عقولهم وتنير بصائرهم منها استدلاله تعالى بربوبيته على استحقاقه للعبادة حيث قال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ ثم ذكر جملة من النعم التي أنعم بها عليهم ، فقال :

﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ "[٣]"

وغيرها كثير ، حتى يعلموا بعدها أنه يستحق الشكر عليها بالتوحيد والعبادة وعدم الإشراك به وهو أقل ما يمكن أن يُقَدم له ، لا الجحود والنكران ومبارزته بالمعصية ثم مساواة مخلوقاته به واتخاذها ندا وشريكا معه في طاعته .

ومنها تسفيه الآلهة والتحقير من شأنها وأنها لا تملك شيئا لعابديها وضرب الأمثال التي تبين مكانة التوحيد والإيمان في مقابل الشرك والطغيان .

[١] - سورة الأعراف (191-192)
[٢] - تفسير السعدي ص311
[٣] - سورة البقرة (21-22)

غلاة الصوفية :

من الحركات الدينية التي انتشرت في العالم والتي يعود أصلها إلى الزهد والطاعة والتشدد في العبادة كرد فعل للترف والانغماس في ملذات الدنيا ، ثم تطورت بعد ذلك حتى أصبحت إلى ما نراه اليوم من الطرق والمدارس التي تدعو إلى تربية النفس والسمو بها وتهذيبها حتى تصل إلى الكشف والمشاهدة ."[1]"

واعتبر المغالون في الصوفية مشركين بالله في ربوبيته لادعائهم علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه وحده دون أحد من البشر .

فيزعمون ويدعون أن مشايخهم يعلمون الغيب الذي بزعمهم يغيب عن كثير من البشر إلا من خصه الله به ، وأنهم يعلمون بعواقب الحاجات وما يترتب عليها من المصالح والآفات . "[2]"

ولديهم معتقدات تصل بهم إلى الشرك الأكبر وتخرجهم من الملة ، ومنها قولهم بوحدة الوجود وأن الله تعالى عين خلقه ، يحل بهم في الذات والصفات والأسماء بما يسمى (الاتحاد والحلول)

وان العبد يصير ربا وخالقا بذلك تعالى الله عما يقولون ويفترون علوا كبيرا ."[3]"

أما من ناحية الغيب فإن الله تعالى يقول :

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ "[4]"

فهل مشايخهم أفضل من رسول الله ﷺ لما أخفى ربنا الغيب عنه وهو أفضل خلقه وأظهره لهم .

والنبي ﷺ بين هذا لما قال تعالى على لسانه : **﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾** "[5]"

---

[1] - للاستزادة راجع التصوف المنشأ والمصدر لاحسان الهي ظهير
[2] - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة / من إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي 282/1
[3] - هذه هي الصوفية / ص 22
[4] - سورة النمل (65)
[5] - سورة الأعراف (188)

غلاة الشيعة كالروافض والنصيرية

أما الرافضة فهم طائفة غلت في النبي ﷺ وفي آل بيته وفي علي رضي الله عنه حتى وقعت في الشرك ، وسموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر وقيل لرفضهم الدين .

واعتبروا من المشركين بالربوبية لأنهم اعتقدوا في أئمتهم معرفة الغيب والنفع والضر ، وأنهم إذا شاءوا أن يعلموا علموا ، ويعلمون جميع العلوم علم ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء ولا يموتون حتى يُستأذنون .

وهم بهذا يزعمون أن الغيب المفصل يعلمه أئمتهم وولاتهم ، والغيب التفصيلي في الكون لا يعلمه إلا الله وحده ، وصدق ربي لما قال :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ "[١]"

أما النصيرية الذين يسمون بالعلويين فهي إحدى الفرق المنبثقة من الشيعة الاثنى عشرية الباطنية وسموا علوية لاعتقادهم بألوهية علي رضي الله عنه .

حيث جعلوه الإله الباطن المدبر لأمر الكائنات والعالم بأحوالهم ، وبيده الإحياء والإماتة .

واعتبروه روحا تمثلت في جسد كما يتمثل الملك جبريل عليه السلام في صورة البشر ، ويقدسون قاتله عبد الرحمن بن ملجم لعنة الله عليه وهو بزعمهم خلص اللاهوت من الناسوت ، ويعتقدون أن عليا رضي الله عنه خلق محمد ﷺ وهو بالتالي خلق سلمان الفارسي والأخير خلق الأيتام الخمسة الذين يشيدون بهم ويقدسونهم ."[٢]"

وروح الإله لا تحل في علي رضي الله عنه فقط بل حتى الأئمة من بعده لهم نصيب من ذلك ، لذلك كانوا يعلمون الأسرار الباطنة الغيبية ."[٣]"

وهذا بلا شك شرك عظيم لا يقوله عاقل ، وهم بهذا أغلظ من اليهود والنصارى وأشد ضلالا منهم لان جميع الناس يعلمون من القائم بالسموات والأرض ومدبر أمورهما ومن يعلم الغيب وحده ومن بيده كل شيء وهو القادر على كل شيء وحده لا شريك له .

---

[١] - سورة الأنعام (59)

[٢] - وهم المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وقنبر بن كادان رضي الله عنهم . للاستزادة انظر النصيرية تاريخها وعقائدها للدكتور سليمان الحلبي ص47 ، لمحمد بن إبراهيم الحمد .

[٣] - النصيرية تاريخها وعقائدها / الدكتور سليمان الحلبي ص48

الدروز

هي طائفة إسماعيلية الأصل ، انشقت عنها واتخذت لها مبادئ تخالف في ظاهرها مبادئ الإسماعيلية يقولون بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي ويعتقدون أن له حقيقة لاهوتية لا تدرك بالحواس ولا بالأوهام ولا بالرأي ولا بالقياس ومهما حاول الإنسان لا يستطيع معرفة كنهها لأن هذا اللاهوت ليس له مكان ولا يخلو من مكان ، وهو ليس بظاهر كما أنه ليس بباطن ."[١]"

وينكرون وجود اله في السماء بل يرون أن عين العدل أن يظهر الإله بالصورة الناسوتية لعباده رأفة بهم وطمأنينة لهم ولا أن يحتجب عنهم فوق سبع سماوات ثم يأمرهم بعبادته ، وزعموا أن كل من أقر بذلك كان من الموحدين الفائزين . "[٢]"

ومذهب طوائف الدروز بلا شك هو كفر صريح والحاد عريض كان يسيطر على المجتمع الإسماعيلي ، وفكرة تجسد الإله في صورة الإنسان فكرة مستقاة من الفلسفات والمذاهب الوثنية المشركة .

وفيها جرأة على الله تعالى لما قال عن نفسه : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ "[٣]"

معتقدات تناقض توحيد الربوبية

أ. من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب

كاللذين يتتبعون الأبراج أو ما شابهها ويقرؤون أسبوعيا أو شهريا حياتهم كيف ستكون بناء على البرج أو القمر فيصدقون ذلك ويبنون حياتهم على العلم المسبق ويتخاذلون ويتفاءلون تبعا لذلك .

أو المسابقات التي تسعى إلى الترويج الزائف من خلال الإعلان عن الحظوظ ومعرفة نسبة حظوظك في الحياة من خلال الاسم أو شهر الميلاد .

أو حتى الاستسقاء بالنجوم واعتقاد أنها مصدر للسقيا والرزق من دون الله تعالى .

قال تعالى عن هؤلاء : ﴿ **وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ** ﴾ "[٤]"

حيث جعلوا شكر الله على رزقه إياهم التكذيب ، وجحدوا نعمته وكفروا بها لما أضافوها لغير مسديها ومنه قول القائل : جعلت إحساني إليك إساءة منك إلي ."[٥]"

[١] - الحركات الباطنية في العالم الإسلامي / للدكتور محمد أحمد الخطيب ص223
[٢] - نفسه ص228-229
[٣] - سورة الشورى (11)
[٤] - سورة الواقعة (82)
[٥] - تفسير الطبري 153/23

وقال ﷺ : ((**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**)) "[1]"

فهؤلاء مشركون بالله في ربوبيته لأنهم اعتقدوا معرفة الغيب ونازعوا الله تعالى فيما اختصه لنفسه .

وهذا وان كان ادعاء للغيب ، ففيه تواكل وتشاؤم حيث يعتمد الشخص فيه على ما سيصيبه في هذا الشهر ويتخاذل عن العمل أو السعي لنيل ما يريد .

وقد نهى عنه النبي ﷺ لما حرم الطيرة ودعا إلى التفاؤل فقال :

((**لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل الصالح : الكلمة الحسنة**)) "[2]"

فكان ينهى عن التشاؤم ويدعو إلى التفاؤل والإنسان وان لم يكن يعرف مصير حياته أو مستقبله هو مأمور بالتفاؤل والاستبشار والسعي في الدنيا والتوكل على الله وحسن الظن به .

والغيب كما نعلم لا يعلمه إلا ربنا وحده لا كاهن ولا عراف ولا منجم وان ادعوا الاستعانة بالجن أو الأحوال الفلكية حتى يغررون الناس أو ينتفعون من وراءهم .

كل ذلك شرك في الربوبية؛ لأنه ادعاءٌ لعلم الغيبِ، والغيبُ لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

ب. القانونيون

الشريعة الإسلامية بلا شك من أفضل الشرائع لأنه الله تعالى هو المشرع وليس احد غيره ، وما أرسل الرسل وأنزل الكتب إلا لتوضيح هذه الشريعة وبيانها للبشر كي تصلح حياتهم وتستقيم وتهتدي .

أما حين تأتي طوائف من البشر وتظن أن أحكام الشريعة ليست قابلة للعمل أو أنها قابلة للتطبيق في زمن دون آخر فهذا يعتبر محاربة لله ورسوله في حكمه ، والأدهى من ذلك أن يخرج من المسلمين من ينادي بهذا الأمر ويدعو إلى وضع القوانين التي تخالف الشريعة أو تتناسب مع مقتضيات العصر .

قال تعالى : ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** ﴾ "[3]"

وقال أيضا : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ "[4]"

---

[1] - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء /ح71/ج1/ص83

[2] - أخرجه البخاري في كتاب الطب / باب الفأل / ح5756/ج7/ص135 ، ومسلم في كتاب السلام / باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم /ح2224/ج4/ص1746

[3] - سورة الأنعام (57)

[4] - سورة المائدة (50)

فمثلهم من يدعو إلى سفور المرأة والدعوة إلى خروجها في ميادين الرجال ومساواتها بهم واختلاطها ويقيم اللجان والمؤتمرات حتى يصل لمبتغاه ، أو يدعو إلى التعامل بالربا أو يمنع حكما شرعيا حدته الشريعة كتعدد الزوجات أو بعض العقوبات كالقصاص وحد الرجم والسرقة وما شابه ذلك .

فالحكم بما أنزل الله واجب على جميع الناس ، ولا يمكن لأحد أن يخرج عن هذه الشريعة بل لا بد أن يسلم بها راضيا بحكم الله وحكم رسوله وان لم تتفق مع أهوائه وإلا كان كافرا مشركا .
قال تعالى : **﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾** "[١]"
فكل من يحكم بقوانين وأحكام وضعية أو يؤيدها ويرضى بها وان لم يحتكم إلى شيء منها أو حتى يعتقد أنها أفضل من حكم الله فهو مشرك لأنه لا حكم إلا لله وحده ، ويدخل في ذلك الطاعة في معصية الخالق مع علمه بأن هذا ليس من حكم الله ومع ذلك يطيع الآمر به خوفا منه أو هربا من عقوبته .

[١] - سورة النساء (65)

المبحث الثالث

أهمية توحيد الربوبية

تكمن أهمية العقيدة وأنها أساس كل شيء من أهمية التوحيد ، فهي الروح والنور وهي الحياة الحقيقية التي يحيا بها العباد وأي حياة غيرها فهي ظلمات وجهل وضلال .

قال تعالى : **﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾** "[١]"

وهذا التوحيد له دلائل ودلائله وعلاماته ظاهرة بينة لجميع الخلائق ولا تحتاج إلى جهد في معرفتها بل هي في نفس كل مخلوق ومن حوله يبصرها بعينيه قبل قلبه ، وهذا من رحمة الله تعالى وحكمته أنه خلق عباده ودلهم على أقرب الطرق إليه لتوحيده والاعتراف بذلك بالتسليم والانقياد والخضوع .

وإن كانت المعرفة بالله ربا فطرية فإنها وحدها لا تكفي للنجاة في الآخرة لذلك كانت أهمية توحيد الربوبية في أهمية العبادة عموما إذ هي الأصل والأساس ، لان توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الربوبية وليس العكس .

وتوحيد الربوبية بلا شك من أهم أنواع التوحيد حيث تبرز أهميته من خلال مُتعلقه ، فإذا تحدثنا عن الربوبية لا بد أن نتحدث عن الواحد ونتحدث عن وجوده وأفعاله التي ربّى بها مخلوقاته ، وكما يقال شرف العلم بشرف المعلوم ، فهذا التوحيد هو أشرف العلوم على الإطلاق التي يمكن معرفتها والتفقه فيها ، ولا معلوم أشرف من معرفة الله ومعرفة أفعاله .

---

[١] - سورة الأنعام (122)

يقول السمرقندي "[1]" : (أما بعد فإن العلوم وإن تنوع أقسامها وتفرع انقسامها لكن أشرفها رتبة وأعلاها منزلة هو العلم الإلهي الباعث بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة عن أحوال الألوهية وأسرار الربوبية التي هي المطالب العليا والمقاصد القصوى من العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية إذ بها يتوصل إلى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وتصور صنعه ومصنوعاته) . "[2]"

والله تعالى ذا فضل وشأن بلا شك على سائر مخلوقاته ، فكان شرف فضل العلم على قدر شرف المفضول .

ومن هنا يمكن أن نجمل أهمية وفضل علم التوحيد فيما يأتي :

أولا / أنه أساس الدين

إذ الهدف الأسمى والمقصد الأعلى والغاية العظمى من الوجود هو توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له .

وكل علوم الدين والشريعة والأحكام مبناها وأساسها علم التوحيد الذي هو العبادة ، فلولاه ما وجد تفسير ولا حديث ولا فقه ولا أصول .

وهذه العلوم هي مما يفيد العباد في حياتهم وما يبين لهم تفصيلات حياتهم ويعينهم على الوصول إلى رضا ربهم بما انزل عليهم من الشرائع على نبيهم .

وهو أيضا أساس جميع العبادات فلا تقبل العبادة بلا توحيد ، ولا يقبل العمل ما لم يكن خالصا لله وحده .

[1] - هو الإمام الفقيه المحدث الزاهد، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، صاحب كتاب "تنبيه الغافلين" وله كتاب "الفتاوى".يروي عن : محمد بن الفضل بن أنيف البخاري، وجماعة. وتروج عليه الأحاديث الموضوعة،روى عنه: أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الترمذي، وغيره ،نقلت وفاته من خط القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الحق -أيده الله، في جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاث مائة. انظر سير إعلام النبلاء للذهبي 333/12

[2] - جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية / أبو عبد الله بن قيصر الافغاني 86/1

ثانيا / القران كله توحيد

وغالب سور القران إن لم يكن كلها موضوعها التوحيد ، وما أنزل القران إلا لأجل توحيد الخالق ، ولا تخلو سورة من سوره إلا ويخبر الله تعالى فيها عن نفسه ويثني على نفسه بأسمائه وصفاته وأفعاله وهذا ما يسمى بالتوحيد الخبري ، أو يدعو إلى عبادته وحده ونبذ الشركاء من دونه وهو التوحيد الإرادي الطلبي أو يأمر وينهى عباده ويلزمهم بطاعته فذلك من مكملات التوحيد ، أو يخبر عن الموحدين الطائعين وإكرامه لهم في الدنيا وما سيلاقونه من ثواب في الآخرة ، أو عن أهل الشرك والعصاة وعقوبته لهم في الدنيا وجزاء أفعالهم في الآخرة ، وهذا كله من التوحيد حقوقه وجزائه والشرك وأهله وجزاءهم .

ثالثا / هو أول واجب على المكلف

وهو أو ما تجب معرفته والإقرار به ، وأول ما فرضه الله على العباد

قال تعالى : **﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾** "[1]"

وقال الحافظ الحكمي :

(أول واجب فرضه الله عز وجل على العبيد معرفة الرحمن ، أي معرفتهم إياه بالتوحيد الذي خلقهم له ، وأخذ عليهم الميثاق به ، ثم فطرهم شاهدين مقرين به ، ثم أرسل به رسله إليهم ، وأنزل به كتبه عليهم) "[2]"

وهو أول ما أمر الله به قال تعالى : **﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾** "[3]"

فهذا أول الأوامر الشرعية التي أوصى ربنا تعالى بها .

[1] - سورة محمد (19)
[2] - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول / لحافظ بن احمد بن علي الحكمي 98/1
[3] - سورة الإسراء (23)

رابعا / أول ما يُدعى إليه ومن أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب

فما من نبي يبعثه الله إلى قومه إلا ويدعوهم إلى توحيد الله وعبادته ونبذ ما يعبد من دونه من الشركاء قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ "[1]"

وقال النبي ﷺ لمعاذ ﷺ لما بعثه إلى اليمن : (**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى**) "[2]"

وجميع الأنبياء والرسل كان أول حديثهم لأقوامهم : ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ "[3]"

واتفاق الرسل على دعوة واحدة مع اختلاف أزمانهم وأقوامهم يدل على أهمية التوحيد .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ "[4]"

وقد ظل النبي ﷺ قرابة الثلاث عشر سنة وهو في مكة يدعو الناس إلى التوحيد قبل أن يؤمروا بالصلاة أو التكاليف حتى يعرفهم بربهم ويرسخ العقيدة في نفوسهم والإيمان في قلوبهم وذلك كله قبل أن يؤمروا بالشرائع العملية وهو بلا شك يؤكد أهمية التوحيد .

وما بعث الله هؤلاء الرسل بتلك الدعوة إلا لأهميتها ولتغير فطر الناس بالشرك ، فكانت دعوة الرسل لإعادتهم للعقيدة السليمة والتوحيد والعبادة بعد انصرافهم عنها .

خامسا / صلاح الحياة والمجتمعات يكمن في التوحيد

فحياة الناس لا تصلح إلا بالتوحيد والاعتقاد بأن الله واحد في كل شيء ، وهو وحده المتصرف في الكون ثم عبادته على هذا الأساس ، قال تعالى : ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** ﴾ "[5]"

لأجل ذلك حرم سبحانه الشرك ليس لأنه يضره بل لان فيه فساد وظلم واعتداء على عقائد البشر وإذلالهم لغير خالقهم وسلب حريتهم .

---

[1] - سورة النحل (36)

[2] - أخرجه البخاري في كتاب التوحيد / باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله / ح7371/ج9/ص114

[3] - سورة المؤمنون (32)

[4] - سورة الأنبياء (25)

[5] - سورة الأنعام (57)

لذلك لا تستقيم الحياة ولا الكون كله إلا بتوحيد الله وعبادته وحده .
قال تعالى : **﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾** "[١]"

فالكون بما فيه من السماوات والأرض أكمل ما يكون إذا كان في يد الله وحده وليس في ملك إلهين ، فالدقة والانتظام وانتفاء الخلل والعيب والممانعة والمعارضة دليل على وجود اله ومدبر ورب واحد وليس اثنان أو أكثر وألا لظهرت السماوات بعكس ما نرى من الفوضى والفساد ، فسبحان من جعل الصلاح والاستقرار بالتوجه إليه وتوحيده وعبادته ."[٢]"

فالفرد أولا لا تصفو حياته ولا يستقر باله ويطمئن إلا بالتوحيد الذي يحرره من عبودية العباد والخضوع لهم إلى عبودية رب العباد ، فيشعر بالحرية المطلقة ، بعكس المشرك الذي يخضع للقوى البشرية ويدين لها خصوصا إذا اعتقد فيهم جزءا من الإلهية أياً كانت من الأحجار أو الأشجار أو الحيوان أو الأشخاص .

فالموحد لا يتعلق قلبه بشيء سوى خالقه الذي يستحق ذلك فيدعوه ويتقرب إليه ويخضع له وحده ، لعلمه أن إلهه أقوى من كل شيء وقادر على كل شي وبيده كل شيء فالرجوع واللجوء إليه أفضل من اللجوء إلى من لا يملك شيئا وهو عاجز حتى عن دفع الأذى والضر عن نفسه فكيف بمن تعلق به وخضع له .

وصدق الله تعالى لما قال : **﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾** "[٣]"

[١] - سورة الأنبياء (22)
[٢] - تفسير السعدي ص521
[٣] - سورة العنكبوت (41)

فضرب الله المثل في المشركين يريدون القوة والعزة والنفع في خلاف المقصود ، فمثلهم مثل العنكبوت التي اتخذت بيتا لتحمي نفسها وبيتها من أضعف البيوت وكذلك المشركون وألهتهم فقيرة عاجزة من جميع الوجوه ولا تملك شيئا لهم ، بل على العكس ازدادوا ضعفا إلى ضعفهم ووهنا إلى وهنهم ."[1]"

وكذلك المجتمعات فإننا نشاهد كيف أن التوحيد والعبادة يعطي للمجتمع منهج حياة واضح ومميز يظهر عليه الاطمئنان أكثر من المجتمعات الكافرة .

لأن كل شخص له منهج ودين وعقيدة يدين بها ويرجع إليها ، وبناء على ذلك يعامل غيره بما تملي عليه عقيدته فإذا صلح الأشخاص يصلح المجتمع بصلاح كل فرد من أفراده والفضل في ذلك كله للتوحيد والعقيدة الصحيحة التي يدينون بها

والتوحيد أيضا يدفع بالمجتمع إلى التقدم والرقي ، لأنه ينفي عنها كثير من المساوئ التي تظهر في الشرك ، ويهيئ أذهانها لرفض الخرافات والأوهام التي تقيد الشعوب ، فما هي إلا أساطير تفتك بالمجتمع وتهدم كيانه وتجعله في اضطراب مستمر وتقف حاجزا دون رقيّه وازدهاره وهذا شديد الوضوح خصوصا في المجتمعات التي تدين بالديانات الوضعية وما فيها من الأساطير التي حالت دون تقدم حضارتها الاقتصادية والسياسية والزراعية وغيرها .

وأساس ذلك يرجع إلى الارتباط الوثيق والعلاقة بين الاعتقاد والسلوك ، والمجتمع الذي يدين ويعتقد الاعتقاد الصحيح بلا شك هو أفضل من غيره لان دين الله من أفضل الأديان التي تكفل وتضمن للعباد الرقي والتقدم وحسن العمل في دنياهم وكذلك تعينهم إلى السعي نحو آخرتهم .

---

[1] - تفسير السعدي ص631

سادسا / تُعرف أهمية التوحيد من معرفة الشرك

وكما قيل : وبضدها تتمايز الأشياء ، فإذا عرفنا التوحيد لا بد أن نعرف ما يضاده حتى لا نقع فيه .

والله تعالى لما أمر بالتوحيد وأثنى على الموحدين وذكر عاقبتهم في الدارين ، أيضا في المقابل حذر من الشرك وخطره وبيّن عقوبته واعتبره أظلم الظلم .

ولما كان أول ما أمر به ربنا التوحيد ، كان أيضا من أول ما أوصى عدم الإشراك به .

قال تعالى في آيات الوصايا العشر :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ "[١]"

وجاء عن عمر ﷺ "[٢]" أنه قال : (**إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية**) "[٣]"

فمن عرف قدر التوحيد عض عليه بالنواجذ خشية الوقوع في الشرك .

سابعا / أن التوحيد حق لله تعالى

فالله تعالى بفضله ورحمته وكرمه يمنّ على عباده كما يشاء وبما يشاء بما تفضل عليهم من النعم التي لا تعد ولا تحصى وأعظمها نعمة الوجود والرزق والتدبير والتسخير والصحة والمال وغيرها كثير ، والتي أقل ما يمكن أن يقدمه العباد لرد الجميل والإحسان استحقاقه للعبادة وحده وعدم الإشراك به وهذا لا يساوي شيئا من جميل فضل الله عليهم ، وهذا هو لب موضوعنا ومجال بحثنا الذي سوف نبينه في الفصول التالية ."[٤]"

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : (**يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟**) قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : (**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق**

---

[١] - سورة الأنعام (151)

[٢] - هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن كعب بن لؤي القرشي العدوي ، يكنى بأبي حفص ، ولد بعد عام الفيل بـ13 سنة ، اسلم في السنة السادسة ، ثاني الخلفاء الراشدين واحد العشر المبشرين بالجنة ، شهد بدرا والمشاهد كلها وكان شديدا غليظا على الكفار ، جعل الله الحق على لسانه وقلبه ، أول من سمي بأمير المؤمنين ، مات مطعونا سنة 23هـ وله 63 سنة . أسد الغابة لابن الأثير 642/3-678

[٣] - ذكره ابن تيمية في كتبه منسوبا لعمر ﷺ ولم أجده عند غيره . الفتاوى الكبرى 264/5 ، درء التعارض 259/5 ، منهاج السنة 54/15 .

[٤] - مقتضيات التوحيد العملية تبين استحقاقه تعالى للعبادة . (راجع الفصول : الثالث والرابع والخامس)

العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا) قلت : أفلا أبشر الناس ؟ قال : (**لا تبشرهم فيتكلوا**) "[١]"

وكذلك حديث قوله ﷺ :

(**أبشروا وبشروا الناس من قال لا إله إلا الله صادقا بها دخل الجنة**) "[٢]"

فهذين الحديثين يبينا أن الإنسان مهما عمل من المعاصي والذنوب في الدنيا فإن الله قد يغفر له ويتجاوز عنه إلا الشرك

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ "[٣]"

ولأن العبادة حق لله لا يمكن أن يتنازل عنه .

وهذا الحق أيضا بينه ربنا تعالى في آيات كثيرة وسمى نفسه بالحق في قوله تعالى :

﴿ **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** ﴾ "[٤]"

وقال أيضا : ﴿ **ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ** ﴾ "[٥]"

ثامنا / حاجة الناس إلى التوحيد وضرورته لهم

حاجة الناس إلى التوحيد أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، فحاجتهم إلى الخلق والرزق واستمرار الحياة أشد من كل شيء ، لان فقدان الطعام والشراب يترتب عليه موت الأبدان ، بينما يترتب على فقدان التوحيد موت الأرواح واندثار الأديان والشقاء في الدنيا وفي الآخرة والحرمان من الجنة ودخول النار ."[٦]"

---

[١] - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير / باب اسم الفرس والحمار /ح2856/ج4/ص29 ، ومسلم في كتاب الإيمان / باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك /ح30/ج1/ص58

[٢] - أخرجه الإمام احمد في مسنده ح19688/ج32/ص465 ، والطحاوي في مشكل الآثار ح4003/ج10/ص168 ، صححه الألباني وقال رجاله كلهم ثقات رجال مسلم . السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها 297/3

[٣] - سورة النساء (48)

[٤] - سورة المؤمنون (116)

[٥] - سورة الأنعام (62)

[٦] - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة / شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية 2/ 2

وقد خلق الله بني ادم وفطرهم على التأله له وحده ، وهذه الفطرة وان تغيرت وعبدوا غيره لكن يبقى الأصل في البحث عن إله ما يزال في نفوسهم حقا كان أم باطلا .

فالمخلوق ضعيف محتاج فقير وقد تمر عليه لحظات يحتاج إلى من يلجأ إليه وينزل به حاجاته ويستنصر به عند الضعف .

وفطروا أيضا على تناول واقتناء ما ينفعهم ويصلح لهم وترك ونبذ ما يضرهم من المأكولات والمشروبات ، وكذا الأمر في التوحيد وقد فُطروا من قبل على معرفة ربهم والتوجه إليه فبالتالي فإن النفوس كلما بعدت عن التوحيد وجدت الشقاء والقلق وكلما اقتربت من التوحيد واعتصمت به وجدت الأمان والراحة لأنها وجدت غذاءها المفيد والنافع لها .

ولهذه الضرورة علاقة وثيقة بالتوحيد ولأهميته منها حاجة المخلوق الفقير إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ولا يتم ذلك إلا بمعرفته بما ينفعه والوسيلة إلى حصوله عليه ، ومعرفته بما يضره والوسيلة إلى دفعه .

وهذا الفقر وهذه الحاجة ملازمة بالعبد وهو مفتقر إلى الله لذاته لا لأمر آخر في جميع أحواله فتبين بعد ذلك حاجته إلى خالقه .

الْفَصْلُ الثَّانِي

دلائل توحيد الربوبية

- التمهيد

معنى الدلالة لغة واصطلاحا

- المبحث الأول : دلالة الفطرة على ربوبية الله على خلقه
- المبحث الثاني : دلالة الأنفس والآفاق على ربوبية الله على خلقه
- المبحث الثالث : أهمية توحيد الربوبية

التمهيد

بعد أن تحدثنا عن توحيد الربوبية ومفهومه وأهميته ، يجدر بنا أن نشير ونوضح دلائله الدالة عليه ، والموصلة إلى الخالق تعالى ، وقبل الحديث عنها سوف نبين ما المراد بالدلائل وما هو مفهومها .

معنى الدلائل

في اللغة :

دل عليه وإليه دلالة أرشد ، ويقال دله على الطريق ونحوه سدده إليه ."[١]"

والدلائل مفردها دلالة ودليل ودليلة والجمع منهما دلالات وأدلة ودلائل "[٢]"

والدليل : الدال وما يستدل به ، وقد دله على الطريق يدله دلالة ودلالة ودلولة . "[٣]"

وسمي بذلك دلالة لتسمية الشيء بمصدره والدلالة أعم من الإرشاد والهداية . "[٤]"

والدليل المرشد وما به الإرشاد . "[٥]"

والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بين الدَّلالة والدِّلالة ."[٦]"

والدلالة الإرشاد وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه . "[٧]"

فالدلائل مصدر دل يدل دلالة أرشد وهدى ، والدلائل كالبراهين والشواهد .

والدليل المرشد إلى المطلوب ، كالدخان سمي دليلا لأنه مرشد إلى وجود النار .

---

[١] - المعجم الوسيط 294/1

[٢] - الكليات للكفوي ص439 ، تاج العروس 502/28

[٣] - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 1698/4

[٤] - الكليات ص439

[٥] - المعجم الوسيط 294/1 ، التعريفات للجرجاني ص104 ، التوقيف على مهمات التعاريف ص167

[٦] - مقاييس اللغة 259/2

[٧] - المعجم الوسيط 294/1

في الاصطلاح :

الدليل هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر."[1]"

وفي عرف أهل الميزان : ما يلزم من العلم به العلم بآخر، والأول الدال والثاني المدلول .

وفي عرف أهل الأصول : ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري "[2]"

أما الدلالة فهي :

كون اللفظ متى أطلق أو أحس فهم منه معناه للعلم بوضعه ."[3]"

وقيل : كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، ويسمى الشيء الأول دالا والثاني مدلولا ."[4]"

وقيل : هو ما يمكن التوصل به بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري ."[5]"

يقول الجرجاني "[6]" في تعريف الدلالة :

(هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص) "[7]"

فالدلالة ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه

أو هي كل أمر يُفهم منه أمرا سواه ، فالأول الدال والثاني هو المدلول .

---

[1] - التعريفات ص104

[2] - التوقيف على مهمات التعاريف ص167

[3] - تاج العروس 498/28

[4] - معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم / جلال الدين السيوطي ص118 ، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون 75/2

[5] - الكليات ص439

[6] - علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني ، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية ، ولد في تاكو سنة740هـ ودرس في شيراز وأقام بها إلى أن توفي ، له نحو خمسين مصنفا منها (التعريفات - شرح مواقف الإيجي - تحقيق الكليات - شرح التذكرة للطوسي) توفي عام 816هـ . الأعلام للزركلي 7/5

[7] - التعريفات ص104

والدلائل بمثلها ومعناها :

المقتضيات للشيء عند إطلاقه ، والتي يفهم منها أمرا غير مدلولها .

أما مناسبتها للحديث عن دلائل الربوبية فإنا نقول :

هي الشواهد والبراهين الدالة على ربوبية الله تعالى والظاهرة في مخلوقاته والتي تقتضي منهم جميعا توحيده وإفراده بالربوبية والعبادة بناء عليها .

والدلائل على وجوده وتوحيده تعالى لا تعد ولا تحصى ، واختار سبحانه لحكمته جلّ شأنه أن يكون الدليل من أقربها وأكثرها دلالة لما جعل النظر إلى النفس والفطرة التي خلقه عليها يكفي في معرفته تعالى واستحقاقه للتوحيد ، فكيف بغيرها من آيات الآفاق والأنبياء ومعجزاتهم وإجابة الدعوات وكشف الكربات وغيرها ."[1]"

والذي يظهر في دلائل توحيد الربوبية عند استقرائها من القران الكريم أنها جاءت في صور عدة كالتنبيه والتذكير وإثارة الفطر والعقول ، وذلك لان المعرفة بالخالق تعالى فطرية ضرورية بل حتى محبته وإرادته وإفراده بالألوهية كامن في أعماق النفوس ، ولم تكن الدلائل إلا كالدواء الذي يوقظ الفطرة ويزيل الشوائب التي طغت عليها وحالت بينها وبين ظهور مقتضياتها فتظهر على حقيقتها .

وسنتحدث عن هذه الدلائل في مبحثين :

المبحث الأول / دلالة الفطرة على ربوبية الله على خلقه

والمبحث الثاني / دلالة الأنفس والآفاق على ربوبية الله على خلقه

والله الموفق

[1] - والاكتفاء بالحديث عن دلالتي الفطرة والأنفس والآفاق فقط دون غيرها لكونها خاصة بتوحيد الربوبية ، أما دلالة المعجزات وإجابة الدعاء مع أنها من دلائل الربوبية إلا أني أرى أنها اقرب إلى توحيد الألوهية لذلك اكتفيت بتلك عنها .

المبحث الأول
دلالة الفطرة على ربوبية الله على خلقه

تعتبر الفطرة أحد أدلة توحيد الله بل هي أبرز الشواهد عليه ، إذ لا يمكن لمخلوق أن ينكر الإحساس والشعور الموجود في داخله أو يدفعه عنه ويجحده مهما حاول واستكبر ، شعور يجعله يشعر بوجود الإله ويشعر بعظمته وهيمنته على هذا الكون وتدبيره له بدقة يعجز عن إدراكها المخلوق البشري ، لأنها تُعد مما قرره الخالق في أعماق النفوس ووجدانها وكيانها ومما تنبهر به النفوس ولا تملك أمامه إلا التسليم والإذعان لربوبية الخالق وتوحيده .

فمعرفة الله تعالى والإقرار بوجوده أمر فطري ضروري مستقر في النفوس ولا يحتاج إلى دليل ولا نظر قال تعالى : ﴿ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ "[1]"

تعريف الفطرة :

في اللغة :

الفطرة هي الخلقة وفطر الله الخلق ، أي خلقهم . ومنها فاطر السماوات والأرض أي خالقهم والفطرة هي الخلقة التي يكون الإنسان عليها في أول ابتدائه وظهوره وبروزه للحياة

وقيل : (الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه) ."[2]"

فالفطر في اللغة يدور معناه حول الابتداء والخلق والتشقق

وشرعا : هي القوة العلمية والقوة الإرادية اللتان خلق الله الإنسان مزودا بهما ، فيعلم الخير ويريده ويعلم الشر ويبغضه .

وفي شرع أهل الإسلام : هي الإسلام العام الذي خلق الله الإنسان عليه ."[3]"

---

[1] - سورة إبراهيم (10)
[2] - معجم مقاييس اللغة لابن فارس 510/4
[3] - دلائل الربوبية / د.أبو زيد محمد مكي 29-30

أو هي شعور يجده الإنسان في نفسه من غير تعليم ولا تلقين ولا اكتساب ، يشعر معه بوجود خالق وإله واحد لهذا الكون ويشعر بعنايته ورعايته لجميع الخلائق وتدبير أمرها .

وقد دل عليها قوله تعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ "[1]"

وفي الحديث قال ﷺ : ((**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه**)) "[2]"

ويظهر أثر الفطرة ودلالاتها على ربوبية الله تعالى في الأمور التالية :

الأول / تصريح القران الكريم والسنة بوجود الفطرة واقتضائها لمعرفة الله

فالفطرة السليمة تشهد بوجود الله من غير دليل وقد جاء ذلك في قوله تعالى : **﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾** "[3]"

وكذلك جاء التصريح بها في آية الميثاق في قوله تعالى : **﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾** "[4]"

وهذه الآية حجة لبني ادم في أنه تعالى أودع الفطرة في نفوسهم بأنه ربهم وخالقهم حين استخرجهم من ظهر أبيهم ادم فشهدوا بذلك ، فاحتج عليهم بما أقروا به على كفرهم وظلمهم وعنادهم في الدنيا والآخرة ."[5]"

فلا حجة لهم بعد ذلك في نقض الميثاق ، وهذا يقتضي منهم العمل به .

[1] - سورة الروم (30)
[2] - أخرجه البخاري في كتاب الجنائز / باب إذا اسلم الصبي ومات /ح1358 /ج2/ص94 .
[3] - سورة الروم (30)
[4] - سورة الأعراف (172)
[5] - تفسير السعدي ص308

وقال ﷺ :

((وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)) "[١]"

وما سبق يبين أن جميع المخلوقات فطروا على معرفة الله تعالى وهذه المعرفة تقتضي منهم الإقرار بوجوده وربوبيته الحب الخضوع والتذلل له وحده ، وكل الفطر السليمة مجبولة على ذلك ، ومن خالف ذلك كان ممن أفسدت عليه الشياطين وغيرت فطرته .

وكذلك جميع آيات التقرير بالربوبية في كتاب الله تُعدّ احد شواهد الفطرة ودلالاتها على ربوبية الله تعالى .

قال تعالى :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ "[٢]"

وقال أيضا :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ "[٣]"

الثاني / لجوء الإنسان إلى الله عند الشدائد والكربات سواء كان مؤمنا أم كافرا

وهذا لا يخفيه عاقل ولا ينكره مجاحد ولا كافر ، وأجمع عليه عقلاء البشر ممن غطى الران فطرته أو بقيت فطرته سليمة .

فإن جميع الناس إذا أصابتهم الضائقة والشدة وقاربوا على الهلاك لا يعرفون إلا الله ، فالكافر والمشرك يُخْلِص في الدعاء واللجوء والتضرع بمقتضى فطرته التي خُلق عليها .

وقد حكى القران الكريم عن هذا الإخلاص في قوله تعالى : **﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾** "[٤]"

---

[١] - أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا /ح2865 /ج4/ص2197 .

[٢] - سورة العنكبوت (61)

[٣] - سورة العنكبوت (63)

[٤] - سورة العنكبوت (65)

فهؤلاء المشركون لما أيقنوا بالهلاك وعاينوه أمام أعينهم ورأوا تلاطم الأمواج قد اشتد بهم ، خافوا الغرق ونسوا كل ما يذكرهم بالدنيا من الأصنام والأوثان ولم يستغيثوا إلا بالله ، فلما نجاهم وصاروا في مأمن من الشدة عادوا إلى ما كانوا عليه من الشرك .

فكان حبهم للدنيا وتعلقهم بها هو المانع لهم من التوحيد فلما أصابتهم الشدة على ظهر البحر انقطع تعلقهم بها وعادت إليهم الفطرة التي شهدت لهم بالتوحيد ."[1]"

ومثله قوله تعالى : **﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾** "[2]"

فعند وقوع الضر ونزول البلاء نسوا من كانوا يدعونه من دون الله ، ولجؤوا إليه تعالى مخلصين في الدعاء والإنابة ، فلما أغاثهم ونجاهم ودفع الضر عنهم عادوا إلى الشرك وكفران النعم .

وذلك لعلمهم أن أشد أنواع العدة والعتاد والأعوان التي يملكونها في الدنيا لن تنفعهم ولن تغني عنهم شيئا .

وهذا الإخلاص كما ذكرنا ما هو إلا أحد شواهد الفطرة التي توقظ وتظهر عند الشدائد ، وهذه الحال أيضا ليست ببعيدة عن الإنسان المؤمن فإنا نجد كثير ممن تصيبهم الفاقة والضائقة من المسلمين لا يخلصون في الدعاء والعبادة إلا وقت الكرب .

وذلك من رحمة الله تعالى وحكمته في عباده فقد يصاب المؤمن بالبلاء ليقربه إليه فنراه يكثر من القربات والإحسان والصالحات حتى يفرج الله عنه ، ولان بعض العبادات قد لا تظهر ولا توجد في العبد وهو في حال الرخاء على الدوام كالتضرع والتذلل والخضوع والانكسار بين يديه تعالى .

---

[1] - جامع البيان في تأويل القران : محمد بن جرير الطبري 60/20 ، مفاتح الغيب : أبو عبد الله محمد فخر الدين الرازي 76/25

[2] - سورة الإسراء (67)

الثالث / ثمة أمور نفسية وتاريخية من حياة المخلوقات تشهد بوجود الفطرة .

أما الأمر النفسي فإن جميع المخلوقين من البشر مجبولون على حب الخير والعدل والنفع والصلاح ومساعدة الآخرين والرحمة بالضعيف والصغير ، وفي المقابل ينبذون الشر والظلم والاعتداء والاغتصاب والفساد في الأرض .

فالحق محبوب مطلوب والباطل مكروه مبغوض .

وهذا مشاهد في كثير من المشركين وفي مجتمعاتهم ومتداول بينهم مع كفرهم بل إن غالبهم لم يسمع شيئا عن الإسلام والمسلمين ومع ذلك يتخلق بأخلاقهم .

والشاهد التاريخي على دلالة الفطرة ووجودها أننا لو تتبعنا التاريخ البشري منذ نشأة الإنسان إلى يومنا هذا لا نجد مجتمع يخلو من اتخاذ الإله أو المعبود بغض النظر عن كون الإله حقا أم باطلا وهذه حقيقة أجمع عليها الناس بل تكاد تكون مسلّمة فإنا نجد كثير من المجتمعات والشعوب البدائية ممن يعبد الشمس والقمر والحجر والشجر ، أو بعضهم يتخذ لنفسه إلها يصنعه بيده ويتخذه معبودا يتقرب إليه .

وهذا يبين أن الإنسان في الأصل يعلم ضعفه ونقصه ويبحث دائما عمن يقوى به ويستند له ويلجا إليه وقت الحاجة وهذا هو معنى الفطرة إذا عبرنا عنها بهذا المقتضى أنها الحاجة إلى الغير الذي يمكن أن يسد العجز ويكمل النقص ويقضي الحاجة .

المبحث الثاني
دلالة الأنفس والآفاق على ربوبية الله على خلقه

لم يدع الخالق سبحانه وتعالى أي حجة لعباده ، المؤمن منهم والكافر في عدم توجههم إليه بالشكر والاعتراف بفضله والتسليم له على ما سخر وهيأ لهم في أنفسهم وفي الكون من حولهم ، حيث دعاهم إلى النظر والتفكر والتدبر في خلقتهم وطبيعتهم وأطوار نشأتهم حتى يتوصلوا بذلك إليه ، ويوقنوا بوحدانيته وربوبيته عليهم .

ثم دعاهم مرة أخرى إلى تقليب أبصارهم في الأفق الفسيح والكون الواسع ليشاهدوا عظمة خالقهم وقدرته وحكمته في خلقها وإبداع صنعها ، ثم لا تكون لهم بعده أي حجة في إنكار استحقاق ربهم للوحدانية والعبادة .

وقد جمع الله هذين الأمرين في قوله تعالى :

قال تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾ "[١]"

حيث جاءت الآية جامعة للدلالتين الأنفس والآفاق معا ، الدلائل الخارجية الكونية والدلائل الداخلية النفسية الموجودة في كل مخلوق ، وكان المخاطب الإنسان فهو الذي يعقل فكان أولى بتوجيه الخطاب إليه ، وكانت الحجة عليه حين يكفر أو يعرض أو يستكبر عن عبادة غير الله تعالى .

ومعناها سنريهم الأعلام التي تدل على التوحيد في الآفاق وعلى آثار صنعتنا في الدالة على أنّ لها صانعا حكيما ، ومن ذلك آيات السموات والأرض من رفع السماء وخلق الكواكب ودوران الفلك وإضاءة الشمس والقمر، وكذلك بسط الأرض ونصب الجبال وتفجير الأنهار، وغرس الأشجار، وغيرها مما لا يحصى .

وفي أنفسهم من أنهم كانوا نُطَفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً ثم عِظاماً كُسِيَتْ لحماً، ثم نقلوا إلى التمييز والعقل ، وكذلك ما خلق فيهم من السمع والبصر وسائر الجوارح والحواس. ومنها دخول الطعام والشراب من مكان واحد وخروجه من مكانين وقيل: دخول الأطعمة على ألوان كثيرة وخروجها

---

[١] - سورة فصلت (53)

على لون واحد . وذلك كله دَليل على أن الذي فعله واحدٌ ليس كمثلِه شيء ، حتّى يتبين لهم أن الله هو الحق لا ما يعبدونه من دونه."[1]"

ويقول أبو منصور الماتريدي "[2]" : (يحتمل قوله (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**) آيات وحدانيته وألوهيته :

أما في الآفاق فما جعل منافع البلاد النائية والقرى المتباعدة متصلة بمنافع أنفسهم ومنافع البلاد القريبة، ومنافع السماء متصلة بمنافع الأرض على بعد ما بينهما؛ ليعلم أنه تدبير واحد وفعل فرد لا عدد، أو أن يكون آياته في الآفاق رفع السماء مع غلظها وكثافتها وسعتها بلا سبب ولا تعليق من أعلاها ولا عماد من أسفلها.

وفي أنفسهم : ما حولهم وقلبهم في الأرحام من حال النطفة إلى حال العلقة، ومن حال العلقة إلى حال المضغة، ثم من حال المضغة إلى حال الإنسان والتصوير والتركيب، إلى آخر ما ينتهي إليه أمره؛ ليعلم أنه صنع واحد وتدبير فرد لا تدبير لأحد سواه في ذلك) "[3]"

لأجل ذلك دعا الخالق سبحانه الإنسان إلى النظر والتدبر والتفكر في هاتين الآيتين الكونية والنفسية ، حتى يستدل بعجيب صنعه وبديع إتقانه على قدرته ورحمته وحكمته ووحدانيته .

ولقد تنوعت أساليب القران الكريم في الدعوة إلى النظر والتفكر في الأنفس والآفاق ، فتارة يجمع بينهما وتارة يفصّل في آيات الآفاق فيأمر بالنظر إلى السماء ورفعها وما فيها وإلى الأرض وبسطها وعجائبها وتارة أخرى في آيات النفس من أطوار الخلقة ومن النعم المسخرة لها بلا عناء .

ولعل الحكمة من وراء ذلك تعود إلى عدة أمور :

---

[1] - معاني القران وإعرابه للزجاج 4/391-392 ، إعراب القران للنحاس 4/47 ، مفاتح الغيب للرازي 27/573 ، النكت والعيون للماوردي 5/189 ، تفسير السمعاني 5/61 ، معالم التنزيل للبغوي 4/137 ، المحرر الوجيز لابن عطية 5/23 ، تفسير القرطبي 15/374

[2] - محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي ، من أئمة علماء الكلام نسبته إلى محلة تسمى (ماتريد) ، له مؤلفات عدة منها (التوحيد – أوهام المعتزلة – الجدل – تأويلات القران – مآخذ الشرائع) توفي عام 333هـ . الأعلام للزركلي 7/19

[3] - تأويلات أهل السنة / أبو منصور الماتريدي 9/99

1/ **إيقاظ الفطرة** بالنسبة للمشرك وجلاء الغشاوة عن قلبه وعقله فيفقه مراد الله تعالى ويعود إلى الإيمان ويعلم أصل وجوده في الحياة لان المخلوقات من حوله ما وجدت إلا لتدله على خالقه ، لذا تعتبر أفضل علاج ودواء لمن فسدت فطرته .

فجاءت الآيات في صورة التنبيه والتذكير وإثارة الفطر والعقول .

ويؤيده دعوة موسى عليه السلام وأخيه هارون لما بعثهم الله تعالى إلى الطاغية فرعون فقال تعالى :

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ "[١]"

حتى يعرف ربه ويعرف حق إنعامه عليه وإحسانه فذلك طريق قد يدعوه إلى الإيمان ، حيث عرض عليه موسى عليه السلام دلائل الربوبية من الخلق والهداية وغيرها .

2/ **زيادة الإيمان واليقين** بالنسبة للمؤمن ، فيطمئن قلبه وتسكن روحه ويزداد إيمان وثباتا على الحق ، ويؤيد ذلك قوله تعالى حكاية عن نبيه إبراهيم عليه السلام لما قال :

﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ "[٢]"

وهذا الذي يحصل لكل مؤمن فبتوارد الأدلة اليقينية يزداد الإيمان ويكمل به الإيقان ويسعى في نيله أولو العرفان ."[٣]"

3/ **إقامة البرهان والحجة في الدعوة إلى توحيد العبادة** ، وقد تكرر ذلك كثيرا في كتاب الله تعالى حيث قال مخاطبا كفار قريش :

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۞ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۞ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۞

[١] - سورة طه (44)
[٢] - سورة البقرة (260)
[٣] - تفسير السعدي ص112

رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾ "[١]"

فقد دعاهم سبحانه إلى النظر في آياته الكونية كي يعتبروا ويستدلوا بها، على ما جعلت أدلة عليه مخاطبا لهم بقوله (**أفلم ينظروا**) أي : لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة ومشقة بل هو في غاية السهولة ، فإن في النظر في هذه الأشياء فيه {تَبْصِرَةً} يتبصر بها من أعماه الجهل، {وَذِكْرَى} يتذكر بها ما ينفع العبد في دينه ودنياه ، ويتذكر بها ما أخبر الله به ، وأخبرت به رسله، وليس ذلك لكل أحد ، بل هو للمنيبين إلى الله أي: المقبلين عليه بالحب والخوف والرجاء ، والمجيبين داعيه ، وأما المكذبون والمعرضون ، فما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ."[٢]"

أساليب القران الكريم في دعوته إلى النظر :

أولا / الأسلوب المباشر بالنظر إلى الآيات الكونية ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ "[٣]"

يقول الإمام الطبري"[٤]" في تفسيره الآية :

(انظروا أيها القوم ماذا في السمواتِ من الآيات الدّالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله ، من شمسها وقمرها واختلافِ ليلها ونهارِها ونزول الغيث بأرزاق العبادِ من سحابها ، وفي الأرض من جبالها وتصدُّعها بنباتها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها ، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبَّرتم موعظة ومعتبرًا) "[٥]"

[١] - سورة ق (6-12)

[٢] - تفسير السعدي ص804

[٣] - سورة يونس (101)

[٤] - أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، المؤرخ المفسر الإمام ، ولد في طبرستان عام 224هـ - واستوطن بغداد ، يعتبر من ثقات المؤرخين ، وقيل عنه : أوثق من نقل التاريخ ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق ، وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا ، له عدة مؤلفات منها (أخبار الرسل والملوك - جامع البيان في تفسير القرآن - اختلاف الفقهاء- المسترشد) توفي ببغداد سنة 310هـ - . الأعلام للزركلي 69/6

[٥] - جامع البيان في تأويل القران 214/15

فكانت هذه الآيات وأمثالها دعوة لإيقاظ العقول من غفلتها ، حيث كانت الدعوة إلى النظر لا تعني النظرة البصرية العادية إنما نظرة إيقاظ البصيرة القلبية ، وإلا فكل الناس ذوو أعين لكن المبصر منهم من أبصر بقلبه لا بعينه .

ثانيا / الأمر المباشر بالتفكر

قال تعالى : **﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾** "[١]"

والتفكر التأمل والنظر العقلي بمعنى إعمال الفكر .

وأمرهم بالتفكر في أنفسهم لأنها اقرب إليهم من غيرها من المخلوقات ، وليتدبروا ما أودع فيها ظاهرا وباطنا والدالة على حكمته وتدبيره ."[٢]"

فعادة ما يخاطبهم الله تعالى بمثل ذلك حتى يتعظوا ويعتبروا وينظروا إلى أنفسهم ، فالذي أوجدهم من العدم وخلقهم في أطوار معلومة ونفخ فيهم الروح ، لا يليق به أن يتركهم سدى بلا أمر ونهي أو ثواب وعقاب ، وأنه ما خلق السماوات والأرض وأوجد ما فيهما باطلا وعبثا ولا لتبقى خالدة إنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى وهو قيام الساعة والثواب والعقاب."[٣]"

وبمثل ذلك خاطبهم في أغلب الآيات بقوله (أفلا يتفكرون) (أفلا تتفكرون) (أولم يتفكروا) .

لذلك نجد تكرار الكلمات والمعاني التي تشير إلى التفكر والنظر والاعتبار

كما جاء في يعقلون وردت 22 مرة ، ويتفكرون 10 مرات ، وينظر بمشتقاتها وتصاريفها أكثر من 36 مرة ، والسماء والسماوات أكثر من 300 ، وذلك كله للتأكيد على قيمة الأشياء المنظورة .

---

[١] - سورة الروم (8)

[٢] - الكشاف للزمخشري 469/3

[٣] - تفسير السعدي ص637 ، أضواء البيان للشنقيطي 168/6

ثالثا / أسلوب الاستفهام الإنكاري (ألم تر ، أولم يروا ، ألم يروا ، أولم ينظروا ، أفلا ينظرون ....) فيخاطبهم ربهم مستنكرا عليهم عدم عبرتهم واتعاظهم في المخلوقات من حولهم وفي دلائل توحيد خالقهم وربوبيته .

ومن ذلك قوله تعالى : **﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾** "[١]"

فكل ما في الكون دال عليه وحده ، وكل ذرة من ذراته في الأجسام والأرواح دليل قاهر على التوحيد ، وأنها ما خُلِقَت بأسرارها وعجائبها إلا للتدبر والتفكر ."[٢]"

لذلك كان الخطاب استنكارا (**أولم ينظروا**) لأنهم لو نظروا بقلوبهم وتفكروا لوصلوا إلى مقصود ربهم وآمنوا به وعرفوا أن كل ما في الكون يدل على التوحيد وعلى صفات الكمال لربهم ."[٣]"

يقول سيد قطب "[٤]" رحمه الله :

((والنظر إلى ما خلق الله من شيء- وكم في ملكوت السماوات والأرض من شيء - يدهش القلب ويحير الفكر ، ويلجئ العقل إلى البحث عن مصدر هذا كله ، وعن الإرادة التي أوجدت هذا الخلق على هذا النظام المقصود المشهور)) "[٥]"

وكلامه إشارة إلى أن النظر بالقلب وعين البصيرة أمر لابد منه وضرورة حاضرة عند كل البشر وكافية لإيقاظ الفطرة والإذعان للخالق ، إلا من أعماه الله عن ذلك وكان ممن خُتِمَ على قلبه فلم يعتبر ولم يتعظ ولم يفقه مقصود خالقه من خلقه .

من هنا كان استنكار الخالق لهم كما بينا ، حيث لم يوصلهم كل ما حولهم إلى التذلل والخضوع الذي يستوجب السجود .

---

[١] - سورة الأعراف (185)

[٢] - مفاتح الغيب للرازي 421/15

[٣] - تفسير السعدي ص310

[٤] - سيد قطب بن إبراهيم ولد في أسيوط عام1324هـ ، مفكر إسلامي مصري ، عمل في جريدة الأهرام وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) ، انضم إلى الإخوان المسلمين فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم ، فعكف على تأليف الكتب ونشرها إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم عام1387هـ . من مؤلفاته (النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، التصوير الفني في القرآن ، معالم في الطريق ، الإسلام ومشكلات الحضارة) . راجع الأعلام للزركلي 147/3-148

[٥] - في ظلال القران لسيد قطب 1405/3

كما قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ** ﴾ "[1]"

ومثلها في قوله : ﴿ **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ "[2]" والآيات في ذلك كثير .

رابعا / القسم بالمخلوقات وذلك للفت النظر إلى ما فيها من دلائل باهرة تستحق التمعن كالشمس والقمر والليل والضحى والزمان والسماء والنجوم وغيرها .

والقسم بهذه المخلوقات يعتبر من إحدى أساليب القران في توجيه القلوب إلى المشاهد الكونية بشتى الأساليب والمواضع ،

تارة توجيها مباشرا وتارة باللمسات الجانبية ووضعها في الإطار الحقيقي اللائق بها ."[3]"

قال تعالى : ﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۞ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۞ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا** ﴾ "[4]"

فالشمس إحدى مخلوقاته العظيمة الدالة على قدرته وحكمته وعجيب تدبيره التي هي في النهاية من دلائل توحيده ، ويظهر ذلك من خلال طلوعها وإشراقها وحين تضحى وترتفع عن الأفق وما فيها من فوائد الظلال والدفء كل ذلك له دلالة خاصة توحي إلى خالقه .

ومثلها القمر إذا تلا الشمس بنوره ومنازله ، ثم النهار في إجلائه وظهوره وماله من اثر في حياة الناس ، والليل فهو غشاء يضم كل شيء ويخفيه وهو ستر ولباس وما فيه من الهدوء والسكينة والاستقرار ، ثم السماء وبنائها وارتفاعها واتساعها في الأفق حيث تتناثر فيها النجوم والكواكب السابحة في أفلاكها ، ثم الأرض لما بسطها ومهدها وأرسى الجبال عليها وأجرى أنهارها وشق بحارها ويسر سبل المعيشة على أهلها ."[5]"

كل ذلك مما يستدعي التوقف والنظر والتأمل لذلك كان القسم بها سبيلا إلى ذلك .

[1] - سورة النحل (48)
[2] - سورة الغاشية (17)
[3] - في ظلال القران لسيد قطب 3916/6
[4] - سورة الشمس (1-6)
[5] - في ظلال القران لسيد قطب 3916/6-3917

خامسا / تسمية سور القران بأسماء الكائنات الحية والظواهر الطبيعية تنبيها للعقول على أهميتها في الدين والدنيا : كالبقرة والأنعام والنحل والنمل والعنكبوت والإنسان

وهذا يبين لنا أيضا سبب اختيار الله لها وتسمية السور بها دون غيرها من المخلوقات ، فله سبحانه في كل شيء حكمة وفي كل تصرف وقضاء سبب .

سادسا / ذمه تعالى للذين لا يعقلون ولا ينظرون ولا يتفكرون فوصفهم بالعمى والصم والبكم وأنهم أضل من الأنعام .

قال تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ "[١]"

فكان تشبيه الله لهم بالدواب وأنهم أضل منها لجهلهم وعدولهم عن قبول الحق وإعراضهم عنه مع وضوحه وظهور دلائله التي ينبغي ألا تخفى على أحد ، ولان الأنعام خُلِقَت واستعملت فيما خلقت له ولها أذهان تدرك بها مضرتها من منفعتها لذلك كانت أحسن حالا منهم . "[٢]"

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ "[٣]"

فهؤلاء الذين لم تفد فيهم الآيات ولا النذر ، فكانوا صما عن استماع الحق وبكما عن النطق به ، فأصبحوا بذلك شر من الدواب لأنه تعالى أعطاهم الأسماع والأبصار والأفئدة فلم يستعملوها في طاعة الله ، بل حاربوه بها بعصيانهم وتمردهم عن التسليم والإذعان ."[٤]"

وقال تعالى أيضا في سياق ذمهم :

﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾ "[٥]"

---

[١] - سورة الأعراف (179)
[٢] - مفاتح الغيب للرازي 469/15 ، تفسير السعدي ص309
[٣] - سورة الأنفال (22)
[٤] - تفسير السعدي ص318
[٥] - سورة الحج (46)

فذمهم على عدم اتعاظهم واعتبارهم بما جرى في الأرض على أسلافهم من الأمم السابقة وإهلاك الله لهم وقد مروا على مساكنهم وديارهم ولم يبقى منها سوى آثارهم .

فلم تنفعهم قلوبهم ليعقلوا حجج الله وقدرته وحكمته على خلقه ، ولم يصغوا بآذانهم فيقبلوا الحق وينطقوا به ."[١]"

فهؤلاء كانوا ممن يرون بأبصارهم لكن عميت بصيرتهم فلم تنفعهم الرؤية ولم تغنهم عن إدراك الحقيقة والعبرة من هذه الآية كما يقول الرازي "[٢]" :

((فالمقصود منه ذكر ما يتكامل به ذلك الاعتبار لأن الرؤية لها حظ عظيم في الاعتبار وكذلك استماع الأخبار فيه مدخل ، ولكن لا يكمل هذان الأمران إلا بتدبر القلب لأن من عاين وسمع ثم لم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع ألبتة ولو تفكر فيها سمع لانتفع ، فلهذا قال : فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)) "[٣]"

---

[١] - تفسير الطبري 18/657-658

[٢] - محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازيّ، ولد في الري عام544هـ ، إمام مفسر وأوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها من تصانيفه (معالم أصول الدين ، لوامع البينات ، أساس التقديس ، المطالب العالية) توفي في هراة عام 606هـ . الأعلام للزركلي 6/313

[٣] - مفاتح الغيب للرازي 23/233

دلالة الأنفس والآفاق على ربوبية الله :

ويظهر ذلك من خلال عدة نقاط نلخصها فيما يلي :

1/ دعوة القرآن الصريحة للإنسان المخلوق بالنظر إلى نفسه وخلقتها وطبيعتها والكون من حوله وما أودع فيهما سبحانه من أسرار .

فقد لقي المخلوق الإنسان اهتماما بالغا وعناية خاصة من قبل الخالق تعالى بتكريمه وتفضيله عن سائر المخلوقات ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ** ﴾ "[١]"

لذلك كان بدن الإنسان ونفسه أقرب وأكثر الأدلة التي تدل على الصانع لأنه لا يماثله ولا يضاهيه شيء من المخلوقات لذلك جاءت الدعوة إلى التبصرة في الأنفس بأسلوب الإنكار والتوبيخ والذم لأهل الغفلة والإعراض ، لأنهم لو نظروا بأبصارهم متفكرين ببصائرهم لاهتدوا إلى الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء ودلهم ذلك إلى ربهم وخالقهم .

يقول الحق تعالى : ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ "[٢]"

أي ما في أنفسكم من الدلائل والبراهين المتمثلة في خلق الإنسان وأطواره التي يمر بها من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى طفل إلى شاب فكهل وفي إدراكه وسمعه وبصره ونطقه واختلاف شكله ولونه كلها آيات دالة على وجود الله وتوحديه وقدرته على البعث والجزاء ."[٣]"

وكما كانت الدعوة للنظر في الأنفس فقد جاءت دعوة القران أيضا للنظر والتدبر والتبصر في آيات الله الكونية الموصلة إليه والاعتراف بربوبيته واستحقاقه لها ، وذلك تنفيذا لقوله (**سنريهم**) أي نبين ونوضح لهم ، لذلك جاء أمره تعالى بالتفكر والاستدلال في دلائل الوحدانية والإرشاد إلى مسببات الإيمان ودفع ضلالات الكفر والطغيان ، لينظر العبد المخلوق إلى ما حوله من أحوال الموجودات الكونية من فوقه والأرضية من حوله الدالة على وحدانية الخالق جل وعلا .

[١] - سورة الإسراء (70)
[٢] - سورة الذاريات (21)
[٣] - أيسر التفاسير للجزائري 158/5

ثم إن هذا الخطاب أتى بصيغة الأمر المطلق الدال على العموم ، لتتوجه كل نفس إلى ما هو أقرب إليها وأيسر استدلالا عليه لديها ، ومخاطبا عامة مخلوقاته من البشر المؤمن منهم ليزداد إيمانا ويقينا ، والكافر الجاحد لتنقشع غشاوة قلبه والأستار التي طغت على فطرته وعقيدته ، مسلّما أمره لله تعالى معترفا بما عليه تجاه خالقه .

وهذا الأمر الإلهي للمخلوقات بالنظر ليس مقتصرا على الرؤية البصرية فقط ، إذ ليس الغرض النظر إلى كبر السماء واتساعها ورفعها بلا عمد ، وبسط الأرض وتمهيدها وبسطها بلا نكد ، أو شكل المخلوقات وظاهرها الخارجي ، فهذه نظرة حسية اشتركت فيها جميع الخلائق ، والنظر إليهما جمع بين الطريقين الحسي والمعنوي ، إنما أراد الخالق تعالى شيئا أعظم من مجرد النظر إلى أشكال المخلوقات وأحجامها وهو الرؤية البصرية المقترنة ببصيرة القلب وتفكر العقل ، والرؤية الأعمق التي تجعل القلب يجول في السماء وأقطارها وملكوتها كأنه فتحت له الأبواب لير ملائكتها وما فيها حتى يصل إلى عرش الرحمن فينظر سعته وحجمه والملائكة من حوله فحينها يقوم القلب بين يدي خالقه مهيبا خاشعا له دالا عليه "[1]" .

وهو الطريق المعنوي الإيماني المراد والمطلوب من المخلوقات ، وإلا لما احتاج العباد إلى الأمر بالنظر وكلهم ذوو أعين مبصرة ، لكن من منهم من ينظر ببصيرته ؟؟!."[2]"

وما كان تكرار الله تعالى للنظر والتفكر في كتابه على أسماعنا وعقولنا لمجرد سماعها ومعرفتها فحسب ، بل لمقصود أعظم أراده ربنا تعالى يظهر من خلاله قدرته ومشيئته وعظمته وحكمته في خلقها وتركيب أجزائها وأطرافها وتفاصيل باطنها ."[3]"

---

[1] - مفتاح دار السعادة لابن القيم 199/1
[2] - الأدلة العقلية النقلية لسعود العريفي ص265- 276
[3] - نفسه 188/1

أولا / الآيات الداعية إلى النظر في الأنفس :

يقول الحق تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ** ﴾ "[1]"

حيث أن انتقال الإنسان من حال إلى حال من أعظم الدلائل على وجود الخالق ، حيث كان في أخس أحواله نطفة قذرة لا حركة فيها ولا حس مع ما فيه من الضعف ، ثم انتقل إلى أشرف أحواله وأعاليها فإذا هو خصيم مبين لربه منكر لخالقه ، فهذا الانتقال والانقلاب وتغير الحال لا يحصل إلا بتدبير مدبر حكيم عليم . "[2]"

وجاءت آيات كثيرة تذكر خلق الإنسان ونشأته إجمالا وتفصيلا ، وتصويره وتكوينه في أحسن الصور ، وما فيه من الجوارح والحواس والألسنة والألوان والأشكال وكلها مما يستدل به على وحدانية الرب تعالى وكمال قدرته وعظمته مما يبهر العقول ويحيرها فلا تلجأ إلا إلى التسليم بربوبيته ولا تهتدي إلا إليه .

- **الاستدلال بأطوار خلقه ونشأته**

في بطن أمه في آيات عدة سيق بعضها لإثبات البعث لكن لا تخلو من كونها دالة على تفرده واستحقاقه للإلهية .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا** ﴾ "[3]"

فجاء الاستفهام توبيخيا ، إذ لا عذر لهم في عدم توقيره إذا نظروا إلى ما في أنفسهم من الدلائل على وجود الله ووحدانيته وعلموا أحوالها ثم أنكروا بعد ذلك خالقها وعبدوا غيره ، لان هذه الأطوار لا تدل إلا على الله تعالى ولا توجب إلا بالإيمان به ، فالذي انفرد بالخلق والتدبير البديع على تلك الحال متعين بأن يفرد بالعبادة .

---

[1] - سورة يس (77)

[2] - تفسير الرازي 180/19

[3] - سورة نوح (13-14)

وبين هذه الأطوار في آيات فقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ "[١]"

وقال أيضا : ﴿ **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** ﴾ "[٢]"

فهو سبحانه لما ذكر الظلمات الثلاث أردف قائلا : (**ذلكم الله ربكم**) أي لم يكن عبثا بل لتستدلوا به على ربكم وعلى وحدانيته فهذه آيات ودلائل مقررة للربوبية والتوحيد بما ذكر قبلها من خلق السماوات والأرض وبعدها لما قال (**إن تكفروا**) أي بما ذكر من النعم ، فهو سبحانه خالق هذه الأطوار والمنعم والمتفضل عليكم ومربيكم في كل طور وحده لا شريك له ، مالك كل شيء ولا معبود بحق سواه ، فكيف تنصرفون عن هذه البراهين والحجج القاطعة وتعدلون عن عبادة غيره تعالى وهو أحق بها .

فكان ذلك من كمال خلقة الله تعالى وقدرته على الخلق والإيجاد ولأن التفصيل في خلق الإنسان وبيان أطوار ومراحل خلقته قد يكون أبعد أثرا في النفس وأشد تأثيرا عليها لأنه تعالى لو أراد لخلقه جملة واحدة ولم يحتج إلى جعله في أطوار فهو سبحانه إذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، لكن ليبين حكمته وكمال قدرته وسعة علمه ولتستدل النفس إليه وتتبصر العقول به وتلجأ له وتعلم أن ذلك كله من رب قادر على كل شيء لا إله غيره . "[٣]"

---

[١] - المؤمنون (12-14)
[٢] - سورة الزمر (6)
[٣] - أضواء البيان للشنقيطي 309/8

- **تصوير الإنسان وتسويته**

ثم ذكر تعالى أنه صور الإنسان وخلقه وقومه وعدله في أحسن صورة من صور اختلاف بني ادم ، فاختلاف الصور على تشابهها آية عظيمة من آيات الله الدالة على وحدانيته ، سواء كان ذلك في الطول والقصر واللون والشكل والحسن والقبح .

فأي حجة لك يا ابن آدم وقد ساوى بين يديك فلم يجعل لك يدا أطول من الأخرى ولا رجلا أقصر من أختها ، وساوى بين عينيك وأذنيك وأنفك وفمك فحسنت هيئتك ، ذكرا كنت أم أنثى ، وأعطاك وغيرك من عباده نصيبك وحظك من الدنيا ، لذلك لا ينبغي التشمت في خلق الله أو ازدراء الناس لأشكالهم وأجناسهم ، فجميع ما خلق الله حسن ، وإن ظهر للبشر غير ذلك .

قال تعالى : ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ﴾ "[١]" ، أبعد كل هذا تغتر بعبادة ربك وتعرض عنه وقد دلتك نفسك إليه ؟!

فالإنسان من جملة مخلوقاته تعالى لكنه أفضلها وأحسنها هيئة وصورة ، وأكملها عقلا وصفاتا بما ميزه الله تعالى وبما ركب فيه من الجوارح كي ينتفع بها ، وفي ذلك دلالة على الخالق سبحانه وتعالى .

لذلك كان وعيد الله أعظم وأشد لمن خالف أوامره واستكبر عن طاعته حيث يسر له كل السبل بما وهبه ومتعه من النعم التي تدله على خالقه في نفسه ومن حوله ، وهداه إلى الطريقين ثم يقابل ذلك كله نكرانا وجحدا بها .

قال تعالى : ﴿ **وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** ﴾ "[٢]"

وقال أيضا : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ "[٣]"

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** ﴾ "[٤]"

يقول الفخر الرازي "[٥]" في هذه الآية : ((ودلالة هذه الحالة على الصانع القادر في غاية الظهور ، لأن النطفة جسم متشابه الأجزاء وتأثير طبع الأبوين فيه على السوية ، فالفاعل المؤثر بالطبيعة في

[١] - سورة السجدة (7)
[٢] - سورة غافر (64)
[٣] - سورة التين (4)
[٤] - سورة الانفطار (6-8)
[٥] - سبقت ترجمته

القابل المتشابه لا يفعل إلا فعلاً واحداً ، فلما اختلفت الآثار والصفات دل ذلك الاختلاف على أن المدبر هو القادر المختار)) "[١]"

وفي هذا دلالة على الخالق القادر ، فكما جعل سبحانه اختلاف عباده في أحوالهم من غني وفقير وطويل وقصير وصحيح وسقيم لحكمة منه تعالى ، كذلك كان اختلاف الألوان والأشكال والهيئات بحكمته ، وذلك أنه لما اختلفت الهيئات والصور ، والصفات دل ذلك على كمال القدرة ، واتساع الصنعة ، وأن المدبر المختار هو الله تعالى ."[٢]"

- **اختلاف الألسن والأصوات**

وجعل الخالق سبحانه وتعالى اختلاف الألسن والأصوات والألوان والأشكال والصفات في الشيء الواحد في بني ادم فمنهم العربي والعجمي والأبيض والأسود والأحمر وبين ذلك ، وما ذلك إلا لنستدل بها عليه .

فقد نرى الأعمى الذي لم يبصر نور الدنيا يعرف أبيه وأمه وإخوته وقرابته ويميزهم عن غيرهم بأصواتهم وبنور بصيرته ويتحسس وجودهم من بين سائر الناس ، والأعجمي الذي لا يعرف حرفا بالعربية يعرف ربه ويفقه القران بما فيه علما وعملا .

ثم إن الإنسان نفسه إذا اختلطت عليه اللغات وتشابهت الأشكال والأصوات لا يميز ذلك ويحتاج إلى وقت حتى يحفظ شكل فلان – خصوصا إذا كانوا توأمين – من كذا وكذا في صفاته التي عرفها عنه ، وبما ركب فيه من وسائل الإدراك ، فبها عرف الناس بعضهم ببعض ، حتى يحفظ لكل إنسان حقه ، ألا ترى أن المجنون مسلوب العقل لا يدرك من حوله من أقرب الناس إليه ، فسبحان من لا تختلط عليه اللغات ولا تختلف عنده الأشكال والأصوات حين ترفع الدعوات .

فمن رحمة الله تعالى ومما يدل على وجوده أن وهب للإنسان بصرا يميز به الأشكال والصور ليعرف به عدوه من صديقه من قريبه ، وسمعا يميز به الأصوات فلكل إنسان صوتا ونغمة محسوسة يعرف بها ،

[١] - تفسير الرازي 74/31
[٢] - نفسه 74/31

ووهبه عقلا يفكر ويعرف به ويدرك مكر وكيد من حوله ، وأنفا يميز به ما حسن من الروائح وما كره منها ، وذوقا يستطعم به ما طاب من الأطعمة ، وقلبا يشعر به فيحب ويكره ويرضى ويغضب وغير ذلك من تقلبات أحوال الإنسان ، وأعظم من ذلك كله أنه مع تشابه الأطعمة والألوان وصفات الأشياء نجد أن ما يستحسنه قوما يعافه آخرون ، ومع اختلاف الطبائع والصور والأشكال على كثرة العدد جميعهم من أصل واحد من سلالة الطين من نطفة متماثلة ، ومن أبينا آدم عليه السلام وما ذلك إلا بفضل الله سبحانه ورحمته بعباده ."[1]

ولا شك أن هذا الاختلاف من البراهين القاطعة على بطلان إسناد هذه التغيرات والتأثيرات إلى متصرف غير الله أو أن يكون للإنسان أو الطبيعة دخل بها ، وأن ذلك كله بتقديراته وأحواله وتأثيراته من عند الله تعالى لا شبيه له ولا نظير ، ودال عليه وعلى كمال قدرته واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له .

وصدق الحق القائل : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** ﴾ "[2]"

وقال تعالى في نعمة السمع والبصر والإدراك : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ "[3]"

- **أصل الخلقة (خلق الزوجين)**

ومن مظاهر دلالة على المخلوقات على الخالق أيضا خلق الزوجين الذكر والأنثى والأضداد والمتقابلات مما يدخل في خصائص خلق الإنسان خاصة وفي كل مخلوقاته تعالى عامة فلم يخلق فردا قط ، حيث أوجد في كل جنس من الموجودات نوعين مختلفين متقابلين ، وقد ينشئ منهما ومن تزاوجهما نوعا ثالثا مشابها أو مخالفا لهما في الصفات .

---

[1] - تفسير الرازي 98/25 ، مفردات ألفاظ القران للراغب الأصفهاني 337/2

[2] - سورة الروم (22)

[3] - سورة النحل (78)

ومن المتقابلات والأضداد في الكون وما فيه من الحيوان والنبات ، السماء تقابلها الأرض ، والبر يقابله البحر ، والمعروف يقابله المنكر ، والخير يقابله الشر ، والشقاء والسعادة ، والكفر والإيمان ، والجن والإنس ، والجنة والنار ، الذكر والأنثى والأسود والأبيض والحلو والحامض والحار والبارد وأشباه ذلك مما نراه من حولنا .

فبين سبحانه وتعالى لعباده لعل ذلك ينفعهم ويذكرهم بخالقهم ، ليستدلون بالأزواج التي خلقها إلى الفرد الصمد وحده لا شريك له وليعلموا سعة علمه وكمال قدرته ، لذلك اتبع الآيات بقوله (**ففروا إلى الله**) أي الجئوا إليه وسلموا أنفسكم له باعترافكم بفضائله ونعمه عليكم ."[1]"

يقول الحق تبارك وتعالى : **﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾** "[2]"

ويقول تعالى : **﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾** "[3]"

وقوله : **﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾** "[4]"

فتبارك سبحانه وتعالى فقد أوجد الزوجين الذكر والأنثى للتكاثر وليس للإيجاد ، فهو الموجد سبحانه ، لكنه جعلهما سببا لوجود أبناءهما وذريتهما ، فأوجد أبينا آدم عليه السلام ثم خلق منه زوجه حواء ومنهما أوجد البشر جميعا من جنسين مختلفين

فقال تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾** "[5]"

---

[1] - أيسر التفاسير للجزائري 169/5
[2] - سورة الذاريات (49-50)
[3] - سورة يس (36)
[4] - سورة الزخرف (12)
[5] - سورة النساء (1)

وأنه تعالى يخلق من النطفة الواحدة إما ذكرا وإما أنثى ، وقد يخلق منها توأمين مختلفين ذكرا وأنثى ، وهذا مما يستدل به عليه إذ أوجد تعالى الضدان من المادة الواحدة ، وخلق الشيئين والأشياء من الشيء الواحد ، شيء واحد ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة ."[١]

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا** ﴾ "[٢]"

قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى** ﴾ "[٣]"

وقال تعالى : ﴿ **فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى** ﴾ "[٤]"

فجعل الله تعالى الإنسان يستدل لنفسه بنفسه أي من ذاته على وجود خالقه ويعلم سعة علمه وكمال قدرته وربوبيته تعالى .

وغير ذلك كثير مما جعله الله تعالى في نفس كل إنسان ليستدل به على ربه ، لكنا اقتصرنا على ما ذكرنا لعل المراد اتضح ، والله تعالى أعلم .

كما بين تعالى من خلال الآيات الدالة عليه بعد الدعوة إلى النظر **حاجة المخلوق الضرورية إلى الخالق وعجزه ونقصه وافتقاره**

فكل ما سوى الله تعالى مفتقر إليه لا يستغني عنه طرفة عين ، وكل ما يحدث للموجودات من وجودها بعد عدمها وعدمها بعد وجودها وحركاتها وسكناتها وتعاقبها كما هو الحال في الليل والنهار وحدوثهما بعد بعضهما فإنا نعلم يقينا بحدوثها وافتقارها إلى محدث لا يكون محدثا ولا مفتقرا ، بل يكون واجبا بنفسه لا يقبل العدم ، وكل ما كان محدثا ممكنا فهو مربوب فقير ، لابد له من خالق غني .

ومن أدلة الخلق والوجود في القران الكريم قال تعالى : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ** ﴾ "[٥]"

[١] - تفسير البيضاوي 224/1
[٢] - سورة فاطر (11)
[٣] - سورة النجم (45)
[٤] - سورة القيامة (39)
[٥] - سورة الطور (35-36)

وقال أيضا : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ "[١]"

وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ "[٢]"

ثانيا / الدعوة إلى النظر في آيات الآفاق :

دعا الحق تبارك وتعالى إلى النظر في أحوال الأمم السابقة والاعتبار بمصيرهم وما حل بهم من الهلاك لطغيانهم واستكبارهم عن الحق وغفلتهم عن ربهم فالذي أهلكهم وأبادهم ولم يبق شيء مما كانوا يتفاخرون به من القوة والبنيان قادر على فعل ذلك أو اشد منه بأمثالهم وأتباعهم وهو كاف وحده في الدلالة على ربوبيته تعالى .

قال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ "[٣]"

وقال أيضا : ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ "[٤]"

والمفسدين والمكذبين والمنذرين الذين اغتروا بدنياهم وأهملوا النظر الذي دعاهم إليه خالقهم .

ودعا إلى النظر في بداية الخلق عامة كخلق العرش والسموات والأرض وغيرهما فالذي خلقها مع عظمها قادر على خلق ما هو دونها وأهون منها من خلق البشر وغيرهم ، فاعتبروا الإعادة بالابتداء لتستدلوا بها عليه .

وقال أيضا : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ "[٥]"

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ "[٦]"

وأثنى سبحانه وتعالى على المتفكرين والمتدبرين لكلامه أولى الألباب النيرة التي توصلت إلى خالقها بخلقها وما حولها

[١] - سورة مريم (67)
[٢] - سورة مريم (9)
[٣] - سورة الروم (42)
[٤] - سورة القصص (40)
[٥] - سورة العنكبوت (20)
[٦] - سورة العنكبوت (19)

قال تعالى : ﴿ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ "[١]"

كما دعا سبحانه إلى النظر في حال الناس وكيف يظهر أثر رحمة الله تعالى بهم واستبشارهم بنزول الغيث وإنبات الزرع بعدما أصابهم القنوط واليأس فكل نعمة يتمتع بها المخلوقات هي أثر من آثار رحمته دال عليه سبحانه .

قال تعالى : ﴿ **فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾ "[٢]"

ودعا إلى النظر في عظم السماوات والأرض وما فيهما فقال : ﴿ **قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ "[٣]"

وقوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ "[٤]"

وقال أيضا : ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ** ﴾ "[٥]"

فما الذي في السماء حتى يدعونا الخالق إلى النظر إليه ؟ وما الذي يوجد في الأرض ؟ و ماهي الآيات التي أراد سبحانه بيانها لعباده ؟؟

أما السماء فقد ذكرها الله تعالى في كثير من آيات الكتاب العزيز ، فهي فضاء شاسع لا تُعلم سعته ، وأنها سبع سماوات طباق قائمة على غير عمد ، والسماء الدنيا آخرها وهي التي نراها ."[٦]"

ولقد علمنا بحسب ما ورد في الكتاب أن الله تعالى خلقها سبع سماوات متباعدة طبقة فوق طبقة ، بين كل سماء وأخرى مسافة مقدرة ، ولها أبواب تفتح وسكانها من الملائكة والنبيين ، وزينت بالكواكب كالشمس والقمر والأجرام السماوية الأخرى والنجوم وغيرها ، وجميعها معلقا في الفضاء

[١] - سورة آل عمران (191)
[٢] - سورة الروم (50)
[٣] - سورة يونس (101)
[٤] - سورة الأعراف (185)
[٥] - سورة يوسف (105-106)
[٦] - مقومات التصور الإسلامي : سيد قطب ، دار الشروق / الطبعة الخامسة 1418-1997 / ص 330

بلا دعائم ولا سند ممسوكا بيد المولى تعالى وتبارك شأنه وما فيها من الإتقان والحبك وعدم التفاوت وكونها سقفا للأرض مرفوعا محفوظا من السقوط والتشقق والصدوع ومن استراق السمع من الشياطين ".[1]

وكذلك الأرض فقد أمر سبحانه وتعالى عباده بالتدبر والنظر فيها كما هو الحال في السماء ، وغالب الآيات تأتي الأرض مقرونة بها أو تليها مباشرة في الحديث ، فالأرض أقرب بالنسبة للمخلوق كونه يعيش عليها ودلائلها وعجائبها ظاهرة معاينة له من حوله ولا تخفى على أحد ، من بسطها وتمهيدها وتهيئتها للسكنى والعيش ، وشق الجبال الرواسي فيها وتثبيتها للأرض ، فكل مخلوق يبصر قدرة الله عز وجل في إحياء الأرض الميتة وشقها وإنباتها بالزرع بعد نزول الغيث وسقيا البلاد والانتفاع بما تبقى فيها من مياه العيون والآبار والأنهار وركوب البحر وما فيه من النعم ، ومخلوقات الله تعالى من الحيوانات والطيور والحشرات ومشاهدة اثر رحمة الله تعالى عليها من العناية والاهتداء وحدها دون الحاجة إلى البشر ، والظواهر الطبيعية التي تحدث بها وغيرها كثير لا يحصى من دلائل وحدانية الخالق ".[2]

وكذلك بين سبحانه أنها الحق الذي أراد تعالى بيانه للعباد ومن أجله خلقت السماوات والأرض ، وتصريحه بأن خلقهما اكبر من خلق الناس .

فهو سبحانه لم يخلقها عبثا أو باطلا فلو كانت كذلك لكان خلقها لعبا ولهوا بلا فائدة كما يظن من ظن ذلك وتعالى الله وتقدس عن أن يكون خلق خلقه عبثا وقد نزه الباري سبحانه وتعالى نفسه عن ذلك وعن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته "[3]

[1] الأدلة العقلية النقلية لسعود العريفي ص 268-272
[2] - عقيدة التوحيد في القران للملكاوي ص152-161 و ص234 إلى 239
[3] - أضواء البيان للشنقيطي 168/6

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۞ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ۞ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ "[١]"

وقال أيضا : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ "[٢]"

وهذا الحق هو ظهور عدله وإنصافه سبحانه على المؤمنين والكافرين يوم القيامة بعد أن خلقهم وكلفهم بالأوامر والنواهي ووعدهم وتوعدهم حتى انتهاء آجالهم ، فيجازي كل فريق بعمله فيظهر في المؤمنين رحمته ولطفه وكرمه وسعة مغفرته ، ويظهر في الكافرين شدة بطشه وعظم نكاله وهذا قمة الإنصاف والعدل منه تعالى ."[٣]"

قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ "[٤]"

فهي لم تخلق لتبقى خالدة إنما قرنها سبحانه بالحق والعدل الذي أراده من عباده وبتقدير معلوم وميزان دقيق محكم ونظام ثابت له قضية تحكمه وأجل تنتهي إليه وغاية وحكمة منه تعالى حتى يستدل عباده بها عليها ويعلموا عظم وقدرة خالقها وأنه المستحق وحده للربوبية والألوهية فتعالى وتنزه وتقدس عن جميع الشركاء "[٥]"

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ "[٦]"

أي أنه سبحانه ما خلقهما إلا وهما مقرونان بالحق دالان عليه صائرون إليه وهو المتضمن لأمره تعالى ونهيه وثوابه وعقابه .

وأما الحق الذي هو غاية خلق الله للسماوات والأرض فهي غايتان : غاية تراد من العباد ، وغاية تراد بهم

[١] - سورة الأنبياء (16-18)
[٢] - سورة ص (27)
[٣] - أضواء البيان للشنقيطي 169/6
[٤] - سورة النحل (3)
[٥] - أضواء البيان للشنقيطي 6/ 168- 169
[٦] - سورة الروم (8)

فأما الغاية التي تراد منهم هي معرفتهم بخالقهم وعبادتهم له ، والتي تراد بهم العدل والجزاء والثواب والعقاب ، فالحق الذي عناه الخالق تعالى في معظم آيات خلق السموات والأرض بالحق هو ما ذكرنا قال تعالى : ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** ﴾ "[١]"

حيث أنكر سبحانه على الذين يحسبون أن الله تعالى أنشاهم عبثا وخلقهم سدى ، بل هذا مناف لكمال عدله ورحمته كما ذكرنا ، إذ لم يقدروا الله حق قدره له الملك لا اله إلا هو ."[٢]"

وقال تعالى في بيان أن خلقهما أعظم من خلق الإنسان :

﴿ **لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ "[٣]"

بين سبحانه أنهما من أعظم مخلوقاته وأدلهما عليه وعلى قدرته مع عظمهما واتساعهما ومن قدر على ذلك فهو على خلق ما دونها أقدر من بقية المخلوقات ، فهما أشد خلقا وشواهدها أعظم ودلائلها أعجب . "[٤]"

لكن أكثر الناس يجهلون هذا الأمر وأن خلقهم أهون بكثير من خلق السماوات والأرض .

فهذا دال على ربوبيته تعالى واستحقاقه للملك وحده لا شريك له ، وغالبية الآيات كانت تأتي في سياق الدلالة على البعث بعد الموت فالله الذي خلق السماوات والأرض على عظمها فهو على خلق الإنسان بعد موته أقدر .

وقال أيضا : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ "[٥]"

وقال تعالى : ﴿ **أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ** ﴾ "[٦]"

---

[١] - سورة المؤمنون (115-116)
[٢] - بدائع الفوائد : ابن قيم الجوزية / تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد / مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة / الطبعة الأولى 1416هـ-1996م / 4/971-972 ، الأدلة العقلية النقلية لسعود العريفي ص265- 268
[٣] - سورة غافر (57)
[٤] - الأدلة العقلية النقلية لسعود العريفي ص265- 268
[٥] - سورة الأحقاف (33)
[٦] - سورة يس (81)

لذلك كان استفهام الله تعالى لعباده المنكرين للنظر في خلقهم أيها أهون عليه تعالى هم أم ما هو أعظم منهم من المخلوقات العظيمة العجيبة ، وأنهم لم يخلقوا إلا من طين يمشون عليه صائرون إليه ، مبينا ضعف المخلوق وانه لا يساوي شيئا أمام بقية مخلوقات الله في الكون

قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ** ﴾ "[١]"

وقال تعالى : ﴿ **أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا** ﴾ "[٢]"

مستشهدا سبحانه وتعالى على آثار قوته وتدبيره وتقديره للربوبية المنشئة للكون ، والمهيمنة على المصير في الدارين ، ليعرض ذلك كله في مشهد تعبيري آسر ، قوي الإيقاع يتناسب مع مطلع السورة . "[٣]"

2/ عناية الله تعالى بمخلوقاته عامة وبالإنسان على وجه الخصوص

وذلك فيما نشاهده وندركه من خلال موافقة المخلوقات بعضها لبعض وموافقتها للإنسان والغاية والحكمة من خلقها وجعلها في غاية الدقة والانتظام ، بحيث ندرك ونعلم أن ذلك لا يكون إلا من خالق بديع مريد قاصد .

ودلالة العناية تندرج تحتها دلالات كثيرة كلها دالة على عناية الله تعالى ورعايته لخلقه منها :

دلالة الإتقان والتقدير

دلالة التسخير والتدبير

دلالة الهداية

دلالة التخصيص وغيرها .

---

[١] - سورة الصافات (11)

[٢] - سورة النازعات (27-28)

[٣] - في ظلال القران لسيد قطب 440/7

ومن آيات الله تعالى في القران الكريم الدالة على عنايته بخلقه قال تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۞ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ "[١]"

فمن أعظم من الخالق في حسن رعايته وعنايته لخلقه ، وتخيره لأفضل الأنواع وأطيب الثمار وأصناف المأكولات لتكون طعاما لهم وقوتا لأجسامهم ونعما يتمتعون بها ويتلذذون بما هيئ لهم ولأنعامهم من المنافع ، وما كان منه تعالى ذلك إلا ليبين لمن شك وأنكر تفرده واستحقاقه للعبادة أنه لا ولن يوجد من يضاهي الله تعالى في خلقه وتقديره وتصريفه لأمور عباده ، و قدرته على المعاد ، وأنه بإحسانه إلى عباده لا يليق بالعاقل منهم أن يتمرد عليه ويتعالى ويتكبر عن طاعته ، لذلك أتبع الآيات بأهوال يوم القيامة ، لأن الإنسان إذا سمعها خاف منه ودعاه ذلك إلى النظر في نعم الله عليه ، والتأمل في دلائل وحدانيته والإيمان بها والأعراض عن الكفر ."[٢]"

وقال تعالى في عنايته بخلقه في الآفاق :

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ "[٣]"

استدل الله تعالى على وحدانيته ووجوب عبادته بأنه ربهم الذي رباهم بأصناف النعم الظاهرة والباطنة ، وجعل لهم الأرض فراشا يستقرون عليها ، وينتفعون ببنائها وزراعتها وحراثتها ، والسلوك من محل إلى محل ، وجعل السماء بناء لمسكنهم ، وأودع فيها من المنافع ما هو من ضروراتهم وحاجاتهم، كالشمس والقمر والنجوم

---

[١] - سورة عبس (24-32)

[٢] - تفسير الرازي 63/31

[٣] - سورة البقرة (22)

وأنزل من السماء ماء فاخرج به لهم ثمرات متنوعة كالحبوب والثمار من نخيل وفواكه وزروع وغيرها ، به يرتزقون، ويتقوتون ويعيشون ويتفكهون ."[١]"

وغيرها كثير على هذا النحو يذكر الله تعالى عباده بنعمه عليهم في أنفسهم وتوفيره لسبل راحتهم وملائمة ذلك لطبائعهم مما يستحيل أن يكون ذلك إلا من حكيم مدبر لكل ذلك .

كما في قوله تعالى : ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا....** ﴾

إلى قوله ﴿ **فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ** ﴾ "[٢]"

وقوله : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا** ﴾ "[٣]"

وقوله تعالى : ﴿ **قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** ﴾ إلى قوله ﴿ **كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ** ﴾ "[٤]"

- **دلالة الإتقان والتقدير :**

ومرادها أن الله تعالى ما خلق شيئا في هذا الكون إلا وأتقن صنعه ومظهره وأبهر الناظر إليه من دقة شكله وبراعة تصوره وحسن أداء وظائفه بإحكام دقيق ونظام سير متقن ومبدع ، واستمراره على ذلك من دون تدخل وتصرف من المخلوقات بلا خلل أو كلل ، مما يدل على أن ذلك كله من خالق مدبر مقدر محكم لا إله إلا هو سبحانه .

وتسمى **بدلالة الإحكام والقصد والغاية والنظام** لأن الله تعالى لم يخلق شيئا على شكل معين وبطريقة معينة ويسيره بطريقة منظمة ، إلا وله حكمة وغاية يرجوها من وراء ذلك جهلها المخلوق أم علمها ، فجميع المخلوقات سائرة وفق حكمة الله تعالى وإرادته وقضائه لها أن تكون كذلك .

[١] - تفسير السعدي ص45
[٢] - سورة يس (33-37)
[٣] - سورة النبأ (6-16)
[٤] - سورة عبس (17-23)

والآيات على دلالة الإتقان عامة أكثر من أن تحصى نذكر منها :

قوله تعالى : ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ "[١]"

أي أحكم خلقه وسوّاه ، على ما تقتضيه الحكمة ، وجعله في أدق صورة وأكمل هيئة ، ليستدل عباده بما يرونه من حسن دقة الصنعة إليه ، ولأن إتقان الصنع أثر من آثار سعة العلم ، لذلك ختم الآية بـ : ﴿ **إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** ﴾ فالذي بعلمه أتقن كل شيء هو خبير بما يفعل الخلق فليحذروا من مخالفة أوامره والاستكبار عن طاعته ."[٢]"

والذي خلق كل شيء على أحسن خلقة وصورة ، فالإنسان على خلقه حسن ، والخنزير على صورته حسن وكذلك سائر المخلوقات ، بل الإنسان وحده هو أشرف المخلوقات وأفضلها لذلك خلقه وصوره على الأكمل بالنسبة لسائر مخلوقاته

كما يقول الحق تعالى : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ "[٣]"

أي أفضل صورة ينبغي عليها أن يكون ، كل ذلك ليتبصر العاقل ويفيق الغافل ويعلم الجاهل أن لهذا الكون خالقا خلقهم وقدر لهم وأتقن وأحكم خلقتهم ليستدلوا بذلك كله وغيره إليه ويفردوه في عبادته بعد علمهم باستحقاقها له وحده دون سواه .

وإذا نظرنا إلى بدن الإنسان وتكوينه وأعضاءه الداخلية وعملها اليومي من أول ما يخلق الإنسان ويخرج إلى الدنيا فتبدأ بالعمل بلا تدخل من والديه ، فيخفق القلب ويبدأ الدماغ في الحركة والنمو وتبدأ الدورة الدموية في العمل ، حيث تستقبل ما يدخل إلى جسم الإنسان مرورا بمعدته التي تهضم الطعام كأعظم آلة على وجه الأرض تعمل من غير مدير لها ومن ثم توزعه على أجزاء الجسم ليستفيد منه ، ويقوم الدم بعد ذلك بمحاربة السموم ولفظها إلى خارج الجسم وبعده تكون عملية الإخراج ، ونرى والرئتان و القلب كل منهما في مكانه بحيث لو تحرك أحدهما لتعطل الجميع والقفص الصدري الذي يحميهما ، وعلمنا كيف أثبتت الدراسات سبب صغر إحدى الرئتين عن الأخرى لوجود القلب

[١] - سورة النمل (88)
[٢] - التحرير والتنوير 321/19
[٣] - سورة التين (4)

بالجهة اليسرى وفائدة النوم على الجانب الأيمن حتى لا يتأثر القلب ويضغط عليه وكيف يعملان بلا توقف ، لذلك لو توقف قلب الإنسان لمدة معينة فإن جميع آلات جسمه تتعطل ، والكليتان الكبد ، وكذلك مركز أجهزة الجسم المتواجد في الدماغ إذا اصطدم أو تعرض لشيء أفقده توازنه قد يصاب بالنزيف ويتوقف عن العمل ، وربما يعجز الأطباء من البشر إعادته إلى حالته الطبيعية ، لذلك نرى الذين يعيشون بالأعضاء الصناعية نادرا ما يعيشون أو قد يحتاجون إلى إعادة تكوين أو تنظيف أو ما شابه بين فترة وأخرى ، لأنه محال أن تضاهي صنائع المخلوقين صنعة الخالق .

ولم يكن ذلك إلا بتقدير المولى تعالى وحكمته بأن يكون جسم الإنسان على تلك الصورة وتلك الحال ، وأن الطيبات من الطعام تقويه وتقومه ، والضار منها يهلكه ويمرضه لذلك حرم الخمور والمسكرات وما شابهها من التدخين والمسكرات ، حتى لا تتعطل آلات الصنع التي في جسمه وتبقى على ما خلقها الله تعالى سائرة بإرادته لذلك دعاه سبحانه إلى النظر والتأمل .

وكذلك الأمر في الصناعات والاختراعات البشرية ، فلا نقول أنها اختراعات أو مصنوعات لأن الأمر المخترع وجد من عدم وهذه لم توجد من عدم ، إنما هي مجرد أمور موجودة رُكبت على بعضها فأوجدت شيئا جديدا لم يكن من قبل ، فالعقل لم يخترع إنما رتب بجهده موجودات الله في الوجود حتى أنتج واكتشف ، فتسمى اكتشافات ."[1]"

فهي وإن وصلت إلى ما وصلت إليه من العلم فإنها تعجز عن خلق الروح والحياة في مصنوعاتها ، وأقرب شيء إلى ذلك الورد الصناعي الذي حاولوا أن يجعلوه مثل الطبيعي وأضافوا إليه الإضافات والعطور حتى شابهه في الرائحة والشكل لكنه لا يذبل أبدا أما الطبيعي يذبل لأن به حياة وروح خلقت فيه ، فهذا هو الفرق بينهما .

وكذلك الذاكرة التي تخزن المعلومات وتحفظها وتتيح لك استرجاعها متى ما أردت بدقة متناهية وتحديد عجيب ، لكن بمجرد خلل واحد قد تفقد جميع المعلومات أو تتداخل في بعضها ، وهيهات هيهات أن تتساوى بذاكرة الدماغ البشري فتلك من صنع مخلوق وهذه من صنع الخالق .

[1] - تفسير الشعراوي 1599/1

فسبحان من خلق وأبدع وأتقن وقدر وأحكم ذلك كله لا إله إلا هو .

وصدق الحق تعالى لما قال :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ "[١]" فبعد كل هذا ألم تدلهم أنفسهم إليه ؟؟!

وكما يقال (**من عرف نفسه عرف ربه**) فمن تمعن وتدبر النظر إلى نفسه وكيفية خلقتها وعجيب صنعها ودقتها وحركاتها وسكناتها ما دله ذلك إلا إلى خالقها جل وعلا

وقال الحق تعالى : **﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾** "[٢]"

وقال : **﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾** "[٣]"

ولو نظر الإنسان في حياته وما يصيبه من المصائب والابتلاءت والكربات لم يكن ذلك إلا بتقدير منه وحكمة ، وما هي إلا أرزاق قسمها الله تعالى على عباده بحسب الأصلح والأنفع لهم ، فسبحان مقسم الأرزاق والأقدار القائل سبحانه : **﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾** "[٤]"

فلا تغرنك حياة إنسان بلا متاعب أو مشاق فقد يكون استدراج له والعياذ بالله ، لأن المؤمن يبتلى على قدر إيمانه وكلما كثر بلاءه غفرت ذنوبه واقترب من ربه ، حتى يمشي المؤمن على الأرض وليس عليه خطيئة ، يقول الحق تبارك وتعالى : **﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾** "[٥]"

فلو تأملنا وتدبرنا الآية حق تدبرها لما ضجرنا وسخطنا من سيء الخبر ، ولآمنّا وسلمنا بالقضاء والقدر ، وفوضنا أمورنا إلى رب البشر .

---

[١] - سورة فصلت (53)
[٢] - سورة النمل (88)
[٣] - سورة السجدة (7)
[٤] - سورة الرعد (8)
[٥] - سورة الشورى (27)

فتلك تقديرات الله وحكمته في عباده فهو سبحانه الأعلم بأحوالهم ومنافعهم والأصلح لكل منهم .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ "[١]"

بتقدير متساو لا يزيد ولا ينقص ، وبقضاء وحكمة وإرادة منا أن يكون على الكيفية التي أرادها سبحانه وبعينها ."[٢]"

وقال : ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾ "[٣]"

وقال : ﴿ **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ "[٤]"

وهذه الدلالة كانت أيضا في مخلوقاته تعالى في الكون فمن **مظاهر دلالة الإتقان في السماء** أنه تعالى خلق السماوات ورفعها عن الأرض وجعلها سبحانه آية من آياته الدالة عليه ، فالناظر إلى السماء يرى عجبا ، ويعجز عقله عن تفسير ما يشاهده من كبر السماء واتساعها وهول ما فيها من كواكب وأجرام وسحب ومظاهر طبيعية تسير بدقة متناهية ونظام متسق وكون بديع شاسع مما يدل على عظم الخلق ودقة الصانع التي يستحيل أن تكون من تدبير وتقدير من له الكمال والعظمة والقدرة التامة والملكوت العظيم فلا يملك إلا أن يسلم قلبه خاشعا للخالق العظيم معترفا بربوبيته مستسلما منقادا بجوارحه .

قال تعالى : ﴿ **وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ** ﴾ "[٥]"

قال تعالى : ﴿ **وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ** ﴾ "[٦]"

وقال أيضا : ﴿ **وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ** ﴾ "[٧]"

فإذا نظرنا إلى رفع السماء وإمساكها وقدرة الخالق تعالى في جعلها بلا أعمدة رحمة بعباده ولم يغفل سبحانه عن ذلك على مر السنوات لئلا تزول وتقع عليهم أو يقع بعض ما فيها من النجوم والأجرام

---

[١] - سورة القمر (49)
[٢] - التحرير والتنوير 10/19
[٣] - سورة الفرقان (2)
[٤] - سورة الطلاق (3)
[٥] - سورة الغاشية (18)
[٦] - سورة الطور (5)
[٧] - سورة الأنبياء (32)

على الأرض فتهلكهم لأن المعتاد أن الأسقف لابد لها من أعمدة وأركان أو حائط يقيمها والذهن لا يتصور غير ذلك لزوما وهي قاعدة عند البشر فقط ، ولا يكفي ذلك بل لابد أن تكون قوية شديدة الصلابة حتى لا تقع في أي لحظة فتهلك من تحتها وهذا الأمر معدوم في حال السماء مما يجعل النفس تتعجب من عظم الصنعة ، فالسماء منذ خلقها ناشئة وقائمة بأمره تعالى لم تسقط ، وهو من أعظم الدلائل على حكمة المولى تعالى وإتقانه ورحمته ولطفه بعباده وعلى وحدانيته وربوبيته .

وإذا نظرنا إلى السماء في بناءها وحبكها واتساعها وتزيينها بالكواكب والنجوم فإنه يتجلى في ذلك دلالات العناية الإلهية بخلقه من الإتقان والتقدير والنظام والإحكام الدالة على ربوبية الخالق جل وعلا قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً** ﴾ "[١]"

فهو سبحانه خصهم بالآيات العظيمة والدلائل والشواهد العجيبة من خلقه السماء وبناءها والأرض وفرشها ليدلهم عليه سبحانه ، ويعلمهم أنه بما خلق مستحق للربوبية وحده لا شريك له ."[٢]"

قال تعالى : ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ "[٣]"

وقال أيضا : ﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ** ﴾ "[٤]"

فهي بنيان عظيم ، وجمال متناسق وزينة باهرة يعجز عن بنائه أقوى مخلوقات البشر ، وطرق واضحة توصل إلى مراد خالقك رب البشر ، ليقف المخلوق أمام ذلك كله مؤمنا بما يرى أنه ليس من صنع بشر ضعيف يعتريه النقص والكسل والمرض بل هي من صنع عظيم كامل قادر غني عما سواه في كل أفعاله .

قال تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ** ﴾ "[٥]"

[١] - سورة البقرة (21-22)
[٢] - الكشاف للزمخشري 126/1
[٣] - سورة الذاريات (47)
[٤] - سورة الذاريات (7)
[٥] - سورة ق (6)

بل دعا سبحانه كل من ينظر في السماء أن يتمعن في النظر ويعيد الكرة مرة واثنان وثلاث ، معاتبا المشركين على تقصيرهم وإغفالهم النظر والاستدلال عليه ، فهل استطاعوا أن يروا أي خلل فيها أو في نظامها الكوني المتناسق المنظم أو في مسار كواكبها وزينتها ومصابيحها من صدوع وشقوق تعيب صانعها ، فلن يرجع الناظر المتأمل إلا خائبا ذليلا من تكرار النظر بلا فائدة .

قال تعالى : ﴿ **مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ** ﴾ "[1]"

فتلك الحكم والتقديرات والنظام المحكم والصنع البديع والإرادة ودقة التدبير في أمور المخلوقات لا تدل ولا توصل إلا لعزيز قادر عالم بما صنع مستحق للربوبية والإلوهية لا شريك له .

وصدق القائل – ومن أصدق من الله قيلا – تعالى : ﴿ **وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾ "[2]"

- **دلالة التسخير والتدبير :**

التسخير : سياقه إلى الغرض المختص قهرا ، والمسَخَّر المقيض للفعل ."[3]"

ومعناها أنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان في الأرض ويسر وسخر له كل سبل الراحة والمعيشة وهيأه للتلاؤم والتوافق (**دلالة التناسق**) مع المخلوقات الأخرى سواء الكونية منها أو الحيوانات وغيرها ، فسير الكون العلوي العظيم وما فيه بقوته وسلطانه لمنفعة الإنسان وأقهر مخلوقاته في الأرض لخدمته ومصلحته ، فصار الكون بما فيه خاضعا مذللا مسيرا قهرا وهذا لا يدع مجالا للشك بأن وراءه مدبر يدبره وقدير ممسك بمقاليده .

---

[1] - سورة الملك (3-4)
[2] - سورة فصلت (12)
[3] - المفردات في غريب القران للراغب الأصفهاني ص402

وهذه الدلالة تدل على الله تعالى من جهة الخضوع الكوني العام والسيطرة القاهرة التامة التي لا يملك معها المخلوق الخروج ذرة واحدة ، والتي تتمثل في السنن والنواميس الكونية الدقيقة التي يسير فيها هذا العالم دون تخلف ، فهي دلالة على أن لها تعلق بصفات قدرته وجبروته تعالى ."[١]

وآيات التسخير والتدبير كثيرة في كتابه تعالى مما يوجد في الأرض أو السماء وسخره وسيره أقهره بسلطانه ربنا تعالى لمخلوقاته .

قال تعالى : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ "[٢]

وقال تعالى : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ "[٣]

فقد سخر لهم سبحانه كل مافي السماوات من الأجرام والشمس والقمر والنجوم ومافي الأرض من الدواب والشجر والجماد والسفن وأنواع الحيوانات والثمار والمعادن لمنافع العباد ومصالحهم ، فتلك نعمٌ جميعها من الله وحده بحكمته ورحمته ولطفه فهو مكونها وموجدها ومسخرها لخلقه لم يشاركه أحد فيها ، تفضّل بها على عباده تستحق الشكر والحمد والتوجه إليه تعالى بالعبادة وحده دون اتخاذ الشركاء والأنداد . "[٤]

فخلق ذلك كله وتسخيره وتدبيره دليل على نفوذ مشيئته تعالى وكمال قدرته ، وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنعة وحسن الخلقة دليل على كمال حكمته وعلمه ، وما فيها من السعة والعظمة والكثرة دليل على سعة ملكه وسلطانه ، وما فيها من التخصيصات والمتضادات دليل على أنه الفعال لما يريد ، وما فيها من المنافع والمصالح الدينية والدنيوية دليل على سعة رحمته وشمول فضله وإحسانه وبديع لطفه وبره ، وكل ذلك دال على انه وحده المألوه المعبود الذي لا ينبغي أن تكون العبادة والمحبة والذل إلا له وحده وهي آيات واضحة بينة لا ريب فيها ولا شك لكل من تفكر وتدبر . "[٥]

---

[١] - الأدلة العقلية النقلية لسعود العريفي ص238

[٢] - سورة الجاثية (13)

[٣] - سورة النحل (12)

[٤] - تفسير الطبري 65/22 ، مفاتح الغيب للرازي 673/27

[٥] - تفسير السعدي ص776

١. تسخير المخلوقات للإنسان

قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ "[١]"

وقال تعالى :﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** ﴾ "[٢]"

فالله تعالى بين في هذه الآيات انه خلق السماوات والأرض ويسر للمخلوق العيش فيها والانتفاع بها ، فخلق البحر ويسر لهم صناعة السفن والمراكب وأقدرهم على جريانها على البحار ، وحفظهم من تلاطم الأمواج لتحملهم وتحمل تجاراتهم وأمتعتهم إلى مقاصدهم .

وسخر لهم أيضا الأنهار ليشربوا منها ولتسقي مزروعاتهم وحروثهم وأشجارهم .

ثم أخبرهم بتسخير مخلوقات السماء كالشمس والقمر وأنهما مستمران في مسارهما لا يفتران ولا يتوقفان ليسعيا في مصالحهم ويكون بها حساب أزمنتهم ومصالح أبدانهم وحيواناتهم .

ثم تسخيره منهما الليل والنهار ، ليكون الليل سكنا وراحة لهم والنهار سعيا ومعاشا لطلب أرزاقهم وابتغاء فضل ربهم . "[٣]"

ومما يوجد في السماء من المخلوقات المسخرة للإنسان الشمس وجعلها ضياء وسراجا وما يلحقها من الظل وفوائده ، والقمر وجعله نورا وسكنا وراحة للمخلوقات ، وبتعاقبهما يحدث الليل والنهار ، وحساب المواقيت والنجوم وهدايتها للبشر ووضعهما جميعا في المكان المناسب وبالقدر والارتفاع المناسب ودوران كل منهما في فلك ومسار لا يخطئ احدهما الآخر وغيرها مما هو مسخر ومدبر وسائر بتقدير الله تعالى وحكمته ورحمته بعباده ودال على ربوبيته .

فقد خلقها سبحانه وسخرها لتدبير أمور عباده .

قال تعالى : ﴿ **يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ** ﴾ "[٤]"

---

[١] - سورة لقمان (20)

[٢] - سورة إبراهيم (32-33)

[٣] - تفسير السعدي ص426

[٤] - سورة الأعراف (54)

فمن نعمه ورحمته تعالى عليهم أن سخر لهم الليل والنهار يتعاقبان عليهم ، فالليل لهم سكن وراحة وستر وفي ظلامه فوائد وقضاء حوائج لمن علم ذلك ، والنهار لهم معاشا ونشورا وسعيا لطلب الرزق ، والشمس والقمر لحساب مواقيتكم ومعرفة أزمنتكم وشهوركم وسنينكم وصلاح معايشكم وحياتكم على الدوام ، والنجوم جعلها لكم هداية ومعالم لطرقاتكم وزين بها السماء ورجم بها الشياطين فهل من عاقل ليعتبر ويتبصر من المسخر والمدبر والساعي لراحتكم ومنافعكم على مر السنين ، وما هي إلا دلائل عظيمة وآيات أعظم على وجوده تعالى وقدرته وحكمته وتسخير مخلوقاته وتدبيرها لعباده سبحانه ، ولا أحد يستحق بعد ذلك أن يكون رباً وإلهاً لكم سواه سبحانه لا شريك له . "[١]"

قال تعالى : **﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾** "[٢]"

ولو تبصر وتفكر المخلوق علم الحكمة من كون القمر منيرا والشمس مضيئة ، فلما كان الليل ظلاما لحاجة المخلوق للهدوء والسكينة جعل الليل فيه شيء من النور ولم يجعله ظلمة داجية ، لان بعض المخلوقات يتهيأ لها من الحركة والسير ما لم يتهيأ لها ذلك في النهار لضيقه أو لشدة الحرارة فيه احتاجت إلى هذه الأنوار لتقضي حوائجها وتسعى في مصالحها فكان معونة لها ، لتتجلى لطائف رحمته وعنايته ورعايته بخلقه تعالى ."[٣]"

وقال أيضا : **﴿ وَآَيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۞ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾** "[٤]"

والظل في حد ذاته نعمة عظيمة فيه منافع عدة من كونه راحة للإنسان تقيه من لهيب الشمس أوجده الله تعالى من بعض مخلوقاته كالشجر والجبال ، إذ لم يعرف الظل إلا بوجود الشمس فهو تابع لها ودليل عليها

---

[١] - جامع البيان للطبري 179/17 ،

[٢] - سورة يونس (5)

[٣] - مفتاح دار السعادة لابن القيم 210/1

[٤] - سورة يس (37-40)

قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا** ﴾ "[١]"

وهذا كله دليل على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحياته وقيوميته ، وما فيها من الإحكام والإتقان والإبداع والحسن ، دال على كمال حكمة الله وحسن خلقه وسعة علمه . "[٢]"

٢. تسخير الأرض

قال تعالى :

﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ "[٣]"

وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾ "[٤]"

أي جعل لهم الأرض سهلة ميسرة للسعي في نواحيها وأطرافها وابتغاء رزقه وتحصيله ."[٥]"

فالأرض تعتبر أقرب للإنسان من السماء كونه يعيش عليها ودلائلها وعجائبها ظاهرة ومشاهدة له ومن حوله ولا تخفى على أحد .

من مظاهر التسخير في الأرض :

إن كانت السماء هي البناء والسقف المرفوع فالأرض بالنسبة لها فراش مبسوط ، ومهد ممدود ، وجبال رواسي ودعائم لها ، وهي المكان والموطأ والمستقر وهي البيت بالنسبة للسقف .

ومن دلائل ربوبية الخالق تعالى وتدبيره وتسخيره وتقديره أنه هيأها للسكنى والاستقرار وبسطها لعباده وذللها لهم لتتيسر حياتهم عليها ، وأرسى الجبال عليها لئلا تميد بهم ولولا ذلك ما استطاعوا العيش عليها ، وشق فيها البحار وأجرى الأنهار وأنزل الماء من السماء وسخر الرياح والسحب والأمطار ، فأحيا الأرض الميتة وأخرج الثمرات بأنواعها وألوانها واختلاف صفاتها وأصنافها وأنبت الزرع وخلق

---

[١] - سورة النحل (81)

[٢] - تفسير السعدي (358)

[٣] - سورة الملك (15)

[٤] - سورة النبأ (6-7)

[٥] - تفسير السعدي ص877

الدواب عليها وسخر بعضها لبعض وقدر الأقوات وقسم الأرزاق ، وغيرها مما سخره المولى تعالى من مظاهر ودلائل عنايته ورعايته لعباده .

قال تعالى : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا** ﴾ "[١]"

- **تهيئة الأرض للسكنى** ووضعها وتذليل ما عليها من بسطها ومدها وفرشها وتسويتها كالسطح وسلك السبل بها وغيره مما تعددت أوصافه لتظهر في النهاية مقاصد الخالق من دلائل عنايته بخلقه ودعوتهم إلى الاعتبار بما يرونه حولهم ، وهدايتهم بهذه الطرق والسبل إلى مقاصدهم ومنافعهم في الدنيا والى عناية ربهم وتسخيره لهم المخلوقات من حولهم .

قال تعالى : ﴿ **وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ "[٢]"

قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا** ﴾ "[٣]"

وقال تعالى : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا** ﴾ "[٤]"

ونصب الجبال وإرساءها على الأرض تثبيتا لها من الاضطراب أو الميلان لثقل ما عليها من المخلوقات والدواب ، ووصفها بالأوتاد التي تثبت الخيام ، في أدق وصف وأقرب صورة يمكن أن تجعل المتدبر يعلم أن ذلك ليس صنعا عاديا إنما هي رحمة من الخالق بعباده وعناية لهم ودلالة على إتقانه وبديع تصويره وتسخيره .

قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ** ﴾ "[٥]"

وقال : ﴿ **وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا** ﴾ "[٦]"

وقال تعالى : ﴿ **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ** ﴾ "[٧]"

[١] - سورة البقرة (22)
[٢] - سورة النحل (15)
[٣] - سورة الملك (15)
[٤] - سورة طه (53)
[٥] - سورة المرسلات (27)
[٦] - سورة النازعات (32)
[٧] - سورة الحجر (19)

ولم تقتصر عناية الخالق للجبال في تثبيت الأرض بل جعلها المولى تعالى حصنا وكهفا ومغارات منيعة تقي المخلوقات وتحفظهم من أذى المطر والبرد والحر والعدو من الإنس والجن والحيوان ، بل اتخذت منها الأمم قبلنا مساكن وبيوتا لها.

ومن عجائبها أيضا :

أن الثلج إذا وقع عليها فإنه يذوب تدريجيا ولا يذوب دفعة واحدة وإلا أهلك ما مر عليه من مساكن ومروج وما انتفع به أحد ، لكن حكمة المولى تعالى جعلته يتدرج فيسيل منه إلى الأنهار والعيون فتنبت المروج والأشجار، فسبحان من أنعم ورزق وسخر لكن قليل من عباده الشكور ."[1]"

قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا** ﴾ "[2]"

ومن مظاهر العناية الإلهية بالمخلوقات أنه تعالى جعل الأرض كفاتا تكفت الأحياء وتضمهم وتجمعهم على ظهرها وهي كالأوعية تحفظهم أمواتا في بطونها ."[3]"

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا** ﴾ "[4]"

أي وعاء تحفظ الموتى حين يدفنون فيها ."[5]"

- **البحار والمحيطات وما فيها من المخلوقات** وما تحويه من الكنوز والعجائب عالم آخر ، يُبهر العقول ويُذهل الأبصار ، ويجعل المتأمل فيه لا يملك إلا أن يسلّم ذلك كله لإله واحد ، وهذا بحد ذاته كاف في الدلالة على قادر مريد مدبر مسخر لكل مخلوقاته في هذا الكون .

ومنافع البحر لا تعد ولا تحصى ، فقد سخره المولى تعالى لتسيير الفلك فيه ، ولولا ذلك ما ركبه أحد وما رست عليه سفينة ولم ينتفع به مخلوق من البشر في تبادل المصالح التجارية ، ولعجزوا عن شق

---

[1] - عقيدة التوحيد للملكاوي ص 238 ، مفتاح دار السعادة لابن القيم 218/1-219

[2] - سورة النحل (81)

[3] - غريب القران / أبو بكر محمد السجستاني / تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران / دار قتيبة للنشر (1416-1995) / ص398 ، التبيان في تفسير غريب القران / شهاب الدين احمد المصري الجياني / تحقيق:د.فتحي أنور الدابولي / دار الصحابة للتراث (طنطا-القاهرة) / الطبعة الأولى 1992م / ص442

[4] - سورة المرسلات (25)

[5] - تفسير الطبري 133/24

البحار وخوضها ومواجهة رياحها وعواصفها وأمواجها العاتية لكن تسخير الله وتدبير أمر عباده وتقدير كل ذلك لهم من أعظم ما يستوجب الشكر للمنعم .

قال تعالى : ﴿ **وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ** ﴾ "[١]"

وقال أيضا : ﴿ **وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ** ﴾ "[٢]"

وقال أيضا : ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ** ﴾ "[٣]"

وأحل لهم طيبات ما في البحار ، يأكلونها لحما طريا مباحا لهم حيا وميتا ، ويتاجرون بها وهي غذاء عام يتشارك فيه الغني والفقير ، فالبحر ليس ملكا لأحد ، يسوق الله تعالى أرزاقه لكل عباده دون عناء .

قال تعالى : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ** ﴾ "[٤]"

وقال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ "[٥]"

وما يحويه من حلي وجواهر ولآليء يسوق أرزاقها ويسخرها للمتاجرة بها تكسبا للمعاش ، وزينة لبنات ادم .

قال تعالى : ﴿ **وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا** ﴾ "[٦]"

وقال تعالى : ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ "[٧]"

ومن أعظم الآيات الدالة عليه أيضا وجود الحاجز الفاصل بين البحرين المالح والحلو ، فجعل أحدهما عذبا فراتا مستساغا للشراب ، وآخر ملحا أجاجا شديد الملوحة ، يلتقيان في مسار واحد ، وبفضل ورحمة وعناية من حكيم مدبر مسخر لا يختلطان ولا يمتزجان ببعضهما ، فالحلو للأنهار والعيون ،

---

[١] - سورة البقرة (164)
[٢] - سورة الحج (65)
[٣] - سورة يس (41-42)
[٤] - سورة المائدة (96)
[٥] - سورة النحل (14)
[٦] - سورة فاطر (12)
[٧] - سورة الرحمن (22-23)

والمالح للبحار ، فهذا يتناسب مع مخلوقات البحار ، وذاك لمخلوقات البر ، وكل منتفع بما سُخر له ، فسبحان من خلق ليدل خلقه عليه .

قال تعالى : **﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾** "[1]"

وقال أيضا :

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ "[2]"

لذلك استنكر المولى تعالى على كل من غفل عن هذا التدبر والاعتبار في أمر خالقه وتسخيره كل ما في الكون لعباده ، فلما تعين اعترافهم وبخهم

بقوله : **﴿ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾** "[3]"

فهل هناك مسخر ومدبر وفاعل ذلك كله غير الله تعالى .

وما ذلك إلا جزء يسير من آيات تدبيره وتسخيره وتقديره وعنايته لعباده تدل على ربوبيته واستحقاقه تعالى للإلوهية ، أراد الله تعالى أن ينبه عباده عليها ليشكروه على نعمائه .

قال تعالى : **﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ﴾** "[4]"

والأنهار التي تجري في الأرض والعيون جزء من البحار وآية من آيات الخالق العظيمة في الأرض ، فجرها فيها وأجراها عليها ، ولا يكاد يخلو ذكر للجنة أو وصف لها إلا وورد ذكر للأنهار فيها ، فالأنهار نعيم في الجنة وزينة وجمال على الأرض في الدنيا ، دال على عناية الخالق بعباده ورحمته به إذ جعل ماءه عذبا فراتا طهورا للحيوان والإنسان والطير شرابا لهم ، وسقاء لمزروعاتهم ، وانتفاعا بكل فوائده

---

[1] - سورة الفرقان (53)
[2] - سورة الر حمن (19-21)
[3] - سورة النمل (61)
[4] - سورة لقمان (31)

قال تعالى : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ** ﴾ "[1]"

وقال : ﴿ **وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ** ﴾ "[2]"

وقال تعالى : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا** ﴾ "[3]"

بل هو حياة جميع المخلوقات ولولا تسخيره وهداية المخلوق لمنافعه ما عاش أحد على الأرض

قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ "[4]"

ويهتدون إلى خالقهم وكل ما حولهم يدل على صنع حكيم مدبر ."[5]"

وقال تعالى وقد منّ على بني إسرائيل بإنعامه عليهم داعيا لهم تقدير أرزاقه ومقابلة ذلك بالشكر وليس بالإفساد في الأرض : ﴿ **فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ "[6]"

- **إحياء الأرض الميتة بإنزال المطر** وتسخير الرياح والسحب والأمطار والغيث لينبت الزرع ويخرج الله تعالى من ذلك أنواع الثمرات والأصناف التي تسقى بماء واحد وتزرع بتربة واحده وتحت ظروف بيئية واحده لكنها تخرج مختلفة اللون والطعم والشكل والرائحة والخاصية منها الضار ومنها النافع منها ما يخص الإنسان وينفعه ويضر بالحيوان وآخر نافع للحيوان ضار للإنسان ، كلها دلالات وآيات على هدايته وعنايته لمعبوداته ، فسبحان من صور وقدر وسخر .

فالله تعالى خلق الرياح مسخرة ومدبرة مأمورة سائرة بحكمته ، يصرفها ويرسلها لأقوام ريحا عقيما عذابا ونكالا بهم ، ولآخرين رحمة ونعيما عليهم ونشرا بين يدي رحمته ، وفيها من الفوائد العظيمة والنعم الجمة ما ينتفع بها عامة المخلوقات ."[7]"

[1] - سورة إبراهيم (32)
[2] - سورة يس (34)
[3] - سورة الفرقان (48)
[4] - سورة الأنبياء (30)
[5] - في ظلال القران لسيد قطب 155/5
[6] - سورة البقرة (60)
[7] - تفسير الطبري 275/3

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ "[1]"

وقال : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ "[2]"

وهو سبحانه يسخر الرياح للقاح بالماء فتحمل المطر إلى السحاب فينزل المطر ويسقي الأرض والمواشي والمزروعات .

قال تعالى :

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ "[3]"

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ "[4]"

وتحيا الأرض الميتة وتبتهج ، وتنبت الحدائق والبساتين التي تسر الأنظار وتبهج الناظرين بما فيها من الأزهار والثمار ، لا يملك أي مخلوق أن يأتي بمثلها بفضل منه ورحمة ، ليظهر صنع الحكيم وتدبير وتسخير القدير وهداية الخالق في آيات ودلالات خلقه .

واختلاف أنواع الثمرات وأصنافها وطعومها ورائحتها وأشكالها وألوانها من أزواج مختلفة متاعا لهم ولأنعامهم من أعظم الآيات الدالة على الخالق ، وكذلك في إخراج الحبوب والثمار وجنات النخيل والأعناب والزيتون والرمان المتشابهة في الورق المختلفة في الشكل واللون والطعم والمنفعة التي تسقى بماء واحد ولقاح واحد دلائل أعظم على تقديراته وهدايته تعالى ."[5]"

قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ "[6]"

وقال : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ "[7]"

فمن نظر وتدبر فيما حوله مما سخر له من المأكل والمشرب من نبات الأرض لم يقوده ذلك إلا إلى الإيمان بخالقه والاعتراف بفضائله وعنايته بعباده .

---

[1] - سورة النمل (63)
[2] - سورة الأحقاف (24-25)
[3] - سورة الحجر (22)
[4] - سورة الأعراف (75)
[5] - مفتاح دار السعادة لابن القيم 200/1
[6] - سورة طه (53)
[7] - سورة فاطر (27)

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ "[١]"

٣. تسخير الأنعام

قال تعالى : ﴿ **وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ** ﴾ "[٢]"

ففي خلق الله للدواب والحيوان وإيجادها وبثها في الأرض وتسخيرها للإنسان وتذليلها له وحمل أمتعته ، والركوب عليها وشق الطرق والمسافات بها تحمل الأثقال وتخفف العناء ، وانتفاع الإنسان بجلودها وأصوافها وأوبارها وشعرها ، واللبن الخارج منها ، ولحومها تؤكل ويتغذى عليها لأعظم الآيات والدلائل عليه سبحانه وتعالى .

قال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ "[٣]"

ففي تذليلها نعم عظيمة دالة على خالقها ، ولولا ذلك لنفرت من الإنسان واستعصت عليه في حمل أمتعته أو الركوب عليها وتسييرها المسافات راغمة ، وما توجهت معه للرعي ووقفت له صامدة حتى يقضي حاجته وما استفاد منها في شيء ، فتراها مع عظمها يقودها الصغير ذليلة مسخرة تحت أمره تقضي له حوائجه ، ودعا سبحانه وتعالى الاعتبار بذلك وشكره عليها

فقال : ﴿ **لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ** ﴾ "[٤]"

أي مطيقين ضابطين ، وهي دلالة على حكمة الخالق تعالى ورحمته وعنايته في التذليل والتسخير ليحصل الانتفاع وتقضى الحاجات ."[٥]"

---

[١] - سورة الأنعام (99)
[٢] - سورة يس (72)
[٣] - سورة الحج (36)
[٤] - سورة الزخرف (13)
[٥] - مفتاح دار السعادة لابن القيم 234/1

قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ** ﴾ "[١]"

والركوب عليها وقطع المسافات البعيدة بها وحملها الأثقال التي يعجز الإنسان عن حملها لمسافة قصيرة ، ولولا تسخير المولى تعالى لوجد الإنسان أبلغ مشقة في سفره وحله وترحاله كالحج والتجارة ، وقد وفرت له بركوبها كثير من الوقت والجهد ، وخص بذلك الإبل والخيل والبغال والحمير دون البقر والغنم والشاة فتلك للركوب والرعي وحمل المتاع وهذه لشرب ألبانها والاكتساء بجلودها والتغذي بلحومها ."[٢]"

قال تعالى : ﴿ **وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ "[٣]"

وقال تعالى : ﴿ **وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ** ﴾ "[٤]"

وخص الإبل بالذكر في قوله : ﴿ **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ "[٥]"

لينظروا إلى خلقتها وتكوينها ووظيفتها ، ويتدبروا كيف خلقت على النحو المناسب لوظيفتها ، فهي مع عظم نفعها وخدمتها قليلة التكاليف ، يسيرة الرعي ، أشد تحملا للجوع والعطش والجهد من غيرها من الحيوان ، وفي أبوالها وألبانها علاجات لأمراض كثيرة ، لتتم حكمة الخالق من أمره التدبر فيها ، وليريهم سبحانه إبداعه وصنعه العجيب الدال عليه . "[٦]"

وهي جمال لهم عند تسريحها صباحا ، وعند إراحتها في المساء بعد عناء النهار وعند امتلاء خواصرها فتمسي صحيحة سمينة رائعة المنظر يستمتع بها الراعي لها أو القائم عليها ، وأهل الريف أكثر من يدرك ذلك من غيرهم."[٧]"

[١] - سورة يس (71-72)
[٢] - عقيدة التوحيد في القران ص248-249 ، فتح القدير للشوكاني 202/4
[٣] - سورة النحل (7-8)
[٤] - سورة يس (72)
[٥] - سورة الغاشية (17)
[٦] - في ظلال القران لسيد قطب 29/8
[٧] - نفسه 455/4

قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ "[1]"

وقال : ﴿ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ "[2]"

ومن النعم العظيمة في الأنعام نعمة انتفاع الإنسان بجلودها ، وجعلها كسوة له ودفء من أصوافها وأوبارها تقيه من البرد الشديد ، وتفيده في فرشها ولبسها وبسطها والجلوس عليها والالتحاف بها وغيره من أثاث ومتاع ، وعليها اعتماد كثير من الصناعات في عصرنا الحاضر لجودتها ، فهذا مما سخره الله تعالى للإنسان وهداه للانتفاع به .

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ "[3]"

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ "[4]"

وقال : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ﴾ "[5]"

ومن تسخير الأنعام للإنسان أنها مشارب ومآكل في ألبانها وسمنها ولحومها غذاء وسقاء لهم في كل حياتهم وبه قوام أبدانهم صغار وكبارا ، ومن دلائل قدرة الخالق وعنايته أن هذا اللبن يخرج خالصا سائغا للشاربين من بين الدم والفرث أبيضا طيب الطعم لا يختلط ولا يمتزج بروث الحيوان ولا بدمه ولم يتغير طعمه ، فهذا صنع الله وعجيب إبداعه في خلقه وحكمته التي اقتضت تدبير كل شيء وتسخيره ليصلح للانتفاع به ، وفي ذلك آيات ودلالات على الخالق وعبر وبصائر للمعتبرين ."[6]"

يقول ابن القيم بعدما ذكر نعمة خروج اللبن من بين الفرث والدم :

((فسل المعطل الجاحد من الذي دبر هذا التدبير وقدر هذا التقدير وأتقن هذا الصنع ولطف هذا اللطف سوى اللطيف الخبير)) "[7]"

---

[1] - سورة النحل (6)

[2] - سورة النحل (8)

[3] - سورة النحل (80)

[4] - سورة الأنعام (142)

[5] - سورة النحل (5)

[6] - في ظلال القران لسيد قطب 474/4 ، مفاتيح الغيب للرازي 53/20

[7] - مفتاح دار السعادة لابن القيم 251/1

قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ** ﴾ "[١]"

وقال : ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا** ﴾ "[٢]"

ولحوم الأنعام أحلها الله لهم وهي غذاء أساسي لكثير من الشعوب ، يرعون ماشيتها ويشربون ألبانها ويأكلون لحومها ، ورغم تعدد منافعها إلا أن لحومها من أعظم ما ينتفع به الإنسان في غذائه .

قال تعالى : ﴿ **وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾ "[٣]"

وقال تعالى : ﴿ **أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ** ﴾ "[٤]"

- **دلالة الهداية**

ومعناه كما أن الله تعال خلق كل شيء في الكون على الصورة التي تناسب وظيفته وتعينه على أدائها ، فقد هداه سبحانه إلى ما خلق لأجله وألهمه غاية وجوده ، ويسر له الطريق ليدرك غاية الكمال الذي يناسبه .

وهذه الهداية والتعليم سبيل لحفظ المخلوقات وبقائها وهي شاملة لكل الحيوان ناطقه وبهيمه طيره ودوابه فصيحه وأعجمه .

ومما جاء في كتابه تعالى يبين هذه الدلالة

قوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾ "[٥]"

قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى** ﴾ "[٦]"

وقال تعالى : ﴿ **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ "[٧]"

---

[١] - سورة النحل (66)
[٢] - سورة المؤمنون (21)
[٣] - سورة المؤمنون (21)
[٤] - سورة المائدة (1)
[٥] - سورة الرحمن (3-4)
[٦] - سورة الأعلى (3)
[٧] - سورة العلق (4-5)

فالهداية المذكورة في الآيات هي الهداية العامة لجميع المخلوقات غير هداية التوفيق والإرشاد الخاصة بالإنسان والتي قال تعالى إشارة إليها ومخاطبا نبيه ﷺ : ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ "[1]"

أما الهداية العامة فهي مشاهدة في كل المخلوقات ، فكل مخلوق نجده يسعى لجلب المنفعة لنفسه ودفع المضار عنها وهذا أبسط ما يمكن قوله في معناها .

مظاهر دلالة الهداية في الإنسان :

خلق الله الإنسان ووهبه نعمة العقل التي ميزه بها وأكرمه على سائر مخلوقاته .

وبها عرف الإنسان الضر والنفع والمصلحة والمفسدة والخير والشر وهذه أعظم هداية له من خالقه .

وكان الهام الله تعالى للإنسان البدائي لان يكتشف الأدوات ويصنع منها ما ينفعه ويركبها على بعضها ليصنع شيئا جديدا من أعظم الهدايات .

فألهمه لاستخدام فروع الأشجار ليأخذ منها الخشب وينتفع به في غالب بناء منزله وتأثيثه ، ليقي نفسه لهيب الشمس ويحفظها من برودة الجو ، ويكون له مأمنا من الحيوانات المفترسة .

وكذلك هدايته لاستخراج المعادن والحديد والذهب والحلي من الأرض أو كهوف الجبال والبحار واستعمالها فيما ينفعه ويصلح له ، وغير ذلك كثير لكن هذا قيض من فيض .

مظاهر الهداية في الحيوان :

فما نجده فيها من وسائل الدفاع عن نفسها وحمايتها ، وتحصيل غذائها وبناء مساكنها من أعظم الدلالات والآيات عليه تعالى .

فنرى النملة وقد أوتيت من الفطنة ما يجعلها تجتهد في جمع قوتها والحفاظ عليه وادخاره إلى موسم الشتاء ، وطريقتها هي وجماعتها في الحصول عليه والالتزام بمسار واحد لا تختلف عليه من التنظيم والدقة ، وكيف أمرت جماعتها بالدخول إلى مساكنهم لما رأت جيش نبي الله سليمان عليه السلام خشية أن يحطمنهم وهو لا يعلم ، فمن هداها لكل ذلك ؟! .

[1] - سورة القصص (56)

والنحلة كذلك تجتهد في صنع العسل ، وطريقتها في بناء خليتها الدقيقة الصنع العجيبة الشكل ، وذلك كله بإيحاء المولى لها وإلهامه إياها في اتخاذ الجبال والشجر وبيوت الناس مساكن لها ، لتأتي بأطيب العسل وأطعمه وأصفاه بعد تدبير المولى وتسخيره وإلهامه لها لينتفع الإنسان ويكون شفاء ودواء له من كل داء .

وحيلة بعض الحيوانات ومكرها في اصطياد فريستها والانقضاض عليه كالثعلب والعنكبوت وبعض الطيور والهوام التي تخرج بالليل .

وغيرها من الدلالات على لطف الخالق ورحمته وحكمته ، فمن ألهم الدواب وعلمهم هذه الحيل ولطف بأحوالهم ويسر لهم أقواتهم مع ضعفهم وصغر أحجامهم ، سلبهم القوة والقدرة لكن ألهمهم وآتاهم الحيلة والفطنة ."[١]"

- **دلالة التخصيص**

ومرادها أن كل مخلوق في هذا العالم سواء كان من الإنسان أو ما في الكون أو غيره جاء على صورة وعلى شكل وهيئة ومنظومة يجوز أن تكون على غيره ، ونتصور أنه لو كانت على خلاف ما نعلم وما علمنا عنه كيف ستكون ، لنعلم سعة فضل الله تعالى علينا وانه أرادها أن تكون كذلك بمشيئته ، مما دل على تخصيصها بمخصص في الوجود لتكون على تلك الصفات والأحوال والهيئات .

فهي بصورة أوضح **موافقة السبب الضرورية للمسبب** .

وقد دلت آيات كثير من القرآن الكريم عليها مثل ما ذكر تعالى أنه من دلائل ربوبيته ورحمته وكمال قدرته تصوير الإنسان على هيئة حسنة ، فلو شاء لجعله على صورة الحيوانات أو على صورة قبيحة لا يستحسن النظر إليها أو على حال مغايرة لما هي عليه ، مما دل على أن صورته المعهودة هي بفعل مخصص وبمشيته تعالى وإرادته .

[١] - للاستزادة راجع مفتاح دار السعادة 1/244-249

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ "[١]"

وكذلك الحال في الماء الذي هو قوام معيشة المخلوقات ولا يمكن الاستغناء عنه بحال ، إذ لو أراد الخالق تعالى لجعله مالحا شديد الملوحة لا يمكن الشرب منه ولا الانتفاع به لأنه صار في حكم المعدوم ، وهو الحال نفسه إذا كان غائرا في باطن الأرض لاتصل إليه الدلاء ولا تراه الأعين

قال تعالى :

﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ** ﴾ "[٢]"

فهو تعالى كما أنزله وسيره لكم قادر على إزالته سواء بالإفساد أو التغوير أو الملوحة أو جريانه فلا يسكن ويثبت ولا سبيل لكم إليه ، مما دل عليه وعلى قدرته ورحمته تعالى وتوفيره لخلقه ما يصلح لهم وما ينفعهم لبقائهم وأنه فاعل لما يريد إذ أظهره لهم وجعله عذبا فراتا لينفعهم ، أفلا يجعلكم كل هذا تتوجهون له بالوحدانية والشكر ."[٣]"

قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ** ﴾ "[٤]"

وقوله أيضا : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۞ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۞ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ** ﴾ "[٥]" .

وأيضا مشيئة الله وإرادته وسنته في الحياة أن يكون البشر مؤمنون وكافرون ، فلو سبحانه شاء لكنا أمة واحدة ، ولأنزل ملائكته من السماء وبعثهم بالرسالة بين البشر ، ولو شاء سبحانه لآمن من الأرض وكنا جميعا على الحق والهدى ، و لو شاء لم يشرك الكافر أو يذنب المذنب أو يموت الأنبياء و يتبعهم أتباعهم ويخذلهم ويعاديهم أقوامهم وغيره مما نراه بأعيننا في حياتنا مما دلنا على أن كل شيء سائر بحكمته وأسبابه ، وموضوع بذلك القدر والوضع وعلى تلك الحال واعترافنا بأنه لو وجد بغير ذلك الشكل لما انتفعنا به .

---

[١] - سورة الانفطار (8)
[٢] - سورة المؤمنون (18)
[٣] - أضواء البيان للشنقيطي 328/5
[٤] - سورة الملك (30)
[٥] - سورة الواقعة (68-70)

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ "[١]"

وقال أيضا : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ "[٢]"

وقال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ "[٣]"

منها أيضا مما جاء في آيات الآفاق :

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ "[٤]"

فمن دلائل ربوبيته ورحمته وكمال قدرته أنه جعل الظل متحركا ثم قبضه إليه شيئا فشيئا إلى أن يختفي ، ولو شاء الله تعالى لأسكنه بلا حراك من غير زيادة أو نقصان وجعله لاصقا بأصل ما هو ظل له ولتعطلت بذلك مصالح العباد ، لأن الانتفاع به يقع في مده وبسطه وانتقاله من مكان لآخر ، ليبرد ويقي من أصيب بحر الشمس ويفيد في أوقات الصلاة ."[٥]"

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ "[٦]"

فمن رحمته ولطفه بعباده أن جعل الليل والنهار يختلفان ويتعاقبان عليهم ، فلا نهار دائم بلا انقطاع ولا ليل دائم كذلك إلى يوم القيامة ، لأنه لو شاء لجعلهم على حال مغايرة مختلفة عما هم عليه الآن ، ثم أمرهم بالاعتبار والتفكر في هذا الأمر فلو سلب ذلك منهم وأزاله لكانت حياتهم نهار دائم أو ليل مستمر ولتعطلت مصالحهم ولم ينتفعوا بشيء في وضح النهار ، أو يسكنوا براحة في ظلمات الليل ، فهل هناك إله يستطيع أن يأتيهم به لو أذهبه الله تعالى عنهم ؟!، ليعلم عباده أنه لا يفعل

[١] - سورة المائدة (48)
[٢] - سورة الأنعام (35)
[٣] - سورة الأنعام (107)
[٤] - سورة الفرقان (45)
[٥] - مدارج السالكين لابن القيم 293/3 ، التفسير القيم لابن القيم / جمع : محمد بن أويس الندوي 64/2-65
[٦] - سورة القصص (71-72)

ذلك كله إلا خالق مريد حكيم خصهم بمشيئته وقدرته بتلك النعم والفضائل ، وليبين لهم أنه المستحق للربوبية والإلوهية وحده لا شريك له .

وواجب المخلوق تجاه كل هذه الدلالات الاعتبار بما حوله وتقدير نعمة خالقه بالشكر ، ومظاهر ودلائل رحمة الخالق بعباده ظاهرة بينة في كل شيء على الأرض

قال تعالى : ﴿ **وَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ فَأَيَّ آَيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ** ﴾ "[1]"

فلا سبيل لكم بعد هذه الدلائل إلا الاعتراف به وبفضائله ووحدانيته وإفراده بالعبادة .

فكل ما في الكون مدبر مسخر ، سائر بأمره وتحت إرادته وحكمته ، مقدر بتقديره ، وموزون بميزانه ، في حركاته وسكناته مخلوق لغاية وبحساب دقيق ودقة متناسقة ليؤدي وظيفته والغاية التي خلق لأجلها على أتم وجه .

قال تعالى : ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾ "[2]"

[1] - سورة غافر (81)
[2] - سورة الفرقان (2)

الفصل الثالث

التعريف بالمقتضيات وعلاقة العقيدة بالعمل

- تمهيد
- المبحث الأول : المقتضى الإيماني لتوحيد الربوبية القلبي (عبادة القلوب)
- المبحث الثاني : المقتضى الإيماني لتوحيد الربوبية العملي (عبادة الجوارح)

تمهيد

حتى تتضح الصورة كاملة ، ويُفهم من خلال ذلك معنى مقتضيات آيات توحيد الربوبية

وبعد حديثنا عن التوحيد وبيانه وتوضيح دلائله ، كان لزاما علينا أن نبين مقتضى هذا التوحيد وأثره القلبي الإعتقادي والعملي الظاهر .

وآيات كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ جميعها تقتضي أمورا وتفسيرا ومعنى أعمق من ألفاظها الظاهرة ، بل حتى النصوص العامة من نصوص الأدباء والشعراء والمنثورات لا تخلو أن تحوي بين معانيها ما لا يمكن فهمه من ظاهرها .

وهذا ما يمكن أن نسميه بالمقتضيات التي نجدها بين ثنايا النص وقد لا يُفهم بعضها من ظاهره .

ومن ذلك جاء في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ "[١]"

هاتين الآيتين جمعت آدابا ومواعظ أدّب فيها الله تعالى عباده المؤمنون في تعاملهم مع النبي ﷺ واحترامه وتعظيمهم له وعدم تقديم قولٍ أو رأي بعد رأيه أو رفع أصواتهم أمامه أو مخالفة أمره ما داموا مؤمنين مصدقين به .

أما إذا نظرنا إلى هذه الآية فإننا نلحظ أن من بعض ما تقتضيه :

أن العباد إن كانوا فعلا مؤمنون بالله فإن من إيمانهم حب رسوله ﷺ وتقديم حبه على أنفسهم وأولادهم وأهليهم وأموالهم وكل ما يملكون ويفدونه بأرواحهم ويغضبون لغضبه وينتصرون له ويحبون من يحبهم ويبغضون ويعادون من يعاديهم ، ويعطونه حقه ﷺ من الاحترام والتقدير وهذا بلا شك

[١] - سورة الحجرات (1-2)

يتناقض مع رفع الصوت أمامه والاستخفاف برأيه وقوله وتقديم حديث الناس على حديثه أو مناداته باسمه لئلا يختل أو ينقص إيمانهم .

فالإيمان بالله يقتضي التأدب مع الرسول ﷺ قولا وعملا وتوقير واحترام رأيه وما جاء به تبجيلا وتعظيما لمقامه ومنزلته التي آتاه الله إياها فإن ذلك أدعى للتقوى .

فإن ما ذكرنا مما سبق يسمى بمقتضى الآية .

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال : (**لا يؤمن أحدكم ، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) "[11]"

نفي الله تعالى الإيمان من العبد الذي يحب الشيء لنفسه ويكرهه في أخيه المسلم .

ووجه الربط أن من كان يعلم أنه تعالى هو خالق العباد جميعا ومتكفل بأرزاقهم ، يعلم حال الغني مِن الفقير منهم ، ومَن المريض المبتلى مِن الصحيح المعافى ، وانه حكيم سبحانه في تصرفاته وأفعاله ومنعه وعطائه ، رحيم بعباده ، يجعله يرضى بكل ما قسم الله له من قلة الرزق والمرض والبلاء والضعف ويرضى أن يرى أخاه بأحسن حال من ذلك ولا يتمنى له الشر أبدا ، فلا يحسده ويبغضه أو يكيد له المكائد ، لان أخاه لم يرزق نفسه ، كما أنه المحروم لم يحرم نفسه وإنما هي قسمة وفضل رب العالمين ، فإن أحب أن يرزقه الله من الدنيا ما تُسر به نفسه وتسعد به حياته ، يتمنى لأخيه مثله وأفضل منه وهذا هو عين الإيمان بالله .

والحديث يدل على أن الإيمان بالله يقتضي محبة الناس وإرادة الخير لهم كما يريده لنفسه ، ويكره الشر ولا يرضاه لهم كما يكرهه في نفسه .

وغيرها من الآيات والأحاديث كثير التي يتبين من خلال النص مقتضياتها ، إلا أنا هنا اقتصرنا على توضيح وبيان آيات توحيد الربوبية وعلاقتها بعمل القلب وعمل الجوارح .

[11] - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان / باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه / ح13/ج1/ص12

وسنتحدث عن ذلك في المبحثين الآتيين :

المبحث الأول : المقتضى الإيماني لتوحيد الربوبية القلبي (عبادة القلوب)

المبحث الثاني : المقتضى الإيماني لتوحيد الربوبية العملي (عبادة الجوارح)

وقبل ذلك نرى المقام يستلزم أن نبين ما يلي :

التعريف بالمقتضيات

علاقة العقيدة بالعمل

فباسمه تعالى نبدأ وبه نستعين .

التعريف بالمقتضيات :

في اللغة :

اقتضى تطلب وشاء وأراد وابتغى وتوخى وتضمن واحتوى واشتمل على .

وقيل : صار لابد منه ولا غنى عنه .

واقتضى الأمر الوجوب دل عليه ، واقتضى الحال استدعاه واستوجبه

وما تقتضيه الظروف : وفقا لـ أو بموجب .

وبحسب اقتضاء الحال : بحسب الحاجة أو الضرورة

والمقتضى : المطلوب والمستحق وواجب الأداء ، ومقتضى الحال ما يتطلبه .

والمقتضيات : الإمكانات والاحتمالات . "[1]"

المقتضى اصطلاحا"[2]" :

هو ما أضمر في الكلام ضرورة صدق المتكلم ونحوه

وقيل : هو الذي لا يدل عليه اللفظ ولا يكون منطوقا لكن يكون من ضرورة اللفظ

وقيل : هو زيادة على النص لم يتحقق معنى النص بدونها فاقتضاها النص ليتحقق معناه ولا يلغو ."[3]"

وجميع هذه العبارات مؤداها واحد ، فهي تدل على شيء يتطلبه النص بالضرورة و لا يتحقق كمال معناه إلا بوجوده .

فالذي يظهر هنا أن المقتضيات هي متطلبات ولوازم ومتضمنات للنص .

وفي مجال آيات التوحيد نقول :

---

[1] - راجع معجم اللغة العربية لأحمد مختار عبد الحميد وآخرون 1892/3 ، تكملة المعاجم العربية لرينهارت بيتر (تعريب : محمد النعيمي وجمال الخياط) 8/303-305 ، المعجم الوسيط من إعداد مجمع اللغة العربية إبراهيم مصطفى وآخرون 743/2 .

[2] - المراد بهم أهل الفقه والأصول والمتخصصون في علوم الشريعة ، حيث لم أجد تعريفا للاقتضاء والمقتضيات اصطلاحا سوى في علومهم ولم أقف على شيء منها ولو بإشارة في علوم العقيدة .

[3] - كنز الوصول إلى معرفة الأصول للبزدوي ص10 ، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي لعلاء الدين البخاري 75/1

مقتضيات توحيد الربوبية هي ما تتطلبه آياته ونصوصه وما يتضمن ذلك من العلم والعمل المستلزم لها ، كما سيأتي بيانه

علاقة العقيدة بالعمل :

تظهر وتتجلى علاقة العقيدة والعمل في أنه لا يمكن أن نتصور العلم والمعرفة والاعتقاد بالشيء دون التسليم به والانقياد والعمل بما يقتضيه ، وهو ما يمكن أن نسميه بالأثر أو الثمرة .

فإن العبد إذا علم وتعلم شيئا واعتقده لا بد أن يظهر عليه ثمرة التسليم به سواء على قلبه أو على جوارحه .

فإذا قام إيمان بالقلب مثلا لزم ضرورة أن ينفعل البدن ويظهر أثر هذا الإيمان على الجوارح ، ما لم يوجد معارض راجح من هوى أو كبر أو حسد .

فإن جلّ آيات كتاب الله تعالى بما فيها من أوامر ونواهي وسنة نبيه ﷺ إن علمها العبد لا بد أن يتبعها بالعمل ، فإن علم بما حرّم الله وكره ونهى وجب عليه اجتناب ذلك ، وإن علم بما أمر وأحب وأوصى وحث عليه لزمه أيضا إتباعه .

ومن هنا يمكن أن ندرك العلاقة الوثيقة والصلة بين العقيدة والعمل في عدة نقاط أهمها :

- أن الأدلة الثابتة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم تدل على أن العلم بالله والمعرفة وحدها لا تكفي في تسمية العبد مؤمنا ، وأنه لا يمكن أن يكون اعتقاد لا يتبعه انقياد أو إيمان لا يتبعه عمل ، وهذا هو أصل الإيمان بالله والتسيلم لربوبيته .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : **﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾** "[1]"

[1] - سورة المجادلة (22)

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ "[1]"

ففي الآيتين نفي سبحانه وتعالى الإيمان عن الذين يدّعونه ثم يوالون أعداء الله وأعداء رسوله سواء كانت بينهم قرابة أو لم تكن لان الإيمان الحقيقي يقتضي محبة من يحبهم الله ومعاداة وبغض من يعاديهم .

ووجه الربط أن الإيمان الحقيقي والاعتقاد الصادق بالله تعالى وبكل ما جاء به يقتضي محبته تعالى ومحبة رسوله ﷺ ، وإتباع أوامرهما والانتهاء عما نهوا عنه والنصرة له والدفاع عنه وهذا بلا شك يتنافى مع حب أعداء الله وموالاتهم ونصرتهم ، إذ كيف يجمع في قلبه محبة الله ومحبة أعدائه وفاعل ذلك مناقض لنفسه وليس بمؤمن ، لان الإيمان الحقيقي يدفعه بلا شعور للحب والعمل بمقتضاه .

قال شيخ الإسلام بن تيمية : (ولما كانت الأقوال والأعمال الظاهرة لازمة ومستلزمة للأقوال والأعمال الباطنة كان يستدل بها عليها كما في قوله تعالى ...)

وذكر الآية (لا تجد قوما يؤمنون ...) "[2]"

لذلك جاءت الآيات على وجه الاستحالة (**لا تجد**) أي ابحث وحاول أن تأتي بمؤمن إيمان حقيقي تراه يوالي عدوا لله ولو كان من أقرب الناس إليه ، لأن إيمانه القلبي يقتضي البراءة منهم .

ويدل أيضا على أن حبهم لله وعلمهم برحمته ومغفرته وما أعد لهم من الثواب يجعلهم يتبعونه عن رضا ومحبة رجاء ما عنده لان معرفتهم السابقة به اقتضت عملهم وانقيادهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ "[3]"

وقوله تعالى : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ "[4]"

[1] - سورة المائدة (81)
[2] - مجموع الفتاوى لتقي الدين أبو العباس بن تيمية 542/7
[3] - سورة التوبة (46)
[4] - سورة آل عمران (152)

وبيانها أن هؤلاء عملوا بناء على ما في قلوبهم من الفساد ، فلما اختلفت نياتهم اختلفت بذلك أعمالهم فلم يتأهبوا للخروج ولم يستعدوا له لأنهم كرهوا ذلك ، وكذلك من عصى الله وخالف أوامره رغب في الدنيا فعمل لأجلها ومثله من أراد الآخرة وسعى لينالها .

ووجه الربط أن العباد تنقاد أبدانهم وجوارحهم على ما يعتقدونه في قلوبهم ولو حاولوا إخفاؤه ما استطاعوا ، فمن أبغض الشر وتظاهر بالخير لا يلبث أن يفضحه الله وينكشف غطاءه ليظهر للناس ما يخفيه .

وفي الأثر : (**أسروا ما شئتم ، من أسر سريرة خير ألبسه الله رداءها ، ومن أسر سريرة شر ألبسه الله رداءها**) "[١]"

فالعبد ولو حاول واجتهد في إخفاء معتقده الفاسد فإنه لا يملك ذلك ، إذ أن ما في قلبه سيظهر على جوارحه شاء أم أبى .

وهذا يدل على أنهم لم يبيتوا نية الخروج أو يعدوا له لأن أنفسهم لم تكن صادقة في ذلك .

والذي يبين أن العلم يقتضي العمل أنهم لو كانوا فعلا يعرفون الله جل شأنه ويحبونه ويتبعون رسوله ويؤمنون به لأجل ذلك لكانت قلوبهم منقادة لما يحبه الله ويأمر به رسوله دون تردد ، فمن أراد الله ورسوله بحق جاهد فداء بنفسه لأجلهم ، وعمل واجتهد في دنياه لله والدار الآخرة .

والمنافقين أيضا لما اخفوا الكفر في باطنهم لم يلبثوا أن فضحهم الله تعالى وبين للمؤمنين خبثهم وعقيدتهم ، وذلك في آيات كثيرة جاءت في كتابه تعالى .

وقوله تعالى : **﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾** "[٢]"

فعلامة محبة الله تعالى إتباع ما جاء به وما شرعه من السنن على رسوله ﷺ ومحبته ، فشرط المحبة العمل بمقتضاها .

ووجهه أن من أحب الله عمل لأجله حتى يلقاه ، وكما قيل : إن المحبَّ لمن يُحبُّ مطيع

[١] - أخرجه أبو يوسف الأنصاري في الآثار 196/1 ، والطبراني في الأوسط 43/8 والكبير 171/2 ، والاصبهاني في الحلية 36/5 ، والشهاب في مسنده 306/1

[٢] - سورة آل عمران (31)

وهذه المحبة التي تأتي بالإتباع لا تكون حقيقية إلا إذا أحب كل ما يحبه الله وكل ما جاء من عنده ويرضى به ، يحب ما يحبه تعالى من الطاعات ويكره ما يكرهه ربه من المعاصي ، يحب أولياء الله تعالى وعباده الصالحين وأهل الطاعة ويواليهم ، ويبغض ويكره الكفر والمعاصي وأهله ويعاديهم ، ويحب أنبياءه ورسله ، ويحب رسوله ﷺ أكثر مما يحب نفسه وولده وأهله وماله ، وكل ما يستلزم محبة الله يجب عليه فعله ، بل فعله يأتي نتيجة المحبة الحقيقية في القلب بعد ذلك يظهر أثر هذه المحبة على القلب ، مما يدل على اقتضاء العلم العمل .

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال :

(**ألا وإن في الجسد مضغة : إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب**) "[١]"

وهذا واضح جدا في علاقة العلم بالعمل ، وأن الاعتقاد القلبي يتبعه العمل سواء فَسد أو صَلَح فهو يُفسره ويُظهره على الجوارح كما بينا فيما قبل .

وحديث عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلا يعبث في صلاته فقال : (**لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**) "[٢]"

فالبدن يستقيم ويخشع ويعبد الله إذا وجد في القلب الإيمان الذي يعينه لذلك ، وإذا انتفى كذلك ما في القلب لا يرجى من البدن عبادة لم يفقهها قلبه .

وهذا يدل بلا شك على أن القلب إذا كان صالحا بما فيه من الإيمان والاعتقاد علما وعملا ، لزم ضرورة أن يصلح الجسد قولا وعملا بالجوارح .

وغيرها كثير وسيأتي التفصيل عن هذا في موضعه في المبحثين الأول والثاني من هذا الفصل .

---

[١] - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان / باب فضل من استبرأ لدينه / ح52/ج1/ص20

[٢] - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 86/2 ، والاصبهاني قي الحلية 230/10 ، وضعفه الألباني في تحقيق الإيمان لابن تيمية 27/1 .

- أن الله تعالى قرن أفضل الأعمال البدنية والقلبية بالإيمان به وبرسوله وهذا يدل على أنها لا تأتي إلا إذا وجد ما يقتضيها من الإيمان واليقين بالله .

فالنداء في كتاب الله يخاطب المؤمنين ثم يأمرهم بما يلزمهم من وراء إيمانهم وما يقتضيه من العمل ، وليبين سبحانه أنه لن يعمل أحد بها ولن يستقيم بأمر الله إلا من تمكن الإيمان في قلبه واستقر وعلم أنه يعبد الله ربه المستحق للعبادة المربي لعباده بفضله وإحسانه .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾ "[١]"

فالالتزام بالركوع والسجود والصلاة وفعل الخيرات والجهاد لن يتحقق إلا من المؤمنين لذلك جاءت الآية مخاطبة لهم بما يقتضيه إيمانهم من عمل القلب وعمل الجوارح .

ووجه الربط أنه سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات ومالكهم والمنعم والمتفضل عليهم بما لم يسألوه من الخيرات والبركات وتسخير ما حولهم لهم ، أليس من العدل والإحسان إليه أن يتوجه عباده إليه بالعبادة ؟ ويقصدونه فيها ؟؟

إذا كيف يعبد مخلوقه إلها غيره لا يملك له ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا موتا وينسى صاحب الفضل والإنعام المستحق للعبادة .

وقرن الإيمان بالتقوى ، فقال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ** ﴾ ثم قال : ﴿ **وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ** ﴾ "[٢]"

ووجه ذلك أن من آمن بالله تعالى وعلم انه سبحانه المقدر للخير والشر والضر والنفع لعباده والأعلم بمصالحهم والمتكفل بحفظ حقوقهم ، لا يتساهل في كتابة الدين ولو كان يسيرا بحجة النسب أو القرابة أو لا يُلزمه مُدِينه بذلك ، لان التزامه بأمر ربه يكفل له ويضمن رد حقوقه كاملة فاحترازا من النسيان أو الإنكار والجحود أمر تعالى بالكتابة ، بل ذلك سبيل إلى تقوى الله سواء كان في المدين أو الدائن بعدم التحايل في كتابة الدين وتعمد نقصانه .

---

[١] - سورة الحج (77-78)

[٢] - سورة البقرة (282)

ويدل أيضا على علاقة العلم بالعمل حيث لا يتقي الله ولا يلتزم بأمر كتابة الدين ولا يعمل به إلا المؤمن لأن إيمانه اقتضى فعله .

وكذلك الأمر في الهجرة والصدقات ومعاداة أولياء الله والذكر والدعاء وسائر العبادات التي يقتضي كل منها وجود الإيمان في القلب والعمل بالجوارح حتى يتحقق الانتهاء أو الائتمار بأمر الله بناء على ما وجد في قلوبهم من إيمان .

- ومما يدل أيضا على علاقة العلم بالعمل أن الله تعالى رتب الوعيد والعقاب الشديد لكل من لم يؤمن به وأشرك معه غيره في العبادة ، إذ كيف يعذب عباده على حجة لم تبلغهم أو علم لم يصلهم وهو إرسال الرسل ، مما يبين اقتضاء العلم العمل .

فالله تعالى لن يعذب الجاهل الذي لا يعلم بل عذره حتى تبلغه الحجة ، وفي المقابل غلظ العقوبة على من علم ولم يعمل بمقتضى علمه أو ينتفع به ، فغلظ على المشركين عامة الذين عرفوه وأشركوا معه غيره ، وعلى المنافقين الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه وتوعدهم الدرك الأسفل من النار ، والعالم الذي تباهى بعلمه ولم ينتفع به ، أو تعلم للشهرة والناس ، وكذلك كاتم العلم وتارك العمل به ، ومن تعلم القرآن ليقال قارئ وغيرهم مما يبين أهمية العلم والعمل معا وذم من يأخذ بأحدهما دون الآخر .

قال تعالى في حال المنافقين : **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾** "[1]"

فهؤلاء المنافقين عرفوا الحق ونطقوه بألسنتهم لكن قلوبهم لم تفقهه ولم تؤمن به ، إنما كان ذلك ظاهرا فقط ، لكنه تعالى فضحهم وبين ما تخفيه صدورهم فهو أعلم بما صدور العالمين .

ووجه الربط أنهم جالسوا النبي ﷺ وعرفوه حق المعرفة وسمعوا منه وعلموا بفضله وأن ما جاء به حق وصدق من الله تعالى ، يتبعونه في الصلاة وسائر الأعمال ثم إذا ابتلوا بالأذى من المشركين نزعوا حجابهم وظهرت حقيقة ما في صدورهم ، لأنهم لو كانوا مؤمنين لثبتوا على الفتن وصبروا عليها ، أو

[1] - سورة العنكبوت (10-11)

إذا رأوا النصر والغلبة على المؤمنين قالوا نحن معكم ، فهم وإن أخفوا نفاقهم عن رسول الله والمؤمنين لن يهربوا من عقاب الله وعذابه إذ انه تعالى لم يعذبهم إلا لأنهم عاينوا الحق وجاءتهم البينة ولم تكن لهم أي حجة في عدم الإيمان بالله فاستحقوا العذاب .

وقال تعالى في المشركين : **﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾** "[١]"

والذي بين هذه الآية انه سبحانه وتعالى ذكر في مواطن عدة انه استفهم المشركين وسألهم من خالقهم ورازقهم ومسخر لهم كل ما حولهم ومحييهم ومميتهم ، فكانوا يجيبون في ذلك كله : الله ولا إله غيره .

وهذا بلا شك اعتراف منهم بأنه سبحانه هو المستحق بالعبادة إذ لا خالق ولا رازق ومنعم غيره ، وبينت الآية انه من بعض ما انعم عليهم أن جعل لهم قلوبا تنبض بالحياة فلم يفقهوا بها شيئا مما أوجبه الله عليهم من التدبر والنظر فيما خلق في الكون وما حولهم ، وأنعم عليهم بالبصر ليروا بأعينهم مخلوقاته تعالى وبديع صنعه وإتقانه ثم يهتدوا إليه فلم يبصروا شيئا ، وجعل لهم آذانا يسمعون بها الحق والقران وما حَسُن من الكلام ثم صرفوها لغيره وفيما نهى عنه ، فأمثال هؤلاء ألا يستحقون العقاب والعذاب ، لأنهم لم ينتفعوا بما أوتوا ولم يعملوا للأمر الذي خُلِقوا له بل تركوا العمل بالكلية .

وقد قال سبحانه وتعالى : **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾** "[٢]"

حيث بين سبحانه أنه لم يخلق العباد إلا لعبادته ، لذلك استحق العقوبة من يعبد غيره .

وهذا وغيره يبين أنه تعالى لن يعذب أحدا إلا بعد بلوغ الحجة وبيان الحقائق والبصائر التي تدعو الناس إليه تعالى وتهديهم لعبادته .

---

[١] - سورة الأعراف (179)

[٢] - سورة الذاريات (56)

وفي الحديث أنه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خصال وذكر منها :

(**وماذا عمل فيما علم**) "[1]"

وهذا يبين أهمية العلم ومنزلته وإتباعه بالعمل ، فلا يكفي من العبد أن يعلم ولا يعمل بمقتضى هذا العلم سوا كان ائتمارا فيلتزم بالأمر بعد علمه ، أو انتهاء وتركا فينتهي عن العمل بعد النهي عنه .

وغيرها مما يبين عقوبة من يعلم ولا يعمل أو يخالف أمر الله تعالى ولا يعمل بمقتضى علمه أو يقتضي إيمانه عمله والتزامه بما أمر به ربه ، وسيتضح ما ذكرنا بتفصيل أكثر وبإيراد الأدلة التي تبين اقتضاء ربوبية الله تعالى لعمل القلب وعمل الجوارح كلٌ حسب موضعه فيما يأتي من المباحث .

والله تعالى أعلم .

[1] - رواه ابن أبي شيبة 125/7 ، والدارمي 452/1 ، والترمذي 190/4 ، والبزار 266/2 ، وأبي يعلى 178/9 ، والطبراني في الأوسط 348/2 والصغير 49/2 والكبير 102/11 ، والاصبهاني في الحلية 232/10 ، والبيهقي في المدخل إلى السنن ص318 ، وصححه الألباني في المشكاة 1435/3 .

المبحث الأول

المقتضى الإيماني لتوحيد الربوبية (عبادة القلوب)

أعمال (عبادة) القلوب :

هي كل عمل باطني خفي يشعر به العبد في قلبه ، ويتقرب من خلاله إلى ربه ولا يمكن الاطلاع عليه من قِبَل احد ، فلا يعلم سرائر القلوب سوى الله إلا ما ظهر أثره على الجوارح .

ومدار حديثنا في هذا المبحث يدور حول أفعال الله تعالى لعباده وربوبيته لهم وعنايته وتعهده سبحانه لعباده بتسخير بعض مخلوقاته لهم وإكرامهم بتفضيلهم على كافة المخلوقات ، وكيف يقتضي كل صفة منها من العباد أداء واجب الشكر لله تعالى على ربوبيته ورعايته لهم .

وقد وضحنا من قبل كيف أن أعمال القلوب هي الأساس والأصل وأعمال الجوارح تابعة لها فلولا إرادة القلب لم تحصل أعمال الجوارح .

ومقتضيات توحيد الربوبية القلبية أو الوجدانية كما يلي :

الإخلاص – المحبة – الرجاء – التوكل – الرضا – الصبر – الشكر – التقوى "[1]"

[1] - يوجد أعمال للقلوب أخرى غير التي ذكرت لكني اقتصرت على ما ورد ذكره وتكراره في كتاب الله ، فالورع والمحاسبة لم يأت في كتاب الله ما يدل عليهما .

المطلب الأول / الإخلاص

هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده ، وقيل تصفية السّر والقول والعمل ."[1]"

وقيل : تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه ، فكل ما يتصوّر أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصا ."[2]"

وقيل : ألا تطلب لنفسك شاهدا غير الله ."[3]"

والإخلاص سواء كان خلوص الشيء مما يشوبه أو يكدره أو كان بالقصد وبعدم الشهود على العمل سوى الله فهذا هو الإخلاص المراد من جميع العباد بأن يقصدوا الله ربهم في كل عمل وان تكون قلوبهم خالية وصافية من الشبهات والشهوات إلا من الإيمان بالله والحب له وحده .

ولقد أمر الله تعالى بالإخلاص في كتابه في آيات كثيرة في عبادته قال تعالى :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ "[4]"

وبين جل شأنه أنه ما خلق عباده وابتلاهم في الدنيا إلا ليرى أيهم أخلص له في العمل حيث قال : **﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾** "[5]"

وهذا تحقيقا لشرطي قبول العمل أن يكون صوابا ومخلصا ، ووصف أحسن الدين بإسلام الوجه والإحسان وكلاهما إشارة لمعنى الإخلاص .

وجاء من الآيات في كتاب الله ما يبين أن الإخلاص أحد مقتضيات الربوبية وأفعالها ، قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ۞ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ "[6]"

[1] - الكليات للكفوي ص64
[2] - التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص42
[3] - التعريفات للجرجاني ص14
[4] - سورة البينة (5)
[5] - سورة الملك (2)
[6] - سورة غافر (13-14)

يخبر الله تعالى في هذه الآية انه سوف يري عباده آياته ودلائل ربوبيته ووحدانيته في الكون ومنها إنزاله الرزق والمطر والغيث من السماء وينبت لكم به الزروع والثمار وغيرها مما يتنعمون به هم ودوابهم ، وما ذاك كله إلا ليتذكر المتذكرون ويتعظ ويتدبر المبصرون لأنهم عرفوا ربهم وعادوا إليه ، فالدعاء له وحده والإخلاص في كل عمل يتقربون به إليه ."[١]"

ودلالة الآية ومقتضاها في آيات الله وحججه الظاهرة البينة في هذا الكون وبما فيه من العوالم والتي لا يمكن إنكارها وقد بدت واضحة المقاصد والدلائل من خلال كل ذرة مخلوقة في الكون ، وكيف يسوق الله الأرزاق إليها ، إذ أن رزق الله تعالى الواسع ليس محصورا فيما ينزل من السماء أو ينبت من الأرض أو كيف يسوقه الله إلى أضعف خلقه بل هذا من لوازم ربوبيته جلّ شأنه ولا يمنع عنه احد ، والرزق الأعظم هو توفيقه لمن يشاء من عباده أن ينتفع بما خُلق له ويعلم الغاية من وجوده فيوحد الله ويفرده ويستسلم لربوبيته ويعلم أنه المستحق لها ، فينيب ويرجع إلى ربه ويتذكر ويتعظ من دلائل الكون الدالة على خالقه .

لذلك جاء الأمر من الله تعالى لمن أيقن واتعظ وتدبر وعلم أن من يسوق الأرزاق ويربي عباده باللطف والرحمة والعناية مستحق للفضل والشكر ، فتلجأ إليه الأنفس تدعوه وتخلص له في الدعاء وفي كل ما يأمر به من العبادات ، وهذا هو حال من يستسلم لربوبية الله ويذعن له نجد الطاعة والانقياد المخلص ملازما له ، ويرى أنه من الظلم أن يجعل لله شريكا في شيء من عبادته .

وما ذكرنا يبين باختصار كيف أن أفعال ربوبية الله تعالى من الخلق والرزق والملك يقتضي إخلاص الأعمال لله ونفي الشركاء عنه ."[٢]"

---

[١] - تفسير الطبري 362/21 ، تفسير السعدي ص734

[٢] - من الآيات التي تقتضي الإخلاص لربوبيته (البقرة139 ، الأعراف29 ، الزمر2-5(13-14) ، غافر65 ، الصافات123-128 ، ص79-83) وغيرها .

المطلب الثاني / المحبة

وهي ميل النّفس وإرادتها إلى ما تراه وتظنّه خيرا ."[1]"

ومحبة العباد لله هي ميل القلوب إليه بالحب والتعظيم والإجلال والرجاء .

وهذه المحبة متفاوتة في القلوب تزيد وتنقص بحسب قربهم من الله وبحسب ظهور أسبابها وموجباتها ودواعيها وغير ذلك .

قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ** ﴾ "[2]"

وهي أساس كل عمل ، فلا يتصور أن يجتهد العبد في عبادة وطاعة وهو لا يحب معبوده الآمر بها .

ومن الآيات التي تبين أن محبة الله تعالى أحد مقتضيات ربوبيته ، قال تعالى :

﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ "[3]"

تعتبر هذه الآية أصل من أصول الإيمان بالله كونها تبين المحبة الحقيقية لله تعالى ولرسوله وتجعلها فوق كل محبة ، فإن النفوس مجبولة على محبة الآباء والأبناء والإخوان والزوجة ومتاع الدنيا من الأموال والمساكن والأوطان ، إذ ليس بالسهولة مفارقتها والتخلي عنها .

لكن هناك قيود لهذه المحبة أن تلهي عن الحب الأعظم والاهم وهو حب الله تعالى مسخرها وميسرها للعباد ، فإن كل العقلاء يعلمون أن ما يتقلبون فيه من نعم هو بسبب ربهم وخالقهم ، لذلك لا ينبغي أن الانشغال بها ونسيان الله تعالى المسبب الأول لها .

ودلالة الآية في أن الحب الحقيقي لا يكون إلا للمنعم الأول ، وأمام هذا الحب تتلاشى وتتفرق كل العلاقات والروابط والصلات الاجتماعية بين البشر من الأب وابنه والأخ وأخيه والرجل وزوجه إن كان فيهم من يخالف هذا الأصل ، لان قضية العقيدة هي الأساس الأول وحب الله تعالى أثر من

---

[1] - المفردات في غريب القران للأصفهاني ص214
[2] - سورة البقرة (165)
[3] - سورة التوبة (24)

آثار العقيدة واحد مقتضياتها ، وحب الله مغروس في النفوس ، بل العباد جميعهم مفطورون على حب من انعم عليهم وتقديره واحترامه وتعظيمه وجعل له شأنا مقدما على كل أحد

لكن كيف لو كان هذا المحبوب يملك من الصفات والأفعال التي يعجز عن امتلاكها أفضل محبوب عند الخلق ، فإن الخالق مع استحقاقه لهذا الحب ما يزال يُغْدِق على عباده من النعم ما يزداد من أجل ذلك محبته في قلوبهم وتعظيمه وعدم عصيان أمره وتقديم أقواله وأفعاله وكل ما يريده على كل شيء ، وهذا هو مقتضى الإيمان والعقيدة الذي بيناه ، وهو الحب العظيم الذي يصدر من العباد وينشأ حينما يعلمون فضائل ربهم فيستجيبون له ويخلصون في العبادة ولا يمكن مهما كان أن يقدمون محبة ربهم على آباءهم أو أبناءهم أو قرابتهم مهما كان لان التوحيد والعقيدة أعظم عند الله من هؤلاء وحبه مقدم عليهم .

وإلى هذه المحبة أشار الله تعالى في آية أخرى حيث قال تعالى :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ "[١]"

فلا تَصْدُق المحبة من عبد حتى يواليَ أولياء الله ويعاديَ أعداءه ولو كانوا أقرب الناس إليه من الآباء أو الأبناء والإخوان والعشيرة ، وذلك لأن مودة الله تعالى ومودة أعداءه لا يمكن أن تجتمع في قلب واحد .

وهكذا يتبين لنا أن محبة الله هي أحد مقتضيات ربوبيته تعالى ."[٢]"

---

[١] - سورة المجادلة (22)

[٢] - ولم أجد في القران ما يدل على أن العباد يحبون الله بمقتضى ربوبيته ، لان الحب أصل داخل في العبادة ولا يكمل إلا بها ، فالتذلل والخضوع والخشوع وغيرها لولا الحب ما وجدت وما صدرت من العبد .

المطلب الثالث / الرجاء

هو تأمل الخير وقرب وقوعه ، وقيل تعليق القلب بمحبوب في المستقبل .

وقال ابن القيّم : حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب. وهو الله والدار الآخرة ، ويطيّب لها السير .

وقيل : هو الاستبشار بجود وفضل الرّبّ تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه ."[1]"

وحقيقة الرجاء

ومن الآيات التي تقتضي الرجاء لربوبيته تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ "[2]"

أشارت الآية إلى أن المعبودات التي تُعْبد من دون الله سواء كانوا ملائكة أو كانوا من البشر كالصالحين والأنبياء وأتباعهم فهم ليسوا أغنياء بأنفسهم بل هم أيضا يتنافسون في التقرب إلى الله بالطاعات ويرجعون إليه في طلب المنافع ودفع المضار ويتوسلون إليه ويرجون رحمته ويخشون عذابه ، ومع كونهم موصوفين بالعجز والله تعالى أغنى الأغنياء ، فكان الانشغال بعبادته أولى من اتخاذهم معبودات من دونه ، فإن عذابه تعالى أحق أن يُتْقَى ."[3]"

ودلالة الآية في أن هذه المعبودات التي عُبِدتْ من دون الله ، كانت تعلم يقينا من هو ربها ، وتعلم أن فضائل ربوبيته لا ينبغي أن تقابل إلا بالإذعان والتسليم والانقياد الذي يثمر حبه والتقرب إليه بأنواع الطاعات والقربات ، ومن ثم التضرع إليه ودعوته رجاء ما عنده من الثواب ، لأن من يعلم ويعرف قدرة الله تعالى وعظمته لا يتقرب إلى ربه إلا وهو يرجو منه الخير والفضل سواء كان في الدنيا أو في الآخرة ، وهذا الأمر هو الذي تحقق عند هذه المعبودات ، فكانت أقرب إلى ربها وأكثر خوفا ورجاء من معبوداتها التي ضلت عن الحق والصواب .

---

[1] - مدارج السالكين لابن القيم 36/2

[2] - سورة الإسراء (57)

[3] - تفسير السعدي ص460 ، مفاتح الغيب للرازي 358/20

وكذلك فإن هذه المعبودات تحققت فيها وتمت لها الأمور الثلاثة وهي المحبة والخوف والرجاء وهي الذي ينبغي أن يكون عليه كل العباد وكل واحدة منها أثر للآخر وثمرة له ."[١]"

وكذا الأمر في بقية أفعال ربوبيته فإن كل واحد منها يستلزم ويقتضي الرجاء بناء على ما ذكرنا ."[٢]"

[١] - تفسير السعدي ص460

[٢] - من الآيات التي تقتضي الرجاء لربوبيته تعالى (يونس6-7 ، الإسراء28 ، الكهف110 ، فاطر29-30 ، الزمر9) وغيرها .

المطلب الرابع / التوكل

ومدلوله الاعتماد على الغير في أمر ما ، لان أصله إظهار العجز في الأمر والاعتماد عليه في غيرك .

وعرفه ابن رجب "[1]" بقوله :

(هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها) ."[2]"

وعرفه بعضهم بذلك وزاد عليه : (مع فعل الأسباب التي أمر الله بها) "[3]"

ويعتبر أجمع ما قيل في التوكل لان حقيقته اعتماد القلب مع الأخذ بالأسباب مع اليقين الكامل بأن الله بيده كل شيء من أمور الخلق والرزق لا إله غيره ولا رب سواه .

وقد جاء في كتاب الله ما يبين أن التوكل أحد مقتضيات ربوبيته تعالى

حيث قال : **﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً ۞ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾** "[4]"

في هاتين الآيتين أمر الله تعالى عباده بالتوكل عليه في جميع الأمور المتعقلة به أو بخلقه لأنه الحي الذي له الحياة المطلقة الكاملة ، وأمره كذلك بعبادته وتسبيحه وتنزيهه عما لا يليق مما وصفه به المشركون ، فإن ربه سيكفيه المشركين وأذاهم وعِداهم له وهو أعلم جل شأنه بذنوبهم وأحوالهم ولا يخفى عليه شيء منهم فيجازيهم عليها ، وليس عليه هدايتهم إنما ذلك بيده تعالى لأنه خالقهم وخالق ما هو أعظم منهم من السماوات والأرض ثم استوى على العرش وهو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ، فأثبت لنفسه الخلق والعظمة والعلو والرحمة التي بان بها على مخلوقاته واطلع بها على ظواهرهم

[1] - هو الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي ، وُلد في بغداد سنة 706هـ وسمع من أبي الفتح الميدومي وغيره ، أكثر من الاشتغال حتى مهر وصنف عدة مؤلفات من أشهرها : جامع العلوم والحكم وشرح علل الترمذي وطبقات الحنابلة وغيرها ، مات في دمشق سنة 795هـ . راجع ذيل طبقات الحنابلة للسيوطي ص243

[2] - جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص153

[3] - تعريف الشيخ بن عثيمين رحمه الله . انظر مجموع فتاوى ورسائل الشيخ 106/1

[4] - سورة الفرقان (58-59)

وبواطنهم ، فلا تسأل عنه إلا خبير وعليم به وبما له من الصفات ، ومن أعلم من جلّ شأنه لما أخبرنا عن نفسه ؟! ."[١]"

ولما كان التوكل والاعتماد وإنزال الحاجات لا ينفع إنزاله من العباد كونهم أحياء يلحقهم الموت والضعف والمرض وتنقطع بهم الحياة فتتعطل مصلحة المتوكل في النفع والضر ، بل هو كمن يرتكز على حائط ضعيف أوهنه الزمن .

لذلك كان الأمر من الله إلى عباده بالتوكل عليه لأنه الحي لا يموت والغني الذي لا يفتقر والقوي الذي لا يلحقه ضعف ، وهو الحي الذي له الحياة الكاملة المطلقة ، والخالق الموجد ، فالعبد إذا علم وأيقن في نفسه أن موجده متكفل بما يقيم له حياته في الدنيا وهو مع ذلك خير من يُعتمد عليه بما له من صفات الكمال المعدومة في المخلوقات ، فإنه بلا شك يعلم أن خالقه يسعى لما ينفعه ويُصلح حاله وبالتالي يصرف عنه كل ما يضره حتى مما يجهل عواقبه ، فمثل هذا من الجهل والغبن أن يتوكل أحد على غيره وقد علم منه ذلك وأكثر ."[٢]"

وهذا ما أردنا بيانه وتوضيح وجه اقتضاء ربوبيته تعالى للتوكل ، فمن فقهها واهتدى إليها لن ينزل حاجته في جميع أحواله إلا لربه لأنه سيكفيه إياها ويبلغه مناه فيها وكفى به ربا وحسيبا لمن توكل عليه وهذا يبين أيضا أن توحيد الأسماء والصفات من توحيد الربوبية فـ (الحي) اسم من أسماءه تعالى متضمن لجانب من جوانب ربوبيته جل شأنه .

لذلك قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ** ﴾ "[٣]"

أي كافيه في الأمر الذي توكل به عليه ، فهو ربه واعلم بحاله وقد تقتضي حكمته أن يتأخر عنه ، لكن في نهاية الأمر سوف يبلغه أمره وحاجته فلكل شيء وقته وقدره الذي قدّره الله له ."[٤]"

---

[١] - تفسير السعدي ص585
[٢] - في ظلال القران لسيد قطب 2575/5
[٣] - سورة الطلاق (3)
[٤] - تفسير السعدي ص869

وقال تعالى في التوكل لأنه رب العباد وخالقهم : **﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾** "[1]"

وقال في التوكل عليه لأنه الخالق والمالك لمقاليد السماوات والأرض : **﴿ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ ﴾** "[2]"

وكذا الأمر في أفعال ربوبيته جميعا واقتضاءها لما ذكرنا والداعي الذي يجعل العباد يتوكلون على رهم "[3]".

---

[1] - سورة الأنعام (102)

[2] - سورة الزمر (62-63)

[3] - من الآيات التي تقتضي التوكل لربوبيته تعالى (النساء132(171) ، الأنفال2 ، هود123 ، الرعد30 ، النحل42 ، النمل78-79 ، العنكبوت59 ، الأحزاب2-3 ، المزمل8-9) وغيرها .

المطلب الخامس / الرضا

مصدر رضي يرضى مأخوذ من مادة (رضو) وهو ضد السخط ."[١]"

وهو سكون القلب تحت مجاري الحكم ، وقيل : سرور القلب بمرّ القضاء ."[٢]"

وقيل : ارتفاع الجزع في أي حكم كان ."[٣]"

وجميع هذه المعاني متقاربة وتؤدي إلى معنى واحد فإن الرضا بالمعنى اللغوي يدل على فرح القلب وسروره وعدم تسخطه .

والرضا المطلوب من العباد إلى ربهم هو رضاهم بكل قضائه فيهم مما قدره عليهم وأمرهم به في السراء وفي الضراء فلا يضجرون ولا يتذمرون يتسخطون بل تنشرح صدورهم وتسكن لعلمهم أن ذلك كله أمر ربهم ولا يريد بهم إلا خيرا .

وحقيقة الرضا تتلخص في قول النبي ﷺ :

((**رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا**)) "[٤]"

جاء عن ابن عباس رضي الله عنه "[٥]" أنه قال : بحسب امرئ من الإيمان أن يقول : "رضيت بالله رباً " أي يكفيه هذا القول معتقداً له لما علم من أن من لم يعتقده فهو منافق والرضا بربوبية الله يستلزم القبول لكل ما كان من عنده من الأوامر الشرعية والأمور المقدرة ."[٦]"

والرضا به ربا الرضا بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته والرضا بقضائه وقدره ، وبنبيه بالإيمان به ومتابعة سنته وبإسلامه بتحكيم تشريعاته ."[٧]"

---

[١] - لسان العرب لابن منظور 323/14

[٢] - التعريفات للجرجاني ص111

[٣] - مدارج السالكين لابن القيم 175/2 ، وذكره القشيري في رسالة بقوله : قال أبو عمر الدمشقي . راجع الرسالة القشيرية 344/2

[٤] - أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب الصلاة / باب القول مثل قول المؤذن /ح386/ج1/ص290

[٥] - حبر الأمة ، وفقيه العصر ، وإمام التفسير أبو العباس عَبْد اللَّه بْن عَبَّاس بْن عَبْد الْمطلب بْن هَاشم بْن عَبْد منَاف ولد قبل الهِجْرَة بِأَرْبَع سِنِين توفّي النَّبِي ﷺ وله 14 سنة قَالَ لَهُ النَّبِيَّ ﷺ اللَّهُمَّ فقهه في الدين وعلمه التأويل ، وكان يقول : دعا لي رسول الله بالحكمة مرتين ، صحب النبي ﷺ نحو 30 شهرا وروى عنه جملة من الأحاديث ، مَاتَ بِالطَّائِف ودفن بها سنة 68ه- وَقيل سنة 70ه- . راجع سير أعلام النبلاء 380/3-394 ، الثقات لابن حبان 207/3

[٦] - التنوير شرح الجامع الصغير / محمد بن إسماعيل الصنعاني 532/4

[٧] - للاستزادة راجع مدارج السالكين لابن القيم 178/2 وما بعدها

وقد جاء من الآيات في كتاب الله ما يبين أن الرضا بالله هو أحد مقتضيات الربوبية ، قال تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ "[١]"

في هذه الآية يأمر ربنا جل وعلا نبيه ﷺ بالصبر على ما يلاقيه من أعدائه المشركون وما قالوه فيه لما اتهموه بالجنون والسحر والكذب ، مع الاستعانة بالله والمداومة على الصلاة والثناء والحمد لربه وكذا تسبيحه خصوصا في وقتي الغروب والشروق وأطراف النهار وآخر ساعات الليل ، فإنك إن فعلت ذلك عرفت سبيل الرضا الذي تطمئن به نفسك وتقر به عينك بعبادة ربك والذي يوصلك إلى ثوابه ويبلغك ما تريد ."[٢]"

ودلالة الآية ظاهرة في الإنسان حينما يكلف بالدعوة إلى الله سواء كان النبي ﷺ أو غيره وهو لنا أفضل قدوة ، لا بد أن يجد الصد والإعراض من الناس وكذلك الأذى منهم بكل الوسائل ، وهذا أمر يجعل النفس تضيق ويصيبها الحزن أو قد تمل وتترك هذا الطريق لكثرة ما لاقته فيه ، لكن إذا استعانت بالله وطبقت ما أمر الله به نبيه من الصبر ثم لزوم الصلاة والذكر والدعاء فإنا بلا شك تأنس بذكر الله خصوصا إذا تمعنت في مظاهر ربوبيته وفضله عليها وكيف انه يمتع الكافر بكل أنواع النعم والرزق بل حتى القوة والعتاد ويسلب ذلك من العبد المؤمن الضعيف الذي لا حول ولا قوة له إلا بربه وباستعانته واعتماده عليه في كل شيء حتى يكتب له النصر ، فإنه في حال ذكر ربه تطمئن نفسه وتتسلى بذكر الله وتأنس بقربه فينسى ما أصابه من الأذى والظلم حتى ترضى نفسه بتلك الحال ويعلم أن ربه لن يضيعه بل يريد له الثواب العظيم الذي يناله الراضون به تعالى في الدنيا وكذلك في الآخرة .

فإن ذكر الله وتسبيحه بعد الصبر سبيل للرضا به وبقضائه وقدره وكذلك الرضا بحاله في الدنيا وبثواب الراضون عند الله يوم القيامة ، وهذا ما أردنا الوصول إليه فإن كثرة ذكر الله خصوصا في الأوقات التي

[١] - سورة طه (130)

[٢] - تفسير الطبري 400/18 ، مفاتح الغيب للرازي 113/22-114 ، تفسير السعدي ص516

بينها تعالى في الآية عند الشروق والغروب له مع التفكر والتدبر في الحكمة من أمر الله وربوبيته تجعل النفوس راضية بربها متعلقة به ."[١]"

ونخلص إلى قولنا أن الرضا ثمرة التسبيح والذكر والعبادة ،"[٢]" وهو أحد مقتضيات ربوبية الله على عباده ."[٣]"

فمن عرف ربه وتبصر بقلبه وأدرك الحق واستسلم له انقادت جوارحه طواعية لخالقه ورضي مباشرة بكل قضاء يقضيه ربه فيه وبكل حال قدر له الله أن يكون فيها .

والرضا والصبر قرينان لذلك أمرت الآية بالصبر الذي يثمر الرضا .

والرضا أعلى مقاما من الصبر لان الراضي لا يتمنى غير حاله التي هو عليها وقد رضي بما قسم الله له ، فيكون الرضا منه ملازما له في كل أحواله وحالاته .

أما الصابر فإنه لا يجزع ولا يتضجر من حاله ، إنما يتمنى أن ينتقل من الحال التي هو عليها إلى الأفضل ، وصبره هذا لا يكون إلا عند حلول المصائب عليه ."[٤]"

---

[١] - راجع المبحث الأول من هذا الفصل ص 179-180 في بيان الحكمة من الذكر عند الشروق والغروب

[٢] - في ظلال القران لسيد قطب 2357/4

[٣] - من الآيات التي تقتضي الرضا لربوبيته تعالى : (المائدة1-3 ، التوبة20-21 ، مريم1-6 ، طه83-84 ، الحج59 ، الفتح29 ، الممتحنة1 ، البينة7-8) وغيرها .

[٤] - سلسلة أعمال القلوب / محمد صالح المنجد (الرضا) ص44

المطلب السادس / الصبر

وهو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه ."[١]"

وقيل حبس النّفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش "[٢]"

وقيل ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله إلا إلى الله ."[٣]"

وهو أنواع ومراتب وله معانٍ بحسب اختلاف مواقعه ولا حاجة لنا بها . "[٤]"

وحقيقة الصبر المطلوب من العباد تتلخص في درجاتٍ ثلاثة :

صبرٌ عن المعصية وصبرٌ على الطاعة وصبرٌ على المصيبة "[٥]"

وقد جاء في كتاب الله ما يبين أن الصبر أحد مقتضيات ربوبيته تعالى على خلقه ، قال تعالى :

﴿ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ "[٦]"

أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية بعبادته والصبر على طاعته فهو رب السماوات والأرض المستحق للعبادة بريوبيته وفضله وهو سبحانه ليس له سمي ولا ند ولا مماثل بوجه من الوجوه وله الكمال المطلق وحده ، لذلك أمر بمجاهدة النفس على العبادة والاصطبار عليها ."[٧]"

ودلالة الآية تكمن وتدعو إلى تأمل ربوبية الله تعالى العامة والخاصة التي شملت بفضله ورحمته جميع الخلائق دون استثناء ، فإذا تفكر العباد فيها بقلوبهم وبصائرهم أيقنوا أنه لا أحد في الوجود يستحق الإفراد بالعبادة سوى الله وحده ، ومن ثم مجاهدة النفس على طاعته ورضاه أمر يأتي من العبد دون ملل لأنه أحب خالقه وربه وعلم استحقاقه للعبادة ولم يفرط فيها أو يتكاسل أو يجعل نفسه في

---

[١] - المفردات في غريب القران للأصفهاني ص474

[٢] - مدارج السالكين لابن القيم 155/2

[٣] - التعريفات للجرجاني ص131

[٤] - للاستزادة راجع موسوعة نضرة النعيم 2441/6 ، ومدارج السالكين لابن القيم 155/2 وما بعدها .

[٥] - مدارج السالكين لابن القيم 163/2-165

[٦] - سورة مريم (65)

[٧] - تفسير السعدي ص498

موضع لا يرضى خالقه أن يراه فيه ، بل على العكس فإن المشقة التي يلقاها غير المؤمن في طاعة الله تتحول في حق المؤمن إلى راحة وسعادة واطمئنان حين يبذل العبد كل جهده ووقته لإرضاء ربه وطاعته .

وهذا يبين لنا أن حب العبد ورضاه بربه يتولد منه الصبر وتحمل المشاق لذلك نرى أن العبد كلما زاد إيمانه بالله وتقواه كان أكثر الناس صبرا وثباتا سواء كان على العبادة أو فيما يواجهه من مصاعب في حياته لارتباط الصبر بالتقوى والإيمان الذي هو ثمرة الربوبية .

فكيف لو علم العبد أيضا أن إلهه الذي يعبده له صفات الكمال وليس له سمي ولا مماثل في أحد من مخلوقاته ، وأن أي صفة بين البشر يراها العبد صفة مدح وثناء فالله أولى بها ، فيزداد مع ذلك صبره وتحمله لكل عبادة أمر بها ربه لما علم منه من الصفات والأسماء .

وكذلك الآيات التي أمرت بالصبر ومنها قوله تعالى : ﴿ **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** ﴾ "[١]"

وقوله تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا** ﴾ "[٢]"

فهي تعني أن العبد لو تفكر في ربوبية ربه لما وجد استكبارا أو إعراضا في الصبر على كل ما يأتي منه ، لأن ربوبية خالقه تقتضي الصبر على حكمه وشرعه وقضاءه وقدره .

علمنا مما ذكرنا أن الصبر أحد مقتضيات ربوبية الله تعالى على خلقه ، في ربوبيته العامة وباقي أفعال ربوبيته ."[٣]"

---

[١] - سورة المدثر (7)

[٢] - سورة الإنسان(24)

[٣] - من الآيات التي تقتضي الصبر لربوبيته تعالى : (البقرة45-46 ، الأعراف126 ، الرعد22 ، النحل110 ، الكهف28 ، طه130-132 ، الحج34-35 ، الفرقان20 ، لقمان17 ، ق39 ، الطور48-49) وغيرها .

المطلب السابع / الشكر

في اللغة مأخوذ من مادة (**شكر**) الدالة على الثناء على الإنسان بمعروف يوليك إياه . "[١]"

وقيل الشكر من العبد عرفان الإحسان ومن الله المجازاة والثناء الجميل ."[٢]"

وقال ابن القيم : الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافا ، وعلى قلبه شهودا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة ."[٣]"

وحقيقة الشكر ظاهرة في تعريف ابن القيم ، فإن العبد ينبغي له أن يستحضر في الشكر خمس أمور : خضوع العبد لله ، وحبه له ، واعترافه بنعمته ، وثناؤه عليه بها ، وألا يستعملها فيما يكره ."[٤]"

وقد جاء في كتابه تعالى ما يبين أن الشكر أحد مقتضيات ربوبيته على عباده ، قال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۞ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۞ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ "[٥]"

أمر الله تعالى عباده بالنظر والتفكر في مخلوقاته التي خلقها وذللها من اجلهم وجعلهم مالكين لها ، تطيعهم في كل ما يريدونه منها ، تحمل أثقالهم وتتحمل ركابهم وتسعى لمنافعهم وحمل أمتعتهم ، فيأكلون لحومها ويشربون ألبانها ولهم فيها دفء ومنافع أخرى ، وهذه نعم تستوجب منهم عبادة ربهم والتسليم له والشكر على نعمه ."[٦]"

تعتبر هاتين الآيتين من الآيات التي تظهر فيها ربوبية الله تعالى على خلقه ، إذ تظهر فيها بوضوح دلائل ربوبيته ووحدانيته ، وقدرته وعظمته جل شأنه في إتقان الصنعة وتصويرها وتسخيرها وتذليلها لعباده لهي نعمة بحد ذاتها تستوجب الشكر ، لأنه تعالى لو خلقها ولم يذللها لتمردت على بني ادم

---

[١] - معجم مقاييس اللغة / أبو الحسين احمد بن فارس القزويني الرازي 207/3
[٢] - الكليات للكفوي ص534
[٣] - مدارج السالكين لابن القيم 234/2
[٤] - نفسه 234/2
[٥] - سورة يس (71-73)
[٦] - تفسير السعدي ص699

ولما استطاع المخلوق الإنسان أن يملكها أو ينتفع بها ، فكان في تذليلها للانتفاع والركوب عليها وأكل لحومها والاكتساء بجلودها فوائد من الغبن أن يتنعم بها العبد وينسى شكر المنعم .

لأنها نعم تستوجب الشكر ، والمألوف بين البشر أن المتفضل بالنعمة والمبادر بها له فضله ومكانته وحبه مفروض على الجميع لسابق فضله ، فإن تكلم قوله مسموع ، وإن أمر فأمره مطاع ، ولن يجرؤ احد على اعتراض حديثه ، والتأدب بحضرته مطلوب ، ومع ذلك هو مخلوق مثلهم ، يصيبه من البلاء والمرض والتعب ما يعجز أشدهم حبا له عن دفعه عنه ، ولله المثل الأعلى .

أفلا يستوجب خالقنا الشكر على نعم ربوبيته التي لا تعد ولا تحصى والتي شملت الكافر والجاحد من عباده .

إن المتفكر بعقله وقلبه لا يدله كل ذلك إلا إلى استحقاق الخالق تعالى للوحدانية والعبادة التي يُرى معها من الظلم أن تُصْرَف لأحد غيره .

فيخشع قلبه ويخضع وينبض بحب خالقه ويلهج لسانه بحمد ربه وثناءه على تلك النعم ثم لا يستعمل نعم الله إلا فيما يرضي به خالقه ويتجنب أن يراه في الحال التي يكرهها ، وتلك هي حقيقة الشكر التي أردنا التوصل إليها من خلال ربوبية الله .

علمنا من خلال ذلك أن ربوبية الله تعالى على خلقه تقتضي الشكر والثناء والحمد لخالقه .

وكذلك الأمر في بقية أفعال ربوبيته ، فإن رزقه تعالى للعباد يقتضي الشكر ، جاء ذلك في آيات عدة منها قوله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ "[1]"

وقال أيضا : **﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾** "[2]"

[1] - سورة البقرة (172)
[2] - سورة العنكبوت (17)

فلما كان كل ما يتنعم به العباد من أرزاق الله وجب عليهم الشكر تجاهه وعبادته ، لأنه من البغي والغبن أن تكون العبادة والشكر لغيره جل شأنه ، لذلك نجد في كثير من الآيات بعد ذكر النعم أو مظاهر الربوبية يأتي الأمر بالشكر أو تختم الآية بقوله (لعلكم تشكرون) .

عرفنا مما بينا أن الشكر أحد مقتضيات ربوبية الله تعالى على خلقه ."[1]"

[1] - من الآيات التي تقتضي الشكر لربوبية الله على خلقه (البقرة172 ، الانفال26 ، إبراهيم37 ، النحل114 ، الفرقان61-62 ، القصص73 ، الزمر7 ، الجاثية12-13 ، الأحقاف15) وغيرها

المطلب الثامن / التقوى

في اللغة مأخوذة من مادة (**وقى**) والتي تدل على دفع شيء عن شيء بغيره ."[1]"

وفي الشرع هي

الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك ."[2]"

وأحسن ما قيل في حد التقوى :

(أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجوا ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله) ."[3]"

وحقيقتها كما بينها ابن القيم أن يعمل العبد بطاعة الله إيمانا واحتسابا وأمرا ونهيا ، فكل ما أمر الله به يفعله إيمانا بهوتصديقا بوعده ، وكل ما نهى الله عنه يتركه إيمانا بهوخوفا من وعيده ."[4]"

وأبسط ما يمكن إيراده في تعريف التقوى ، أن عمر بن الخطاب ﷺ سأل أُبي بن كعب عن التقوى فقال : (هل أخذت يوما طريقا ذا شوك ؟ ، قال : نعم ، قال : فما عملت فيه ، قال : تشمرت وحذرت ، قال : فذاك التقوى) "[5]"

ونظم أحد الشعراء هذا المعنى في قوله :

خل الذنوب كبيرها وصغيرها ذاك التقى

واعمل كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

---

[1] - مقاييس اللغة لابن فارس 131/6

[2] - التعريفات للجرجاني ص65

[3] - الرسالة التبوكية (زاد المهاجر) / محمد بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية ص13 ، التعريف لطلق ابن حبيب لما سئل عن التقوى .

[4] - نفسه .

[5] - أورده القرطبي في تفسيره ولم أجده عند غيره . راجع تفسيره 161/1-162

وقد جاء في كتاب الله من الآيات ما يبين أن التقوى أحد مقتضيات ربوبية الله على خلقه ، قال تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ "[1]"

نهى الله تعالى عباده في الآيات عن تحريم ما أحل لهم من طيبات المأكل والمشرب ، فهي نعمٌ أنعم بها عليهم فليحمدوه وليشكروه عليها ولا يقابلوها الكفر والجحود ، أو بتحريمها على أنفسهم فيكونوا من المعتدين المتجاوزين لحدوده لأنهم جمعوا بين القول على الله بالكذب وكفر النعمة وبين اعتقاد الحلال الطيب حراما خبيثا وهذا هو الاعتداء .

ثم أمرهم بعد ذلك بألا يأكلوا إلا الحلال الطيب الذي رزقهم إياه ويسر لهم أسباب الحصول عليه ، وليتقوه في امتثال أوامره واجتناب نواهيه لان إيمانهم به يوجب عليهم تقواه ."[2]"

ودلالة الآية ظاهرة من خلال ربوبية الله تعالى فيها لما قال (كلوا مما رزقكم الله) ثم قال بعدها (واتقوا الله)

فإن ما بين هاتين الجملتين معاني عظيمة نريد بيانها لنتوصل من خلالها إلى أن رزقه تعالى يقتضي تقواه .

فكل الناس يعلمون بفطرتهم من هو رازقهم وماذا يعني لهم الرزق في دنياهم ، فكل نفس وكل حركة ونعمة يتقلبون فيها هي من نعم الله تعالى ومن رزقه وأفضاله عليهم ، فما يأكلونه من طيبات الثمار واللحوم وما يشربونه من حلو العصائر والألبان مما أحل لهم ماهي إلا أرزاق خالقهم التي أنعم بها عليهم وينتظر منهم شكره عليها .

فكل من يتفكر في هذه النعم ويبصر بعين قلبه يعلم انه من المستحيل بعد هذا أن يكفر العبد بالنعمة ويجحدها أو يحرمها على نفسه ثم يعتدي على ربه ، ولما علم سبحانه وهو أعلم بعباده أن

[1] - سورة المائدة (87-88)
[2] - تفسير السعدي ص242

هذا الأمر واقع منهم نهاهم عن الاعتداء فيما رزقهم ، ثم أمرهم بالا يأكلوا إلا الحلال الطيب منه ثم جاء الأمر بالتقوى .

لان رزق الله وجميع فضائل ربوبيته تقتضي منا التسليم له وحده والاعتراف بربوبيته ونعمه وارزاقه ومن ثم تقواه واجتناب كل ما يغضبه ويكرهه .

والتقوى لما كانت وقاية وأن يجعل الإنسان بينه وبين الله حتى لا يقع في معاصيه بدأت الآية الأولى بالنهي عن تحريم ما احل الله والاعتداء وعدم الأكل إلا من طيبات رزقه ومن ثم ختمت بالأمر بالتقوى ، ومدار المسألة كلها في الرزق الذي يقتضي منا تقواه جل وعلا واجتناب كل ما نهى والعمل بما أمر .

ولو تتبعنا آيات القران أيضا لوجدنا من هذا القبيل وكيف أن الله تعالى بحكمته لما يخاطب عبده بالربوبية بقوله (ربكم وربنا) بدلا من قوله (إلهكم وإلهنا والله) في سياق الآيات ، ويأمرهم بالتقوى بعدها ، لأدركنا كيف أن مجرد استشعار مظاهر ربوبيته كافٍ لتقواه فكيف إذا أمر به .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ** ﴾ "[١]"

وقال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ** ﴾ "[٢]"

وقال أيضا : ﴿ **قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ** ﴾ "[٣]"

وجميعها تأمر بالتقوى لربوبية الله ، وحتى خلقه سبحانه يقتضي منا كذلك التسليم والوحدانية والتقوى لما قال (**اتقوا ربكم الذي خلقكم**) .

فالرزق والخلق والملك جميعها تقتضي الأمر نفسه ، الذي بينا كيف أن ربوبية الله تعالى تقتضي التقوى "[٤]".

---

[١] - سورة البقرة (282)

[٢] - سورة النساء (1)

[٣] - سورة الزمر (10)

[٤] - من الآيات التي تقتضي التقوى لربوبيته (البقرة1-5 ، آل عمران133-134 ، النساء77 ، المائدة111-115 ، الأنعام50-51 ، النحل30-32 ، طه113-114 ، الأنبياء48-49 ، الحج1 ، الشعراء184 ، الأحزاب1-3 ، الزمر55-61 ، الحجرات13) وغيرها

بينا من خلال ما سبق كيف أن كل فعل من أفعال ربوبيته تعالى يقتضي منا عبادته سواء كانت العبادة بالقلب بخوف القلب وخضوعه وخشوعه أو تقواه لربه وخالقه أو بالجوارح بسجود البدن وتسبيح اللسان بالذكر والتهليل والثناء عليه جل شأنه ، وهذه جميعا ثمرات استشعار القلوب والجوارح لربوبيته تعالى .

المبحث الثاني

المقتضى الإيماني لتوحيد الربوبية العملي (عبادة الجوارح)

أعمال (عبادة) الجوارح :

هي كل عمل يفعله الإنسان بجوارحه وبدنه ما عدا قلبه مما قاله لسانه واكتسبته يداه أو خطى إليه برجليه "[1]"

ومدار حديثنا في هذا المبحث يدور حول أفعال الله تعالى لعباده وربوبيته لهم وعنايته وتعهده سبحانه لعباده بتسخير بعض مخلوقاته لهم وإكرامهم بتفضيلهم على كافة المخلوقات ، وكيف يقتضي كل فعل منها من العباد أداء واجب الشكر لله تعالى على ربوبيته ورعايته لهم .

ومقتضيات توحيد الربوبية السلوكي كما يلي :

الصلاة والركوع والسجود – الذكر (الثناء – الحمد – التسبيح – الدعاء – الاستغفار) – الإنفاق والصدقة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – الجهاد "[2]"

[1] - أدخلت الأقوال تحت أعمال الجوارح ، باعتبار تقسيمها إلى اعتقاد وعمل أو علم وعمل

[2] - تم اختيار هذه الأفعال دون غيرها وحصرها بحسب ورودها وتعلقها بأفعال الربوبية في القران الكريم

المطلب الأول / الصلاة والركوع والسجود

الصلاة أفعال وأقوال مخصوصة تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم بشروط مخصوصة "[١]"

والصلاة أفعال متضمنة للسجود والركوع ، والذي نريد بيانه هنا أن الصلاة ليست مجرد فعل وقول إنما فرضها الله لتحقيق معنى أعظم وهو المقصود منها ، فاستشعار القلب بعظمة ربه وخضوعه وتذلل الجسد وتواضعه بين يدي خالقه افتقارا له وإظهارا لحاجة المخلوق لربه هو عين العبادة التي يريدها الله من كل مخلوقاته .

فمن الآيات التي تقتضي الصلاة والركوع لربوبية الله جل شأنه ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ "[٢]"

فمراد الآية أنها تدعو إلى الإخلاص لله تعالى في جميع العبادات وصرفها لله خالصة دون غيره ، فكل عمل يعمله الإنسان في الدنيا في حياته ومماته هو لله إذا أصلح وأخلص في الصلاة لأنها أشرف العبادات فإن بصلاحهما تصلح الحياة ويستقيم العبد ويهتدي ويكون الإخلاص ملازما له في سائر أعماله ."[٣]"

ودلالة الآية تكمن في أن ربوبية الله تعالى ورعايته بخلقه وتدبيره لأمور حياتهم وتسخير مخلوقاته لهم ، كيف لا يتحقق فيهم ذلك وهو رب العوالم بما فيها من مخلوقات وربوبيته المطلقة لكل نسمة من مخلوقاته بلا استثناء وتعهدها بالرعاية والعناية والإصلاح تقتضي من عباده مقابلة ذلك بالطاعة والإذعان والاستجابة لتوحيده من باب شكره تعالى .

وأعلى درجات شكر الله تعالى من المعبود أن يتجرد الإنسان في الدنيا عن كل ما يشغله عن الله ليحيا له ومن أجله وابتغاء رضاه ولا يخطو خطوة ولا يقدم على عمل إلا وهو يرجو ثواب الله فيها . وأقرب ما نستطيع قوله أن النفس مجبولة على حب من أحسن إليها وبادرها بالفضل والجود في وقت حاجتها دون سؤال ، فنجدها تكن له الاحترام والفضل وتسمع له وتجيب بل تأبى أن ترد له طلبا

[١] - المنهاج القويم / أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي ص68 ، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف / علاء الدين أبو الحسن علي المرداوي 388/1

[٢] - سورة الأنعام (162)

[٣] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص282

وتتكلف فوق طاقتها وتجتهد إذا سألها شيئا ، فكيف برب العالمين وله المثل الأعلى صاحب الفضل والجود والإحسان .

وأقرب ما نستطيع قوله أن النفس مجبولة على حب من أحسن إليها وبادرها بالفضل والجود في وقت حاجتها دون سؤال ، فنجدها تُكِنّ له الاحترام والفضل وتسمع له وتجيب وتخضع لأوامره وتُعَظّمُه أكثر من غيره ، ولذلك نجد أن العبد قد يدخل على الملك والسلطان فيركع له إجلالا وإكراما وتعظيما لسابق أفضاله عليه .

فكيف برب العالمين وهو الأَوْلى بالركوع أمامه والسجود بين يديه وخضوع القلب في حضرته والتذلل له ، فإن ذلك كله ينشأ بلا تكلف من العباد إذا استشعروا عظمة خالقهم ومعاني ربوبيته لهم وتجلي آثار لطفه ورحمته عليهم .

فكل عبد أو مخلوق يستجيب لأمر الله حبا له وخضوعا إنما هو ممن وفقه الله ليستشعر نعم الله عليه ويعلم فضله ويقابل ذلك بشكره والقيام بواجباته .

ومن هذا يتبين لنا أن ربوبية الله تعالى الشاملة العامة لمخلوقاته تقتضي منهم الصلاة له وحده والإخلاص في سائر حياتهم لأجله . "[١]"

الرزق :

هو اسم لما يسوقه الله تعالى للمخلوق ، وقيل هو كل ما يصل إلى صاحبه بلا كد ولا تعب .

وقال الراغب الأصفهاني : (يقال للعطاء الجاري تارة دنيويا كان أم أخرويا ، وللنصيب تارة ، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة) "[٢]"

ومن الآيات التي تقتضي الصلاة لرزقه سبحانه للمخلوقات ، قال تعالى :

﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ "[٣]"

[١] - من الآيات التي تقتضي الصلاة لربوبية الله العامة (البقرة 45-46 ، آل عمران43 ، الاعراف206 يونس87-88 ، الرعد22 ، الحجر 28-29 ، السجدة15 ، الزمر9 ، فاطر18، الشورى38 ، المزمل20 وغيرها)

[٢] - المفردات في غريب القران للأصفهاني ص351

[٣] - سورة الأنفال (2-3)

بينت الآية صفات المؤمنين الحقة فهم الذين تخشع قلوبهم وتزداد وجلا وإيمانا إذا ذكر الله وإذا تليت عليهم آياته فيزدادون حبا له وثباتا ويقينا على ما هم عليه ويصدقون في توكلهم واعتمادهم عليه في كل شؤونهم ، مما يجعلهم يداومون على الفرائض والنوافل ويحافظون على الصلاة ولا ينسون حقه فيما رزقهم فيخرجون أموالهم تقربا له تعالى مما وجب عليهم أو أُستحب ، ولا يكتمل إيمان العبد إلا إذا تحققت فيه هذه الصفات جميعا ."[١]

ودلالة الآية تتبين في أن العباد لما كانت أفضال الله تعالى تتنزل عليهم وتغمرهم وتحيط بهم من كل جانب وحتى الكافر منهم لا يجد مخرجا إلا أن يعترف برزق الله له وسوقه له من حيث لا يعلم وتيسير حصوله ، فكيف بالعبد المؤمن وقد رزقه الله الهداية والإيمان إذ أن ليس كل إنسان يهدي نفسه ، فيبصر الدنيا ويرى نعم الله عليه وأفضاله التي لا تحصى بين يديه من غير تكلف ، حتى أصبحت عند بعض الناس ليست من الرزق لدوامها عليهم والأمان من زوالها .

والذي أريد الوصول إليه كيف لو استشعر كل عبد هذه الأرزاق بقلبه وشكر الله عليها ، فهل نراه يتهاون فيما أوجبه ربه عليه ، أم يراه ربه حيث نهاه ، كلا والله ؟!

فإن المؤمنين في الآية علموا وأيقنوا خطاب الله تعالى لما خصّ ربهم بالذكر في الآية دون الإله ليشعرهم بأن ربوبيته لهم لن يَعْظُمَ معها شيء ، بل هي التي تدفعهم لكل عمل صالح وتجعلهم ممن يسارعون إليه ، ليكونوا ممن حقق الإيمان وأكمله باستشعار ربوبية الله له ، فجمعوا بين عمل القلب من الخوف والتوكل وبين عمل الجوارح من إقامة الصلاة والإنفاق ، فأنفقوا ليقينهم أن ما في أيديهم هو من رزق الله وضعه في أيديهم فلم يبخلوا فيه على غيرهم ممن احتاجه .

فربوبية الله ورزقه الشامل الواسع تعالى لجميع مخلوقاته تقتضي الالتزام بالطاعات وإقامة الصلوات وتحقيق معنى الإيمان .

[١] - تفسير السعدي ص315

وقد أيد ذلك قوله تعالى ودعا إلى التفكر في رزقه لعباده لما قال :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ "[١]"

فهل يملك الرزق سواه ، وهل يقدر أحد على رزق من أمسك خالقه عنه ومنعه منه ، فهو وحده الذي يملك مفاتح الرزق ومغاليقه ، وكيف يمكن لمن أبصر وتفكر وعلم خالقه ورازقه أن ينصرف عنه إلى غيره أو يعصي أمره ، لأن نِعَمَ الخلق والإيجاد نِعَمٌ تستحق التأمل والتذكر والاستحضار في كل حين وتستوجب الشكر بالتوحيد والإفراد ، وما يستلزم ذلك من العمل القلبي والبدني . "[٢]"

وكذلك الحال في استجابة العباد لأوامر الله لخلقه لهم وملكه وإحياءهم وتدبير أمورهم وسائر أفعال ربوبيته .

فأما الخلق :

هو التقدير والإبداع والإيجاد ، وقيل هو إيجاد الشيء من الشيء ، أو الإيجاد على غير مثال سابق وهو الذي يكون لله وحده . "[٣]"

ونعمة الإيجاد والخلق في الدنيا لا يساويها شيء ، فقد أوجد الله تعالى مخلوقاته من العدم وأخرجهم إلى الحياة ، وصورهم في أحسن صورة وأكمل هيئة ، ثم دعاهم بعد ذلك إلى النظر والاعتبار في أصل خلقتهم وطبيعتها ومكوناتها وأطوار نموها ، ليستدلوا بكل ذلك عليه ، وليعلموا بعدها أن الخلق لم يكن عبثا ولا لهوا بل لغاية وحكمة

كما قال تعالى : **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾** "[٤]"

ومن خلال الغاية من الخلق تظهر الدلالة المراد بيانها والتي يقتضيها الخلق ، فإن المخلوقات والبشر خصوصا إذا أيقنوا واستشعروا هذه النعمة استطاعوا معرفة من الأحق بالعبادة ومن الأجدر بالإتباع والطاعة ، لأن أقل ما يمكن تقديمه للخالق الاعتراف بربوبيته .

[١] - سورة فاطر (3)
[٢] - من الآيات في هذا المعنى (البقرة 3، طه132 ، الشورى38 ، الرعد22) وغيرها
[٣] - المفردات في غريب القران للأصفهاني ص296
[٤] - سورة الذاريات (56)

ومن الآيات التي تقتضي الالتزام بالصلاة والسجود لخلقه ، قال تعالى :

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ "[١]"

وقد بينت الآيتين أن الله تعالى لما أمر بإقامة الصلاة وتقواه كان ذلك لعدة أمور :

الأول / أن المرجع والمصير والحشر بيده وحده لذلك وجب إقامة الصلاة والتقوى استعداد للوقوف بين يديه في يوم الحشر والنجاة من عقابه

الثاني / أن خلق السماوات والأرض بالحق يقتضي من العباد الالتزام بكل أوامره تعالى والاستجابة له

الثالث / ملك الله تعالى للعباد والمخلوقات جميعا يقتضي منهم الطاعة وإقامة الصلاة وغيرها ."[٢]"

فالله تعالى لما أخبر أن السماوات والأرض ما خلقت إلا بالحق ، بيّن ما هو هذا الحق وهو المذكور في قوله (**وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون**)

والذي يدور حول الأمر والنهي والثواب والعقاب ، فالعبادة أمر والشرك بالله نهي وجميع العباد محاسبون يوم القيامة بالثواب والعقاب بحسب أعمالهم ، وهذا ينبغي ويستلزم منهم الإقبال على الطاعة والعبادة وإقامة الصلاة على وجه الخصوص كونها أول الواجبات وأهمها ، لنعلم من خلال ذلك أن خلق الله تعالى للسماوات والأرض وما فيهما وما سخر فيهما من النعم في العالمين ، وخلق العباد وإيجادهم في هذه الدنيا بالإضافة إلى هدايتهم والاعتناء بهم وكل ما يرونه أمامهم من ربوبية ربهم عليهم تقتضي منهم إقامة الصلاة بواجباتها وأركانها وشروطها كما أراد منهم خالقهم تعالى إكراما وشكرا له على أفضاله السابقة .

---

[١] - سورة الأنعام (72-73)

[٢] - دلت الآية على أمور أخرى لكني اكتفيت ببيان أفعال الربوبية فقط دون غيرها .

وكذلك فإن من الطبيعي أن الله تعالى مدام خالقا أوجد من العدم فلا شك أنه مالك ومتصرف وقادر على كل شيء ، يقضي بينهم بما يشاء وكيف يشاء ، مما يجعل العبد يدرك هذه الحقيقة ويستسلم لها وينقاد للحق الذي خلقه الله لأجله .

وهو الأمر الذي يريده الله تعالى من مخلوقاته حيث أن استشعارهم لنعمة الخلق والرزق والملك يقتضي منهم الاعتراف والتسليم بربوبيته تعالى وفعل ما يستلزم منها ومن مقتضياتها عامة حيث جاء الأمر بالصلاة بعد الاستسلام بالربوبية في قوله (**وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه** ....)

فإذا وُجِدَ الأساس ورسخ في القلب سَهُلَ بعد ذلك فعل ما بعده من الأوامر والطاعات ."[1]"

والخلاصة مما ذكرنا

أن خلق الله تعالى يقتضي من العباد الصلاة والركوع والسجود لأجل ربوبيته تعالى ."[2]"

وكذلك الأمر في الملك :

هو المتصرف في الأمر والنهي ، وقيل هو اسم لكل من يملك السياسة والذي يتولى الأمر وله الحق فيه وهو المتصرف في الحكم وفي زمام الأمور . "[3]"

فإن خالق العباد مالكهم بلا ريب ، والمالك يقتضي ملكه أن يكون أمره مطاعا وكلامه مسموعا وهذا الأمر معهود في عرف البشر ، فالملك بيده ما لا يملكه كثير من الناس كالسلطة والمال والجاه والأعوان ولا يتجرأ أحد رفض أوامره أو الاعتراض عليها .

فكيف إذا كان هذا الملك يملك أضعاف ما يملكه ملوك الدنيا ، بل إن بيده ما لا يستطيعون فعله لأحبابهم ولو كانوا أقرب الناس إليهم من دفع الضر وجلب النفع ومنع الأجل إذا جاء موعده .

فإن المخلوقات والعباد عموما إذا علموا ذلك من رب العالمين توجهوا بقلوبهم إليه وانقادوا له حبا وشوقا لما يقتضيه ملكه معهم ، فهو ينعم ويرزق وينصر ويلطف بأحوالهم ويعلم بها فيلبي لهم

---

[1] - في ظلال القران لسيد قطب 1133/2-1134

[2] - من الآيات التي تقتضي الصلاة أو السجود لخلقه (إبراهيم31-32 ، الحجر28-29 ، العنكبوت44-45 ، الروم30-31 ، فصلت37)

[3] - المفردات في غريب القران للأصفهاني ص774-775

حاجاتهم قبل أن يطلبوها ، لذلك تسللت محبته إلى قلوبهم بلا إذن وانقادت جوارحهم طواعية وأحبوا كل أمر من مالكهم ولم يفكروا قط في معارضة أمره وارتكاب نهيه .

وهذا ما أردنا بيانه فإن ملك الله تعالى للعباد واستشعارهم لذلك يخلق في أنفسهم حبا وتعظيما وإجلالا لسيدهم فتستجيب جوارحهم وتركع جباههم وتسجد تواضعا له جل شأنه ."[١]"

[١] - من الآيات التي تقتضي الصلاة أو السجود لملكه (الأنعام72-73 ، النور41-42)

المطلب الثاني / الذكر

الذكر ضد النسيان ، وهو هيئة للنفس يمكن بها للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة ، والحفظ يكون بالحرز والذكر بالاستحضار ،

لذلك قيل الذكر ذكران بالقلب وباللسان وبهما معا وهو الأكمل ."[1]"

فالذكر باللسان التلفظ بالذكر قولا كالتسبيح والتهليل والاستغفار والحمد والدعاء ، وبالقلب كالثناء والتعظيم واستحضار ذلك كله عند الذكر باللسان واستشعاره يكون قد جمع ووصل إلى أعلى درجات الذكر وأكملها كما ذكرنا .

بل المراد من ذكر الله التعظيم والتذلل والتضرع والخوف وان كان غير ذلك لم يكن ذكرا بل هي غفلة نعوذ بالله منها وقد تكون سوء أدب مع الله كون اللسان يذكر الله وقلبه معلق بغيره ."[2]"

وقد ورد الذكر في القرآن بمعان عدة منها ما ذكرنا آنفا وأخرى كالصلاة والطاعة والقران وكتب الأنبياء وغيره .

وسنقتصر هنا على المعاني التي قرنت بمجال بحثنا أو ذكرت في كتاب الله مقرونة بآيات الربوبية ، ونبين من خلالها كيف أن ربوبية الله تعالى وخلقه للمخلوقات وملكه لهم ورزقه يقتضي من العباد ذكر ربهم بسائر أنواع الذكر ومعانيه .

فمن الآيات التي تقتضي الذكر لربوبيته العامة ، قال تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ "[3]"

فالآية تبين أن الله تعالى أمر عباده بذكره في أنفسهم إشارة إلى الإخلاص في الذكر القلبي واقترانه باللسان ، مع الخوف والوجل من الله تعالى .

ووجه الدلالة من الآية أن الله تعالى جعل لفظ الربوبية في قوله (واذكر ربك) ولم يقل إلهك ، وذلك لكونه لفظا دالا على معاني الرحمة واللطف والفضل من رب العباد حيث يشعر العبد بأن ربوبية ربه

---

[1] - المفردات في غريب القران / أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني ص328

[2] - في ظلال القران لسيد قطب 1427/3

[3] - سورة الأعراف (205)

عليه تجبره وتفرض عليه سؤاله والخضوع بين يديه والتضرع إليه وإخلاص الدعاء والعمل ، كونه اقرب إليه من غيره فيشعر مع ذلك بالخوف والوجل مع الرجاء فيكتمل إيمانه مستشعرا أن ذكره لربه ليس فقط امتثالا للأمر إنما حبا له ، والمحبوب إذا أحب حبيبه ذكره على الدوام وظل متأملا لقائه متشوقا لرؤيته متذللا أمامه وعند الجلوس بين يديه وهذا الذي يظهر على كل من استشعر أفضال ربوبية ربه عليه وأدرك مدى لطف خالقه ورحمته به ."[1]

وقال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** ﴾ "[2]

وقال أيضا : ﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴾ "[3]

ففي الآيتين اقترن الذكر بربوبية الله تعالى وجاء الأمر به بناء على ربوبيته تعالى الشاملة ورحمته الواسعة ولطفه وفضله الذي عم جميع الخلائق بلا استثناء ، فلما كان العبد فقيرا ضعيفا محتاجا إلى من يقضي له حوائجه جاء التخصيص بالرب دون الإله حال النسيان والغفلة وعند الغروب والشروق ، فإن ذكر الله يزيل الغشاوة عن القلب والغدو والآصال تذكر العبد بربوبية خالقه وتسخير الكون بأكمله له ، وخص بذلك أول النهار وآخره فإن طلوع الشمس وإشراقها وشعاعها الذي ينير الأكوان وظلالها المتعددة المنافع كفيل بأن يتذكر الإنسان ربه إذا شاهد ذلك ، وكذلك مغيبها وراء الأفق إلى أن تختفي تدريجيا ثم تعود مرة أخرى في اليوم التالي إلى أن تنتهي الحياة ، كونها من أعظم الآيات الدالة على وجوده تعالى والتي لا يمكن لأحد إنكارها أو نسبتها لغيره ، فكانت الإشارة والأمر بالذكر مقرونا بها لإيقاظ الحكمة من ذكره ومعرفة فضله ومن ثَم استجابة قلبه فيخشع ويلهج بذكر الله تعظيما وحبا له ولهذا السبب استحق أن يكون غافلا من أعرض عن ذلك ولم يتبصر إلى مراد خالقه منه فقال (ولا تكن من الغافلين) فنهاه عن الغفلة وأمره بالذكر حال النسيان ، لأن الحكمة من الوجود في الدنيا تحقيق ذلك وتعظيم الله وذكره وعبادته بما يستحق .

---

[1] - مفاتح الغيب للرازي 442/15

[2] - سورة الكهف (24)

[3] - سورة الإنسان (25)

وجاء في آيات آخر (بالعشي والإبكار – بكرة وعشيا – قبل طلوع الشمس وقبل غروبها – من آناء الليل فسبح وأطراف النهار)

وجميعها تؤدي لغرض واحد ، فكان تكرار الآيات التي تدعو إلى ذكر الله وحمده أو تسبيحه عند الإشراق أو المغيب للسبب الذي وضحنا ، وأيضا لأنهما مفتتح اليوم ومختتمه فلو حافظ عليهما العبد في تلك الأوقات فإن ربه كفيل بأن يحفظه ويقضي يومه وليلته في حفظ الله ورعايته .

فالذكر إذاً أحد مقتضيات ربوبية الله العامة ودليل آثار رحمته وفضله على مخلوقاته . "[١]"

وخلق الله تعالى ورزقه كذلك ليس ببعيد عن ربوبيته ، بل هو أحد دلالاتها ، وجاءت الآيات في القران الكريم التي تبين أن رزق الخالق تعالى لعباده يقتضي أمورا كثيرة منها ذكره تعالى حيث قال :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ "[٢]"

بينت الآية أن الله تعالى شرع لكل الأمم ذبح المناسك وذِكْرُ اسم الله عليها ، وهذه النسك هي من أرزاق الله تعالى عليهم من الأنعام التي أحلت لهم ، وهي أيضا دليل اجتماع جميع الرسل على قضية واحدة وهي الألوهية التي جاءوا وبعثوا لأجلها عبادة الله وحده دون الإشراك به ، وحتى يكون الإخلاص مصاحبا لهم ويكون الذبح لوجهه تعالى أمرهم بالاستسلام له وحده وبشرهم إذا هم أخلصوا وتواضعوا له بما يسرهم . "[٣]"

أما وجه الدلالة فظاهر من خلال أنه تعالى أراد أن يبين لعباده استحقاقه للذكر وشكره على النعم لكونه رازقا لهم .

[١] - من الآيات التي تقتضي الذكر لربوبيته العامة تعالى (البقرة198 ، آل عمران41-191 ، الأنفال2-4 ، الإسراء46 ، الكهف24 ، المزمل9-8 ، الإنسان25) وغيرها .
[٢] - سورة الحج (34)
[٣٣] - تفسير القران العظيم / أبي الفداء إسماعيل بن كثير 424/5

فالله تعالى لما يسر لعباده أداء النسك ووفقهم لإتمام الشعيرة أراد أن يجعلهم يذكرونه بقلوبهم حبا وتعظيما واستشعارا لعظمته ، فهو جلّ شأنه يريد أن يخبرهم أن رزقه وتيسيره لهذه الأنعام والهدي تقربا إليه له علاقة بذكره .

إذا أن المقصود من النحر ليس النحر نفسه أو إتمام لأمره تعالى بل هناك ما هو أعظم من إقامة الذكر وإحساس القلب وإيقاظ معاني ربوبية ربه عليه ، كأنه يقول له رزقتك فاذكرني ، فلو استشعر هذا المعنى كل متقرب إلى الله بهديه حقق مراد خالقه من ذلك وكان ممن توجهت جوارحه وأذعنت لربها واستسلمت تواضعا لكل ما أمر به وأحلصت ولم تجعل له شريكا في عبادته بل توقن فوق ذلك أنه من الظلم أن يرزقها ربها ثم لا تذكر فضله وتجعل له شريكا في العبادة معه ."[1]"

فتبين لنا من خلال ما ذكرنا أن رزق الله تعالى لعباده يقتضي منهم ذكره بكل معاني الذكر الدالة على شكره ."[2]"

- **ومن معاني ذكر الله تعالى الثناء عليه** جلّ شأنه حيث جاءت الآيات في كتاب الله تبين ذلك وأن أفعال ربوبيته أيضا تقتضي الثناء عليه .

والثناء فعل ما يُشعر بالتعظيم ، أو هو الإتيان بما يشعر بالتعظيم مطلقا سواء كان بالقلب أو باللسان أو الجوارح

وقيل الكلام الجميل والذكر بالخير ."[3]"

وقد أثنى جلّ شأنه على نفسه ثناء سبحانه لم يثني عليه مثله أحد من خلقه حيث قال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ "[4]"وغيرها كثير .

[1] - في ظلال القران لسيد قطب 2420/4
[2] - من الآيات التي تقتضي الذكر لخلقه (فاطر3 ، آل عمران 190-191 ، المزمل 8-9 ، يونس 3 ، النحل13 ، السجدة4) وغيرها
[3] - التعريفات / علي بن محمد الجرجاني ص72 ، والكليات / أيوب بن موسى الكفوي ص324
[4] - سورة غافر (64)

فالآية تشير إلى ثناء الله تعالى على نفسه بمقتضى رزقه وخلقه لعباده ، حيث كان له الفضل عليهم في إيجادهم وتصويرهم في أحسن صورة وأكمل هيئة ، وسخر لهم الأرض فجعلها منزلا وقرارا وبساطا حال حياتهم وبعد مماتهم ، والسماء بناء وسقفا محفوظا من فوقهم تتنزل عليهم منها رحماته وبركاته عليهم وفوق ذلك رزقهم وأحسن إليهم وساق لهم الطيبات إكراما لهم ، ولا شك أن من كان هذا فعله فإنه يستحق أعظم من الثناء والتقدير والتعظيم والمديح .

ودلالة الآية تظهر من خلال استشعار هذه النعم ومعرفة أفضال الخالق وربوبيته التي عمت الخلائق بلا استثناء ، والتي ما زال سبحانه يفيض بها عليهم مع مبارزتهم إياه بالمعاصي وجحودهم ونكرانهم لفضله .

والله تعالى لم يذكرهم بهذه النعم ويكثر من تكرارها عليهم عبثا بل لغرض توجههم إليه ببصيرتهم ومعرفة حق ربوبيته بالتصريح لهم بقوله (**ذلكم الله ربكم**) فهو وحده الرب والمدبر والقائم بما تعلمون فهو من يستحق الوحدانية والألوهية والفضل ، حيث كان الثناء عليه تعظيما وإجلالا أحد مظاهر ربوبيته التي تدعو إلى الاعتراف بحقه والتسليم لذلك ، وفاعل ذلك كله يستحق أكثر من ذلك فتبارك ربنا وتقدس وتجلى لعظمته وسلطانه وملكه ."[1]

وقد تبين لنا من خلال ذلك كيف أن رزق الله تعالى وخلقه لعباده يقتضي منهم الثناء عليه وتعظيمه وإجلاله كما أثنى على نفسه .

والأمر نفسه في خلقه ورزقه وملكه وتدبيره تعالى

وما يقتضيانه من الذكر ومعانيه وبقية أفعال ربوبيته ."[2]

---

[1] - في ظلال القران لسيد قطب 3094/5 ، مفاتح الغيب للرازي 530/27

[2] - من الآيات التي تقتضي الثناء عليه لربوبيته (الأنعام57 ، الأعراف45 ، يونس108 ، الكهف64-65) وغيرها ولرزقه (آل عمران26-27 ، الحج77-78 ، المؤمنون72 ، العنكبوت52) وغيرها ولخلقه (المؤمنون12-14 ، الفرقان1-2، 58-59 ، يس80-83 ، الذاريات47-51) وغيرها ولملكه (آل عمران26-27 ، الإسراء111 ، الفرقان1-2 ، يس80-83 ، الزخرف85 ، الملك1) وغيرها .

- **الحمد أيضا أحد معاني الذكر** التي كثر ذكرها في كتاب الله تعالى ، ومن ضمن ما أثنى به المولى على نفسه .

قال ابن القيم في معناه : (الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبّه وإجلاله وتعظيمه) "[١]"

والحمد ثناء مقرون بالحب والتعظيم والتمجيد أو قد يكون في مقابل النعمة وذكر الفضيلة ."[٢]"

وجاء من الآيات في كتابه تعالى ما يبين أن الله بفضله وربوبيته مستحق للحمد والثناء والتعظيم بجميع صفات الكمال

قال تعالى في أول كتابه : **﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** "[٣]"

فرب العالمين هو المربي لجميع العوالم بما فيها من المخلوقات من خلال إيجادهم أولا وتحسين هيئتهم وأشكالهم بما يتناسب لقضاء حاجاتهم والانتفاع بها ، يربيهم بها ويرعى مصالحهم ويقوم على شؤون حياتهم كافة ، فعامة خلقه من الإنس والجن والدواب وسائر الحيوان وغيرهم شملتهم ربوبيته من الرزق والهداية والمنافع والمصالح التي تحفظ نوعهم وتكفل لهم البقاء في الدنيا ، أما خاصة ربوبيته فقد كانت لمن قادته بصيرته لمعرفة مراد خالقه وإدراك الحكمة من خلقه والغاية من وجوده فهداه خالقه إليه واستسلم قلبه لربه ومولاه وانشغلت جوارحه بالانقياد تعظيما وحبا وثناء فكان من المؤمنين الموحدين الذين أُحْسِنَت عاقبتهم في الدارين ، وعلموا أيضا أن رب العوالم مستحق بفضل ذلك كله للحمد ومستحق لإظهار أنواع المحامد له تمجيدا وإجلالا لقدره ومقامه .

وما ذكرنا يبين كيف أن أفعال ربوبيته جل شأنه تقتضي ذكره على الدوام بالثناء والحمد والحب والتعظيم في كل حين ."[٤]"

والرزق والخلق والملك كذلك فإن الله تعالى أوجد المخلوقات في الدنيا وأحسن تصويرهم وتقدير أشكالهم وهيئاتهم في صور متقنة تعجز الأنفس بلوغها ، ورباهم بفضله وإحسانه واعتنى بهم وسخر عظيم مخلوقاته لنفعهم ، فساق الأرزاق إليهم وقربها بين يديهم وهداهم بما خلق فيهم من قدرات

---

[١] - بدائع الفوائد / لابن قيم الجوزية 93/2

[٢] - التعريفات للجرجاني ص93 ، والمفردات في غريب القران للأصفهاني ص256

[٣] - سورة الفاتحة (2)

[٤] - من الآيات التي تقتضي الحمد لربوبيته العامة (الأعراف43 ، يونس10 ، ابراهيم39 ، النمل93 ، العنكبوت63 ، الزمر75 ، الجاثية45) وغيرها .

تمكنهم من معرفة ما يضرهم فيبتعدون عنه وما ينفعهم فيستفيدون منه ويحافظون عليه ويعلمون من خلاله سبل البقاء ، ومن كانت له القدرة على ذلك وأكثر مما لا يُحصى من النعم لزم ، أن يكون ملكا متصرفا فيمن تحته قائما عليهم وعلى تدبير أمورهم واللطف والرحمة بهم كل تلك الأفعال منه جلّ شأنه ما هي إلا دلائل وموجبات لمخلوقاته بالتسليم والإذعان والتوحيد ، فإن السعيد من اعتبر بها وعلم أنها لا تقتضي إلا الانقياد بالقلب والجوارح حبا وتعظيما وثناء لله لأن أقل ما يمكن في حقه إتباع أوامره والابتعاد عن نواهيه . "[١]"

- **التسبيح أحد معاني الذكر أيضا .**

أصله التنزيه ، أي تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي وما لا يليق من الصاحبة والولد والشريك والنسب وجميع الرذائل .

وقيل التّسبيح يعني قول سبحان الله ، ويطلق ويراد به جميع ألفاظ الذّكر وجماع معانيه . "[٢]"

وجاءت الآيات في كتاب الله والتي تبين أن التسبيح أحد مقتضيات ربوبية الله تعالى حيث قال :

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ "[٣]"

أشارت الآية إلى تنزيه الخالق تعالى عما وصفوه به الجاهلون من الافتراءات حيث نسبوا له الولد وجعلوا الملائكة بناته – تعالى الله عما يقولون – فربوبيته جلّ شأنه تتنافى مع وصفهم ، فهو الذي عز فقهر كل شيء واعتز عن كل سوء يصفونه به ."[٤]"

ودلالة الآيات ظاهرة كمن خلال فضل الله تعالى وعظم شأنه وحقه ، فهو الخالق الموجد من العدم والمصور المتقن في أبهى الصور ، ثم إن رعايته وتربيته لعموم خلقه وتقلبهم في نعمه من التسخير والتدبير واللطف والرحمة والقدرة والعظمة وكل مظاهر الربوبية آثار واضحة على عقلاء خلقه ، ويستحيل إنكارها وجحودها بل يلزم معها التسليم والتوحيد الذي علموا به أن خالق ذلك كله

---

[١] - من الآيات التي تقتضي الحمد لرزقه (النحل75-76 ، العنكبوت62-63 ، غافر64-65) ولخلقه (الأنعام1 ، النمل59-60 ، لقمان25، الروم18-22 ، فاطر1، التغابن1-3) ولملكه (الفاتحة2-4 ، الإسراء111 ، التغابن1-3)

[٢] - فتح الباري شرح صحيح البخاري / احمد بن علي بن حجر العسقلاني 206/11

[٣] - سورة الصافات (180)

[٤] - تفسير السعدي ص709 ، جامع البيان للطبري 133/21

ومدبره واحد لا شريك له ، وأيقنوا من جريان تصاريفه عليهم أنه لا يمكن أن يتصف مع ذلك بالنقص ، ويكون له الولد أو الزوجة لأنهما دلالة ضعف يلجأ المخلوق إليهما ليكمل بهما حياته ، لذلك تعذرت أن تكون في حق خالق قدير عظيم بقدره جلّ شأنه وتقدست صفاته وأسمائه .

فمن علم في ربه كل ذلك أحبه واستعظم قدره وتذلل وخضع أمام قوته وجبروته وملكه ونزهه عن كل نقص وعيب وجده في نفسه وهو الضعيف الفقير مما لا يليق أن يكون في مقامه وهو مخلوق ، فما بالك بمن يصفونه بما يكرهونه لأنفسهم من البنات .

فاستحق ربنا في هذا المقام أن يسبح تسبيحا ينزهه عن كل وصفه به الجاهلون ، ويوصف بأعلى وأكمل الصفات التي تتناسب في حقه فهو بعزته وقهره وسلطانه عزيز عما يفترونه عليه ، لأن ربوبيته وفضله يقتضيان التنزيه من الشريك والولد وكل عيب ونقص ."[1]"

وكل أفعال ربوبيته كذلك من الخلق والرزق والملك تقتضي تسبيحه وتنزيهه ، فالمخلوق مأمور بالخضوع والركوع بين يديه في صلاته منزها خالقه بقوله سبحان ربي العظيم ، ثم يسجد له واضعا جبهته في الأرض في أدنى المقامات التي يصف معها ربه بالعلو والتنزيه والتعظيم الذي يستحقه فيقول سبحان ربي الأعلى . "[2]"

إنها والله لمعانٍ لو استحضرها كل مخلوق لعاف الدنيا بما فيها إلا ما يقربه إلى ربه ويذكره به وانتظر بشوق أجله ليلقي ربه .

وجاءت الآيات أيضا التي تجمع بين الحمد والتسبيح وأنها مما تقتضيه ربوبيته وفضله .

قال تعالى على لسان ملائكته : ﴿ **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾ "[3]"

قال تعالى : ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ** ﴾ "[4]"

وقال أيضا : ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾ "[5]"

---

[1] - من الآيات التي تقتضي التسبيح لربوبيته العامة (الأعراف206 ، الإسراء93 ، الروم17-19 ، الحاقة52 ، الإنسان25-26 ، الأعلى1-5) وغيرها

[2] - من الآيات التي تقتضي التسبيح لخلقه (آل عمران190-191 ، القصص68 ، الروم17-22 ، يس36 ، الزخرف12-14 ، الحشر23-24) وغيرها ولرزقه (النحل56-57 ، طه130-132 ، النور36-38 ، الروم40) وغيرها ولملكه (النور41-42 ، الحشر23-24 ، الحديد1-2 ، الجمعة1) وغيرها .

[3] - سورة البقرة (30)

[4] - سورة الحجر (98)

[5] - سورة النصر (3)

وجاء اقتران التسبيح بالحمد في السنة النبوية في أحاديث لا حصر لها ، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال : ((**كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم**)) "[1]"

وجاء في فضلها عنه ﷺ أنه قال : ((**من قال** : **سبحان الله وبحمده** ، **في يوم مائة مرة** ، **حطت خطاياه** ، **وإن كانت مثل زبد البحر**)) "[2]"

وقال : ((**إن أحب الكلام إلى الله** : **سبحان الله وبحمده**)) "[3]"

ولعل الحكمة من ذلك أن التسبيح هو تمام الحمد ، والحمد إخبار عن محاسن المحمود حبا وتعظيما ، وهو حمد يتضمن الثناء على الله بكماله القائم بذاته تعالى ، والمحاسن الظاهرة في مخلوقاته ، وعلى هذا فإن التسبيح بالحمد اقتران به ذكر لصفات الكمال والجمال أو ذكر للأفعال المقدسة الدالة على الكمال أو بهما معا .

وهذا الاقتران يفيد ثلاثة أمور :

الأول / تأكيد لمعنى التعظيم المتضمن في التسبيح فيتذلل العبد غاية الذل تعظيما للمُعَظّم .

الثاني / ذكر المحاسن والمحامد التي يستحق بها أن يحب بغاية الحب ، وبذلك يجتمع أصلا العبادة غاية الحب وغاية الذل

الثالث / أن الحمد إثبات للكمالات والتسبيح يتضمن التنزيه وهو نفي ما يناقض تلك الكمالات ، وذلك هو الذي يحبه الله ، كونه تسبيحا ملبسا بالحمد لِيُعْلَم ثبوت الكمال له نفيا وإثباتا ."[4]"

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (التسبيح والتحميد" يجمع النفي والإثبات ؛ نفي المعايب وإثبات المحامد ، وذلك يتضمن التعظيم) "[5]"

---

[1] - أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الأيمان والنذور / باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم ../ح6682/ج8/ص193

[2] - نفسه ، كتاب الدعوات / باب في فضل التسبيح /ح6405/ج8/ص86

[3] - أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء / باب فضل سبحان الله وبحمده /ح2731/ج4/ص2093

[4] - فضل الحميد المجيد في فضل وفوائد ومعاني التحميد / أبو عبد الرحمن سلطان علي ص40

[5] - قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات / تقي الدين أبو العباس بن تيمية ص22

يقول ابن كثير "[1]" في تفسير قوله (سبحان ربك رب العزة ... والحمد لله رب العالمين) :
(ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ، ويستلزم إثبات الكمال ، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة ، ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما في هذا الموضع ، وفي مواضع كثيرة من القرآن) ."[2]"
والخلاصة أو الحكمة من ذلك ما بينا أن التسبيح تنزيه وتقديس لله تعالى عن كل وصف لا يليق والذي يلزم معه إثبات استحقاقه تعالى للحمد والثناء والإجلال والتقدير معه ، فالتسبيح تنزيه والحمد ثناء وتعظيم .

- **الدعاء من معاني الذكر** الذي يعتبر أحد مقتضيات الربوبية والتسليم بها .

والدعاء نداء وهو إظهار غاية التّذلّل والافتقار إلى الله والاستكانة له "[3]"
وقيل : هو لسان الافتقار بشرح الاضطرار ، أو هو طلب كشف الغمّة بتطلّع موضع القسمة ."[4]"
فالغاية أو الحكمة من مشروعية العبادات هي الخضوع للباري وإظهار الذل والحب الافتقار إليه الذي من خلاله يكون كشف الغمة ورفع البلوى .
ومن الآيات التي تقتضي الدعاء لربوبية الله تعالى وكذلك لرزقه قال تعالى : **﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾** "[5]"

حيث بينت الآيات أن صفات المؤمنين الذين آمنوا بالله إيمانا حقيقيا ، فانقادت قلوبهم وجوارحهم بالخضوع والخشوع والسجود ، وارتفعت جنوبهم عن مضاجعهم فتركوا لذة الفراش إلى ما هو خير وأَحب من ذلك لملاقاة ربهم ومناجاته ودعاءه بما يتمنون في دنياهم وآخرتهم ، ومع ذلك يخشون منه

[1] - أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي الحافظ المؤرخ ولد في بصرى عام 701هـ ، رحل وتنقل في طلب العلم ، له مصنفات عدة من أبرزها البداية والنهاية وطبقات الفقهاء الشافعيين وتفسير القران العظيم والاجتهاد في طلب الجهاد والباعث الحثيث والسيرة النبوية ، توفي بدمشق عام 774هـ . راجع الأعلام للزركلي 320/1 .
[2] - تفسير ابن كثير 46/7
[3] - فتح الباري لابن حجر 95/11
[4] - التوقيف على مهمات التعاريف / زين الدين عبد الرؤوف المناوي ص166
[5] - سورة السجدة (16)

تعالى ومن عقابه ألا يَقْبَل منهم ، وطامعين منه الأجر والمثوبة والعاقبة الحسنة على إيمانهم ، وعلى نفقاتهم حيث لا يبخلون في أداء ما وجب عليهم وما أُسْتُحِب منهم مما تفضل به ربهم عليهم من الرزق ، فأدوه كاملا من الصدقات والنفقات والزكوات والإحسان على أنفسهم وأهلهم إلى غيرهم ".[١]

ودلالة الآيات تظهر من خلال معرفة هؤلاء المؤمنين أن أعمالهم من السجود لله والتسبيح والحمد هي إحدى ثمرات تعظيمهم لربهم وحبهم له واستشعارهم بنعم ربوبيته عليهم من اللطف والرحمة والإحسان والتوفيق والذي نالوا به هذا الشرف وهذا الفضل ، فأعظم النعم التي أوتوها من ربهم هي اختيارهم من بين كافة خلقه للوقوف بين يديه والتضرع إليه في أحب الأوقات التي يكون فيها خالقهم أقرب ما يكون وقد دنا إلى السماء الدنيا ينتظر عباده ليجيب دعواتهم ويغفر زلاتهم ويعطهم سؤلهم ، وعلموا أنه ما أقامهم بين يديه إلا لذلك ، فآثروا الدنيا بما فيها حبا له وتعظيما ، حتى ما يقيم صلبهم من الرزق لم يكن لهم وحدهم بل أنفقوه لمن هم أشد حاجة له من الفقراء والمساكين ، لعلمهم أن من ساق الرزق إليهم ويسر لهم أسبابه وطرق حصوله قادر على إعطائهم أفضل منه ماداموا سببا في رزق غيرهم .

فاستحضار ربوبية الله تعالى ونعمه وتيسيره الرزق يخلق في النفس التعظيم له تعالى والحب والتقدير الذي من خلاله ينشأ في النفس الاستجابة المباشرة فيخضع القلب ويخشع وتستجيب الجوارح فتسجد الجباه بين يديه وتأبى الأعين أن تتلذذ بالرقاد وربها يدعوها إليه ، وهي تعلم حاجتها وذلها وضعفها وافتقارها إليه وأنها لن تغتني إلا به ولن تشبع إلا إذا أطعمها برزقه وسخر لها من حيث لا تعلم ودبر لها أمورها وقام على رعايتها وهدايتها وانعم عليها بما لا يُحصى .

فالنفس عادة لا تلجأ إلا عند من تشعر بالأمان في مقامه ولا تسأل أو تطلب إلا عند من تثق بأنه لن يردها ، ولن تُنْزِل حاجتها إلا عند من تتأكد أن حاجتها موجودة عنده ولن تنقص من ملكه شيئا إن لبى لها ، وهي أيضا مع ضعفها تركن إلى القوي الذي يأخذ بحقها ، ولفقرها تركن إلى الغني

[١] - تفسير السعدي ص655

الذي لا يفتقر ، ولأنها ظُلِمت تلجأ إلى الناصر الذي لن يهزم عنده أحد ، لذلك نجد المخلوقات يرفعون حاجاتهم إليه ويتذللون بين يديه فإن ربا قد اتصف بكل ذلك وأكثر لا يُمْكِن أن يخذل أو يرد سائله وطالبه .

ومن هنا علمنا حاجة المخلوقات والأمر الذي يدفعهم إلى اللجوء إلى ربهم والخضوع إليه ورفع حاجاتهم والقيام في أحب الأوقات إليه وسؤاله وهذا ما تقتضيه ربوبيته وهو ما أردنا الوصول إليه .

وهذا الذي تقتضيه ربوبيته جل شأنه ،

وكذلك في بقية أفعال ربوبيته من **الخلق والملك** وغيرها . "[1]"

- **الاستغفار أحد معاني الذكر**

وهو من طلب الغفران ويعني تغطية الذنب بالعفو عنه .

والمغفرة من الله أن يصون العبد من أن يمسه العذاب ، والاستغفار طلب المغفرة بالمقال والفعال ."[2]"

ومن الآيات التي تقتضي الاستغفار لربوبية الله وفضله ، قال تعالى :

﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ "[3]"

يأمر الله تعالى عباده بالتوبة والإنابة والرجوع إليه والاستغفار بعد وقوعهم في الشرك وعبادة الأصنام وما صدر منهم من الذنوب ، فإنهم إن تابوا وعادوا إليه متعهم ورزقهم من متاع الدنيا ما ينتفعون به وما يشتهونه إلى أن يأتي وقت أجلهم .

---

[1] - الآيات التي تقتضي الدعاء لربوبيته تعالى : (البقرة67-69 ، آل عمران8-9(38-41)(191-194) ، يونس88-89 ، إبراهيم35-41 ، الشعراء83 ، الصافات100، غافر65) وغيرها ولرزقه (البقرة60-61 ، آل عمران37-38 ، يونس88-89 ، غافر13-14 ، فصلت51 ، الحديد7-8) ولخلقه (الأعراف 54-56(189-191) ، الاحقاف3-5) ولملكه (يونس66) وغيرها .

[2] - المفردات في غريب القران للأصفهاني ص609

[3] - سورة هود (3)

فيجازيهم بالإحسان والبر والفضل جزاء إحسانهم له من حصول ما يحبون ودفع ما يكرهون ، فإن أعرضوا وتولوا عن دعوتهم إليه ، فيخشى عليهم من الوقوع في عذاب ربهم وعقابه ومجازاتهم بالشر أعظم منه ."[1]"

ودلالة الآية تكمن في معرفة العباد أن الله تعالى لما تفضل على عباده بالإحسان إليهم بخلقتهم وإتقان هيئاتهم وحسن مناظرهم وتناسق أشكالهم وتسخير الكون لهم بكل معانيه من بسط الأرض ورفع السماء وتثبيت الجبال وخالق البحار والأنهار وإنبات الأرض بأنواع الزروع والثمار وخلق بقية الدواب عليها وجعلها منفعة لهم وغير ذلك من مظاهر رعايته وربوبيته لهم جلّ شأنه ، كان لزاما عليهم بعد كل هذه الدلائل الاهتداء إليه ومعرفة حقه وفضله بالتوحيد والإفراد والتسليم ، لكنهم أنكروا الإحسان والفضل وأعرضوا عن ذلك وأشركوا بعبادة طواغيت وآلهة لا تملك لهم شيئا ولا تنفعهم ولا تضرهم .

ولأن الله تعلى ربهم بما ذكرنا من سابق فضله مستحق للتوحيد والإفراد فقد دعاهم إلى الاستغفار والتوبة لِمَا بدر منهم من الشرك وعبادة الأوثان ، فكان الاستغفار لشركهم ووقوعهم في الذنب العظيم ، والتوبة للندم والرجوع إليه بالطاعة والإخلاص والتوحيد حتى يحقق لهم المتاع الحسن والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة ."[2]"

ومما ذكرنا يتبين أن ربوبية الله تعالى ورعايته للخلائق عامة وللبشر خاصة تقتضي الاستغفار من كل ذنب وخطأ وتقصير في حقه تعالى ولا سيما الشرك كونه أعظم الذنوب .

والأمر مثله في **الخلق والرزق والملك** ومعانيها فإنها جميعا تدل على اقتضاء الاستغفار والتوبة في حقه تعالى كونه مستحق للتوحيد والتسليم والإذعان المستوجب لنفي جميع الشركاء ."[3]"

---

[1] - تفسير الطبري ص376

[2] - تفسير الطبري 230/15

[3] - من الآيات التي تقتضي الاستغفار لربوبيته تعالى : (الأنعام165 ، هود61 ، غافر55 ، فصلت43 ، النجم31-32 ، المزمل20 ، النصر1-3) ولخلقه (آل عمران190-192 ، المائدة18 ، هود51-52 ، إبراهيم10 ، المؤمنون115-118 ، الشعراء78-82) ولملكه (البقرة284 ، آل عمران129 ، المائدة18 ، المؤمنون116-118، الفتح14) ولرزقه (طه81-82 ، الشعراء79-82) وغيرها كثير .

فمن خلال ما ذكرنا سابقا تبين لنا أن الذكر بكل معانيه التي ذكرنا يعتبر احد مقتضيات ربوبيته تعالى ، وان من أحب شيئا أكثر من ذكره واستحضاره بقلبه ولسانه وجوارحه ، وهذا الذي ينبغي أن يكون في حق الله تعالى المستحق للتوحيد والتسليم وكل أنواع العبادات .

المطلب الثالث / الإنفاق والصدقات

والنفقة هي إخراج المال الطيب في الطاعات والمباحات ، وقيل هي سائر المؤن من كسوة ونفقة وسكن على من يعول من زوجة وولد وخادم ."[1]"

والصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزّكاة ، لكن الصدّقة في الأصل تقال للمتطوع والزكاة للواجب ، وقد يسمى الواجب صدقة إذا تحرّى صاحبها الصّدق في فعله ،"[2]" أو هي العطية يُبْتَغَى بها المثوبة من الله تعالى ."[3]"

ومن الآيات التي تقتضي الإنفاق والصدقة لربوبية الله تعالى :

﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ "[4]"

تبين الآية أن الله تعالى لما نهى عباده عن الانشغال بالمال والولد كون النفس جُبِلَت على حبهم ، حذرهم من انشغالهم بها عن ذكره وطاعته ، ثم دعاهم بعد ذلك إلى الإنفاق والتصدق بالأموال التي رزقهم إياها ، قبل أن يأتي الأجل ويأتي اليوم الذي لا مفر منه ، والذي لا ينفع فيه الندم والحسرة أو تمني الرجوع إلى الدنيا وتأخير الأجل حتى يفعل الإنسان ما ينفعه من الصالحات لأن اجل الله محتوم معلوم لن يتقدم أو يتأخر ."[5]"

ودلالة الآية ومقتضاها الذي نريد يكمن في ربوبية الله تعالى والإشارة إليها في الآية بقوله (رزقناكم) ، فالرزق يفقهه كل مخلوق ويعلم من خالقه ورازقه وماذا يعني بالنسبة له ، حتى الأمور التي يمكن أن يحبها الإنسان من الأموال والأولاد والتي قد يتبادر إلى ذهنه أنها من كسبه وتعبه أو على الأقل بسببه هي من جملة أرزاق خالقه ومن فضائل رحمته ولطفه بعباده ، بل هي من تيسير رازقه للحصول عليها أو وصولها بين يديه ، وهذا بلا شك أمرٌ يجعل النفس إذا دُعِيَتْ وأُمِرَتْ بإخراج مال سيدها أو من يعولها لن تتردد أبدا لأنه أولا وآخرا ليس ملكا لها بل هي قائمة عليه وهو كالوديعة عندها ، وكذلك

[1] - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين / محمد بن علي بن محمد الصديقي 116/3
[2] - المفردات في غريب القران للأصفهاني ص 480
[3] - التعريفات للجرجاني ص132
[4] - سورة المنافقون (10)
[5] - تفسير السعدي ص865

كل ما يملكه المخلوق هو ملك لخالقه مستودع عنده لن يبخل به على احد خصوصا إذا جاء الأمر من خالقه بالإنفاق والصدقة لمن هو أشد حاجة له نجد الاستجابة المباشرة مع الشعور بالرضا والسعادة التي تغمر المؤمن لأنه استجاب لأمر سيده أولا ثم لعلمه أنه يخرج مال سيده وليس ماله .

ومن ذلك يظهر لنا كيف أن رزق الله تعالى وبقية أفعال ربوبيته تقتضي الإنفاق والصدقة وإخراج المال في وجوه الخير مما وجب عليه أو أُسْتُحِب ."[1]"

[1] - من الآيات التي تقتضي النفقة لربوبيته (البقرة274 ، آل عمران15-17(133-134) ، الأنفال2-3 ، الرعد22 ، إبراهيم31-33 ، الحج35 ، القصص53-54 ، السجدة15-16 ، الشورى36-38 ، الحديد10)

المطلب الرابع / الجهاد والهجرة وقتال العدو

الجهد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو "[١]" ، وقيل هو الدعاء للدين الحق .

والجهاد والمجاهدة يطلق على النفس والشيطان والفساق والكفار .

وأما الهجرة فهي ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام "[٢]"، ويدخل في ذلك هجران الشهوات والأخلاق الذميمة والخطايا وتركها ورفضها ."[٣]"

وقد جاء في كتاب الله تعالى ما يبين أن الجهد والهجرة أحد مقتضيات ربوبية الله والتسليم له ، قال تعالى :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ "[٤]"

جاءت الآية هذه بعد دعوات كانت من عباد الله المؤمنين يتضرعون فيها إلى ربهم بأعمالهم من إجابتهم لمنادي الإيمان وإتباعهم الرسل بما جاؤوا به لينجيهم ويقيهم عذاب النار ، فاستجاب الله دعائهم وبشرهم بأنه لن يضيع لهم أي عمل مهما كان ، الذكر والأنثى على السواء في الثواب والعقاب ، خصوصا الذين هاجروا أوطانهم وفارقوا أهلهم وديارهم لأجل الإيمان، وقاتلوا أعداء ربهم إعلاء لدينه ، فهم بما عملوا سيغفر الله لهم ويتجاوز عن ذنوبهم وسيئاتهم ويعطيهم بفضله الثواب العظيم في مقابل العمل القليل ."[٥]"

ودلالة الآية التي نحن بصدد توضيحها أنّا لو عدنا إلى بداية الآيات نجد أن هؤلاء المؤمنين قد أثنى الله عليهم واعتبرهم من أولي الألباب الذين قادهم تفكيرهم ودلتهم بصيرتهم إلى الحكمة من خلقهم ووجودهم وقبل ذلك خلق الكون من السماوات والأرض حيث أدركوا أنهم ما خلقوا إلا بالحق الذي يكون على أساسه ومن اجله الثواب والعقاب في الآخرة لمن جاء بالأمر والنهي في الدنيا .

[١] - المفردات في غريب القران للأصفهاني ص208
[٢] - التعريفات للجرجاني ص256
[٣] - المفردات في غريب القران للأصفهاني ص833
[٤] - سورة آل عمران (195)
[٥] - تفسير السعدي ص162

فكانت مخاطبة ربهم بنداء الربوبية استشعارا بمدى فضله عليهم ولطفه ورحمته بهم من نعمة الوجود والتسخير والتدبير إلى نعمة الهداية والإيمان ، فكان كل عمل وكل ذكر وكل دعاء هو اثر لما وقر في قلوبهم من معاني الربوبية والفضل والرحمة ، لذلك كانت الإجابة من ربهم من جنس الدعاء ، فإنهم لما خاطبوه بربنا أجابهم بقوله (فاستجاب لهم ربهم) إشارة إلى أن ربكم الذي أيقنتم وعرفتم مدى استحقاقه لما علمتم جازاكم بما تعلمون منه ، فذكرهم انه لن يضيع لهم عمل لما وجد منهم من الهجرة والقتال كونهما أصعب الأمور وأشقها على النفس والبدن ، فإن مفارقة الديار والوطن ليس بالأمر اليسير وقد جُبِلَت القلوب على حب أوطانها ومسقط رأسها ، لكن هذا يسير على من هاجر لأجل ربه ومن هاجر لأجل عقيدته ودينه مستشعرا فضل ربه عليه وانه مهما عمل لن يوفيه حقه .

وكذلك الجهاد فإلى جانب مشقة النفس ومفارقة الأهل والولد تكون روحه وبدنه عرضة للهلاك ، فكان الجزاء من ربهم أعظم من توقعهم وأضعافا مضاعفة بالنسبة لأعمالهم وهذا ثواب ربهم وأحسن للكل من أذعن وخضع بالتوحيد والربوبية .

وكذلك الأمر في بقية أفعال ربوبيته جل شأنه ، وما ذكرنا كان في خلقه وربوبيته العامة وكيف كانت الهجرة والجهاد أحد مقتضياتها ."[1]"

من خلال ما ذكرنا يتبين لنا كيف أن أفعال الله تعالى وربوبيته من الخلق والرزق والملك وما يدخل فيها من المعاني تقتضي كل منها تحرك الجوارح استجابة وطاعة لله أو على الأقل شكرا له جلّ شأنه جزاء أفعاله وبما له من فضل لا يستحق إلا التسليم بالربوبية والتوحيد والإفراد له بنفي الشرك وهو الأمر الذي من أجله وجدت المخلوقات .

[1] - من الآيات التي تقتضي الجهاد والهجرة معا لربوبيته وبقية أفعاله (النحل110 ، الحج58) ومن الآيات التي تقتضي الهجرة (التوبة20-22 ، النحل41-42(110) ، الحج58 ، القصص20-24 ، العنكبوت16-26 ،) ومن الآيات التي تقتضي الجهاد والقتال (آل عمران156(196) ، النساء74-77 ، التوبة36 ، النحل110 ، الحج58(77-78) ، الحديد10 ، الممتحنة1 ، المزمل20)

الفصل الرابع

المقتضيات العملية (أعمال الجوارح)

- المبحث الأول / إفراد الله بالعبادة
- المبحث الثاني / التحاكم إلى شرعه

المبحث الأول

إفراد الله بالعبادة

لا شك أن العبادة هي أساس التوحيد والوجود ، فالعبد لن يكون موحدا لله وآتيا بحقيقة التوحيد إلا إذا جاء بربوبية الله تعالى وآمن بما ثبت له من الأسماء والصفات .

وأما الوجود فالعبادة هي أحد الأمور المهمة التي أوجد الله عباده وخلقهم من أجلها لما قال تعالى : **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾** "[1]"

وكذلك ما أرسل الله رسولا إلا ودعا قومه إليها ، وكان أول ما خاطب به كل رسول قومه ، قوله تعالى : **﴿ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾** "[2]"

وهي أول كلمة التوحيد ، ومن أجلها انقسم الناس إلى مؤمن وكافر .

وهي الزاد التي يتقوى بها العبد حتى يصل إلى ربه ، ولم يستثنِ الله تعالى احد من خلقه فيها ، حيث أن كل خلق له عباد له ، حتى الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون سموا عبيدا ويتقربون إليه تعالى بذلك وهي الوسيلة إلى رضا الله ونيل ثوابه في الدارين ، وعلى أساسها يكون الفوز بالجنة أو الخلود في النار

العبادة :

وأجمع ما قيل في تعريفها أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة "[3]"

وإفراده جل شأنه بالعبادة يعني اعتقاد شهادة التوحيد بركنيها فيثبت أن لا إله في هذا الكون سوى الله ، و ينفي استحقاق العبادة إلا له .

[1] - سورة الذاريات (56)

[2] - سورة الأعراف (59)

[3] - العبودية / لشيخ الإسلام ابن تيمية ص44

والذي نحن بصدد الحديث عنه وبيانه ، هي العلاقة بين ربوبية الله تعالى وبين العبادة ، وأن جميع مخلوقاته يتعبدونه حبا له وتعظيما وثناء لما أكرمهم بفضائل ربوبيته ، ورباهم برحمته ولطفه .

وسنحاول قدر المستطاع من خلال آيات كتاب الله توضيح هذه العلاقة وتفسيرها في صورة ميسرة ، بحيث نأخذ كل أمر بالعبادة والإفراد بالألوهية سبقه أو لحقه مظهر من مظاهر ربوبية الله على خلقه كالتالي :

المطلب الأول / اقتضاء خلق الله لعباده عبادته

المطلب الثاني / اقتضاء ملك الله عبادته

المطلب الثالث / اقتضاء تدبير الله للأمور عبادته

والله الموفق وبه نستعين .

المطلب الأول / اقتضاء خلق الله لعباده عبادته

وهو أحد أظهر الأدلة على ربوبيته جل شأنه وسنتعرف الآن من خلال الآيات كيف أن إيجاده تعالى المخلوقات من العدم يقتضي عبادته وإفراده بالتوحيد .

قال تعالى في أول آية في كتابه أمر فيها بالعبادة :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ "[١]"

في هذه الآية يأمر الله تعالى عباده بطاعته والخضوع والتذلل له لأنه خالقهم وخالق آبائهم وأجدادهم من قبل ، لعل ذلك سبيل لكم لتتقوا سخطه وعذابه وتكونوا من المتقين الذين رضي الله عنهم ."[٢]"

ففي هذه الآية دلالة واضحة وصريحة تبين الغاية أو السبب من عبادة الله وحده واستحقاقه لهذه العبادة وكذلك دلالة على وجود الصانع ، فهو الذي خلق المكلفين وأوجدهم وأوجد من قبلهم وخلق السموات والأرض وكل ما هو موجود بينهما من البحار والثمار وعجائب الأرض ، بعد ذلك ساق لنا سبحانه مظاهر ربوبيته وعنايته بمخلوقاته وكيف هيأ لهم الأرض للسكنى والراحة وانزل لهم من السماء ما يضمن بقاءهم وعيشهم وما يتحصلون به على قوتهم من الأشجار وثمارها ، وختم ذلك بقوله

(**فلا تجعلوا لله أندادا**) لتكتمل الغاية وليُعْلِم عباده جل شانه أن تنزيهه من الشركاء والأنداد هو اقل واجب يمكن أن يقدمه المخلوق تجاه خالقه .

وهذه الآية بلا شك مصدقة لقوله تعالى : **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾** "[٣]"

ثم قال : (**وأنتم تعلمون**) تعلمون بدلائل ربوبيته وبما أنعم عليكم أنه واحد لا شريك له في الخلق أو الرزق الملك أو التدبير ، فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بكل ذلك ؟؟ فهذا أعجب العجب وأسفه السفه ."[٤]"

---

[١] - سورة البقرة (21)
[٢] - تفسير الطبري 346/1
[٣] - سورة الذاريات (56)
[٤] - تفسير السعدي ص44

فالشرك به بعد كل هذا العلم ظلم وتصرف لا يليق ، لذلك غلّظ ربنا العقوبة على المشرك وعدّ ذلك من أظلم الظلم ، وحتى نفس المخلوق العبد لا ترضى أن تُعطي وتُكْرِم وتتفضل بالإحسان ثم تواجه ذلك بالجحود والإنكار أو رد الإحسان إلى غيرها .

ولو لا حظنا وتتبعنا غالب آيات كتابه تعالى نجدها كذلك ، فإن خلقه سبحانه وإيجاده المخلوقات من العدم يقتضي إفراده وتوحيده ، قال تعالى :

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ "[١]"

فذكر هذه الآيات سبحانه بعد ما ذكر مظاهر ربوبيته وعنايته بخلقه حيث تفرد وحده في ذلك كله وانعم وتفضل على عباده ، أفلا يستحق بعد ذلك أن يُعْبد ، بل يستحق من غير أن يأمر ، فكيف إذا أمر ؟! أفلا يُجاب إذا دعا ؟! .

وذكّر عباده سبحانه بنعمه هذه وأمرهم بعد ذلك بتوحيده حيث قال تعالى :

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ "[٢]"

فإنه سبحانه يدعوهم إلى الاعتراف بنعمه بقلوبهم بالخضوع والخشوع له ، وبألسنتهم بذكره والثناء عليه ، وبجوارحهم طاعة وانقيادا ، لأنه لا يوجد خالق ولا رازق في هذا الوجود يستحق أن يُعْبد ويُوَحد غيره تعالى .

فذكرهم بأعظم نعمتين الخلق الرزق فكيف بما دونهم من النعم ، ثم نجد بعض عباده ينصرفون من عبادة الخالق الرازق إلى عبادة المخلوق المحتاج لمن يرزقه . "[٣]"

وأنكر سبحانه على الذين يعبدون غير خالقهم ، وعدّهم من المشركين لما قال تعالى : **﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾** "[٤]"

---

[١] - سورة الأنعام (102)
[٢] - سورة فاطر (3)
[٣] - تفسير السعدي ص684
[٤] - سورة الصافات (95-96)

وقال أيضا : ﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ "[١]"

لأن المنطق يقتضي أن – الصانع – الذي يَخلق هو الذي يُعْبد ، لا – المصنوع – الذي يحتاج إلى من يخلقه ، فهؤلاء القوم نحتوا أصنامهم بأيديهم ثم عبدوها ونسوا خالقهم المستحق للعبادة ."[٢]"

وكذلك العاجز عن خلق نفسه وخلق غيره كذلك لا يستحق أن يكون شريكا لمن يخلقه ويخلق غيره ممن لجأ إليه ، فإذا كانت الأصنام مخلوقة ولا تستطيع أن تدفع المكروه عن نفسها ، كيف تستطيع دفعه عن من يعبدها ، فهي بلا شك تعتبر ضعيفة ولا تملك شيئا وبالتالي لا تستحق العبادة ."[٣]"

تبين لنا من خلال ما سبق كيف أن خلق الله تعالى يقتضي عبادته وتوحيده وإفراده . "[٤]"

---

[١] - سورة الأعراف (191)
[٢] - في ظلال القران لسيد قطب 2993/5
[٣] - تفسير السعدي ص311
[٤] - من الآيات التي تقتضي العبادة لخلقه (البقرة164-165 ، الانعام71-73 ، الرعد16 ، النحل1-5 – (17-22) ، الفرقان54-55 ، القصص68-70 ، الزمر4-6 ، الزمر62-64 ، غافر62-67) وغيرها كثير .

المطلب الثاني / اقتضاء ملك الله عبادته

وإفراده تعالى جلّ شأنه بملكه يعني اعتقاد انه تعالى مالك كل شيء ولا مالك للكون غيره ، ولا يملك الخلق إلا خالقهم ، وانه مالك للنفع والضر وحده لا شريك له في ذلك كله .

وجميع المعبودات والمخلوقات تعلم بفطرتها وبدلائل ربوبيته تعالى من حولها ، من هو خالقها ومالكها ولا تملك إنكار ذلك إلا علوا واستكبارا .

وقد جاء من الآيات في كتابه تعالى ما يبين أن ملك الله لعباده وخلقه يقتضي منهم إفراده بالربوبية والوحدانية ،

قال تعالى : **﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾** "[١]"

يخبر الله تعالى نبيه ﷺ في الآية بأن يعلم الناس أنه رسول من ربه إليهم جميعا ، عربهم وعجمهم من أهل الكتاب وغيرهم ، ربه المالك للسموات والأرض بتصرفه فيهما بأحكامه الكونية وتدبير سلطانه ، وأحكامه الشرعية الدينية ومنها إرساله وبعثته رسولا إليهم ، يدعوهم إلى ربهم وإلى طاعته ويحذرهم من عصيانه والوقوع في غضبه ، لأنه المعبود بحق ولا شريك له في حكمه وملكه ، والذي بيده حياة مخلوقاته ومماتهم ، لذلك دعاهم إلى الإيمان والتصديق بالرسول الذي أرسله إليهم إيمانا متضمنا لأعمال قلوبهم وجوارحهم ، واتخاذه قدوة لهم في استقامته بربه وطاعته وإيمانه بما انزل إليه وإتباعه في جميع أمورهم الدينية والدنيوية ، لعل ذلك يكون منقذا وسبيلا لهدايتهم ."[٢]"

ودلالة الآية ظاهرة من خلال دعوة النبي ﷺ لقومه أنه رسول من عند ربه الذي يملك السموات والأرض ، فإن مجرد تذكيرهم بمالك الوجود والكون والذين يعتبرون جزء ضئيل بالنسبة لما فيه ،

---

[١] - سورة الأعراف (158)

[٢] - تفسير السعدي ص305

يجعلهم يستشعرون عظمة هذا الملك وعظيم ما عنده ، فإن الملك عادة بين الناس له هيبته وسلطانه بينهم ويسمع له الكبير والصغير ولا يجرؤ احد منهم الاعتراض عليه أو تجاهل أوامره وعصيانها ، لذلك خاطبهم ﷺ بما يوقظ الفطرة في نفوسهم ويعلمون من خلاله فضل ربهم ومالكهم الذي سخر لهم أرزاقهم ومنافعهم في السماء والأرض ، وهو مالك الضر والنفع وبيده العطاء والمنع ، وكل نسمة وذرة في الكون هي تحت ملكه وقدرته .

بعدها قال لهم (**لا إله إلا هو**) أي ربكم المالك والمسخر والمنعم والمتفضل وحده لا شريك له ، هو أيضا إلهكم ويستلزم منكم لما عرفتم فضله في الربوبية أن توحده وتفردوه في الألوهية والعبادة أيضا .

لذلك قال بعدها (**يحي ويميت**) لزيادة التأكيد في قدرة ربهم الملك ونفوذ سلطانه حيث بيده وجودهم وإعدامهم وكل أمورهم وكل ما يجعلهم يدينون له ويخضعون أمام قوته وسلطته كملك .

فبعد معرفتهم بهذه الحقيقة لا يكون أمامهم سوى الاعتراف والتقدير والذي معه يكون الإفراد والتوحيد ويعلم العباد أن خالقهم وربهم مستحق لذلك كله وأن ذلك من أوجب الواجبات عليهم ، فكانت دعوته ﷺ إلى الإيمان به من خلال الحقيقة السابقة عن ربهم .

وهذا ما أردنا بيانه وتوضيحه في علاقة الربوبية وملك ربنا للوجود بالألوهية وكيف أنها تقتضي عبادة الله جل شأنه وإفراده وتوحيده .

ولما كان ربنا مالك للضر والنفع الذي استحق معه الإفراد والعبادة ، نجده سبحانه وتعالى كيف ذمّ طوائف المشركين الذين يعبدون من لا يملك لهم الضر والنفع حيث قال تعالى :

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ "[١]"

مما يعني أن مالكها أولى بالعبادة من غيره ، لان عنده ما تطمع إليه النفس من الخير والعطاء والنفع ويملك ما ترجوه من دفع الأذى والبلاء والمصيبة ، وأصنام المشركين ومعبوداتهم مخلوقة ضعيفة فقيرة

[١] - سورة المائدة (76)

ومحتاجة ، فكيف لا يسفههم الله بها وبمعبوداتهم وقلوبهم وعقولهم لا تفقه ولا تعقل أن ربهم وخالقهم ينفع ويضر ويسمع ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وقال معاتبا بني إسرائيل على عبادتهم العجل :

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ "[١]"

فعبدوا العجل مع ما فيه من صفات النقص فهم يملكون السمع والنطق والقدرة وجميعها غير موجودة فيه ، هذا بلا شك أنقص منهم ، فما بالك بالضر والنفع ودفع الأذى ."[٢]"

وذلك ليبين لهم ربهم أنه المالك لكل شيء فهو الأحق والأوْلى بالإفراد والعبادة .

وقال في حق من يعبدون من لا يملك الرزق

قال تعالى : **﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾** "[٣]"

حيث كان هذا الأمر جهلا منهم ، حينما يعبدون من لا يملك إنزال المطر من السماء ولا إخراج النبات من الأرض ولا مثقال ذرة من رزق ، ولو أرادوا أيضا ما استطاعوا ، ويتركون من يملك ذلك كله وغيره ."[٤]"

فهل يستوي الذي يعبدونه بمالك الملك لا شريك له ؟! .

وأثنى الله تعالى على نفسه بتفرده في الملك والخلق وحده لا شريك له ، والذي يقتضي إفراده في العبادة أيضا ، قال تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۞ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ "[٥]"

---

[١] - سورة طه (89)
[٢] - تفسير السعدي ص511
[٣] - سورة النحل (73)
[٤] - تفسير السعدي ص444
[٥] - سورة الفرقان (1-2)

وما ذكرنا جميعا يبين لنا كيف أن ربوبية الله تعالى وملكه يقتضي من جميع العباد إفراده وتوحيده وتجنب الوقوع في شركه ، لان العاقل يعلم أن مالك الملك وجبار السموات والأرض لا يمكن أبدا أن يساويه احد من خلقه في شيء من خصائصه ."[1]"

[1] - من الآيات التي تقتضي العبادة لملكه (الفاتحة4-5 ، البقرة255 ، النساء171 ، الرعد16 ، الإسراء111، طه6-8 ، المؤمنون116 ، الفرقان3 ، العنكبوت17، فاطر13-14، الزمر6 ، غافر16، الحشر23، الناس2-3) وغيرها .

المطلب الثالث / اقتضاء تدبير الله للأمور عبادته

وإفراده تعالى بالتدبير يعني اعتقاد العباد أن لا مدبر في الكون غير الله ، ولا يملك التصرف في جميع الأمور غيره ، ومن تدبيره تعالى انه جعل السماء سقفا محفوظا من اجل عباده ، وبسط لهم الأرض وفرشها وأرسى عليها الجبال تسهيلا لسيرهم وراحة لمسكنهم ، وأنزل المطر من السماء لرزقهم ، وأنبت الزرع وأخرج الثمار من الأرض حلالا طيبا لإطعامهم ، وسخر لهم عظام مخلوقاته لخدمتهم والسعي لنفعهم ، وغير ذلك مما لا يحصى .

وكل ما يدخل في ربوبية الله تعالى غير الخلق والملك هو من تدبير رب العالمين لخلقه كالتسخير والرعاية والعناية والحكمة ، مما فطر عليه قلوب عباده ، ومما لا يخفى على أحد من دلائل ربوبيته ووحدانيته .

وقد أثبت سبحانه التدبير لنفسه في كتابه وذلك بعد أن عدد مظاهر ربوبيته على عباده ، مما يدل انه لا فاعل لذلك كله غيره ، قال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ "[١]"

وقد جاء في آيات كتابه أيضا ما يبين أن تدبيراته جلّ شأنه في الكون يقتضي إفراده وعبادته .

1/ ففي اقتضاء **الرزق** للعبادة ، قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ "[٢]"

دلت الآية على أنه سبحانه لما أمرهم بعبادته وتقواه ، نهاهم بعد ذلك عن عبادة الأصنام وبين لهم نقصها وعدم استحقاقها للعبادة وذلك لافتقارها لأهم ما يمكن الاعتماد عليه فيه كالملك والرزق ،

[١] - سورة الرعد (2)
[٢] - سورة العنكبوت (17)

بل أعظم منه أن عابديها هم الذين ينحتونها ويخلقونها بأيديهم ثم يعبدونها ، فكان تسفيه الله تعالى لهذه الآلهة من خلال تذكير عابديها أنه ليس فيها ما يدعو إلى عبادتها من الرزق والضر والنفع أو الموت والحياة أو النشور .

والنفس حينما تعبد تتخذ لها إلها تسأله حوائجها وحاجاتها حتى يقضيها عنها ، لذلك أمرهم بالانصراف عنها وترك عبادتها إلى عبادة من يملك الضر والنفع ومن يُبْتَغى عنده الرزق وله الكمال في كل شيء ، وكذلك يشكروه على نعمه السابقة بإفراده وتوحيده ، لان كل نعمة يتقلبون فيها هي منه وحده ، إليه المرجع والمصير ليجازيهم بما عملوا ."[1]"

ودلالة الآية واضحة جلية ولا يمكن أن تخفى على احد من المخلوقات ، لان نفوسهم مفطورة مجبولة على حب من يملك ما ينقص عندها ، فالفقير وقت الحاجة يلجأ إلى الغني ، والضعيف إلى القوي لان كل منهم حاجته عند الآخر ، وجميع العباد بفطرتهم يحبون ملوكهم ومن وُلِيَ عليهم ، فكيف إذا كان ذا فضل وإحسان وخلق كريم فغنهم يزدادون حبا له وتعظيما وإجلالا ، فما بالك بملك الملوك وله المثل الأعلى ، فهو الذي يملك رزق عباده ويملك إمساكه ومنعه عنهم ورزقه جلّ شانه أكثر مما يُحصى ، وهو سبحانه من يملك الضر والنفع ويملك دفع البلاء والخطايا عمن حل به وأعظم من ذلك كثير .

والعاقل حينما يتلو هذه الآية يعلم مباشرة انه لا يوجد احد على الأرض يستحق العبادة سوى الله ، لان الرزق لا يملكه غيره وكذا الملك ، والمنطق يقول أن الذي يرزق ويملك كل شيء أولى بالعبادة من غيره لان بيده ما يحتاجه خلقه لا الإنسان العاجز الذي لا يملك شيء كما فعل المشركون لما خلقوا آلهتهم وعبدوها ، وهذا يعني أن الرزق وحده فقط يقتضي من العباد توحيد خالقهم وإفراده وتنزيهه عن الشركاء فكيف لو اجتمعت فيه تعالى بقية أفعال ربوبيته وما وصف أو سمى به نفسه من صفات الكمال .

[1] - تفسير السعدي ص638

والذي يدل ويؤكد أيضا اقتضاء الرزق للعبادة واستحقاق ربنا لذلك ، أنه نهى سبحانه عن الإشراك به لأنه الخالق الرازق فقال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ "[١]"

وهذا يعني بلا شك أن عبادته واجبة لأنه الخالق الرازق المميت والمحيي ، وأصنام المشركين حتما لا تملك أدنى نفعا لعابديها ، لذلك نزه نفسه سبحانه أن يكون أحدا من خلقه شريكا له في العبادة وهو لا يستحقها ، لان مساواة الكامل بالناقص فيه نقص للكامل وبخس لحقه .

فتدبير المولى تعالى شؤون عباده كالرزق يقتضي منهم إفراده وتوحيده ."[٢]"

2/ ومن تدبير الله تعالى لخلقه **جميع مظاهر الربوبية** من إنزاله المطر وغيرها قال تعالى في ذلك :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ "[٣]"

والآيتين واضحة المعنى ، فقد أمر ربنا جل وعلا بالعبادة ثم بين لعباده موجبات استحقاقه لها وتغليظه لعقوبة الشرك بناء عليه . "[٤]"

والدلالة التي نريد توضيحها والإشارة إليها هي تهيئة أنه سبحانه بعد أن خلق الخلق والكائنات لم يتركهم عبثا ، بل هيأ لهم واعد لهم من مخلوقاته ما يكفل راحتهم وعيشهم وهناءهم واستمرار بقاءهم على الأرض ، ففرش لهم الأرض حتى يسهل مسيرهم وسكنهم عليهم وأخرج لهم منها طعامهم وثمراتهم فيه غذائهم ونفعهم ، وسخر لهم عليها من الدواب ما ينتفعون به من الصوف والوبر واللبن واللحم ، وما لا يحصى من الرزق .

---

[١] - سورة الروم (40)
[٢] - من الآيات التي تقتضي العبادة لرزقه (البقرة21-22 ، النحل73 ، النمل64 ، الروم29 ، فاطر3 ، ق6-12) وغيرها
[٣] - سورة البقرة (21-22)
[٤] - راجع ص من هذا المبحث

ثم عبر عن خلقه السماء لعباده بلفظ البناء ، وجعل فيها كذلك من المخلوقات والنعم ما يستوجب شكر خالقهم عليه ، فجعل لهم فيها الشمس والقمر والنجوم والكواكب زينة لهم وعلامات يهتدون بها في أسفارهم ، وفي الشمس ظلا يقيهم لهيب حرّها ، وأنزل الماء من السماء والذي لا حياة لمخلوق إلا به .

وكان ذلك كله بقدر معلوم دقيق ونظام عجيب وقدرة باهرة و حكمة لا يعلمها سواها وغيره مما لا يدل إلا عليه جل شأنه .

أفبعد هذا كله من مظاهر ودلائل ربوبيته يجحد جاحد ويشرك المشرك .

إن جميع ما ذكرنا نعم وأفضال يعجز حتى الموحد المستقيم أن يوفي حقها وقدرها تجاه خالقه ، والله برحمته وفضله يطلب أقلها وهو عدم الإشراك به ويغفر مادون ذلك .

وما زلنا نذكر ونقول مرارا وتكرارا أن المعهود حتى بين الناس أن صاحب الفضل يبقى ويظل ذو شأن وتقدير ومكانة بينهم ، وإن تكلم وتحدث فمسموعٌ له ، وإن أمر فمطاعٌ أمره ، ولله تعالى المثل الأعلى لا شريك له .

وهذا يُظهر لنا الحكمة من ختمه تعالى الآية بالنهي عن اتخاذ الأنداد والشركاء من دونه ، لأن الشرك بعد كل هذا العلم تصرف لا يليق ، ولأن العاقل البصير يعلم ويدرك بكل ذرة من حوله أن لا أحد يستحق العبادة سوى الله ، ولا أحد من خلقه يمكن أن يكون ندا ومساويا له جل شأنه في شيء من خصائص ربوبيته وألوهيته أو أسمائه وصفاته ."[١]"

وكذلك الأمر في جميع الآيات التي تعدد مظاهر ربوبيته تعالى سواء فصّلت في الخلق و الملك والرزق أو كان الأمر عاما ، جميعها تقتضي العبادة وعدم الإشراك بالله "[٢]"

[١] - في ظلال القران لسيد قطب 47/1

[٢] - من الآيات التي تقتضي العبادة لربوبيته العامة (البقرة 164-165 ، الأنعام99-100 ، يونس31-32 ، الرعد16-17 ، النحل1-14 ، المؤمنون18-23 ، الفرقان45-55 ، النمل59-64 ، ق6-12) وغيرها كثير

المبحث الثاني

التحاكم إلى شرعه

إن الحكم بما أنزله الله تعالى من الشرائع فرضٌ فرضه الله تعالى على كل مسلم مؤمن موحد ، والإيمان برسالة النبي ﷺ أوجب وآكد كونها آخر الرسالات وناسخة لها ، وقد أمر الله تعالى نبينا ﷺ بالحكم بشرع الله ، فقد قال تعالى : ﴿ **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ "[١]"

ولا شك أن حكم الله تعالى أفضل من حكم غيره من البشر ، إذ هو سبحانه ربهم وله الكمال في كل شيء ، حيث أثنى على نفسه وحكمه

في قوله تعالى : ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ** ﴾ "[٢]"

وقال : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا** ﴾ "[٣]"

ودعا سبحانه إلى التحاكم بشريعته ونهى عن الخروج عنها ، وأمر بالتسليم والرضا بكل ما فيها ، حيث قال تعالى :

﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ "[٤]"

وتوعد سبحانه كل من لم يحكم بشريعته بالكفر والظلم والفسق ، قال تعالى :

﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ "[٥]"

وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ "[٦]"

وقال : ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ "[٧]"

---

[١] - سورة المائدة (49)
[٢] - سورة التين (8)
[٣] - سورة المائدة (50)
[٤] - سورة النساء (65)
[٥] - سورة المائدة (44)
[٦] - سورة المائدة (45)
[٧] - سورة المائدة (47)

وإن كان الله تعالى بما تبين من الآيات السابقة أمر بالحكم بشريعته وحذر من التحاكم إلى غيره وتوعد مخالفة نبيه في أمره ، لا شك أن ذلك لدليل على أهمية الأمر وان الله تعالى لا يقضي ولا يحمن إلا بالحق ، وهو الأعلم بمصالح العباد منافعهم وله الحكمة من قضائه وتدبيره بينهم .

والذي نود بيانه في هذا الفصل وأشرنا إليه في الفصول السابقة هي العلاقة بين ربوبية الله تعالى وبين التحاكم بشرعه وأنها احد مقتضيات ربوبيته التي يجب الإيمان بها والتسليم لها .

نوضح ذلك من خلال (**اقتضاء ربوبية الله للتحاكم إلى شرعه**)

المطلب الأول / اقتضاء ربوبية الله للتحاكم إلى شرعه

ربوبية الله تعالى تشمل كما ذكرنا أفعال ربوبيته من الخلق والرزق والملك والتدبير ....الخ ."[١]"

وجاء في كتابه تعالى من الآيات ما يدل على أن ربوبيته تعالى تقتضي التحاكم إلى شرعه ،

قال تعالى : **﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۞ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾** "[٢]"

والآيتين تعني أنه سبحانه أخبر عن المشركين وعن عادتهم ودأبهم في حياتهم أنهم إذا ذكر الله وأُمروا بالطاعة والإخلاص ونهوا عن الشرك كفروا بربهم واشمأزت وتضجرت نفوسهم ونفروا لذلك ، لكنهم في المقابل إذا دعوا إلى الإشراك بالله والكفر به امنوا بالشر والفساد وكرهوا بالخير والفلاح .

فالله تعالى هو الحاكم وله العلو المطلق بين مخلوقاته وسيريهم جزاء أعمالهم ولن يساوي بين المتقين والفجار .

وذكرهم سبحانه بعد ذلك بنعمه العظيمة عليهم ، وبما أظهر لهم من آياته ودلائل ربوبيته في الأنفس والآفاق ، وما يتنزل عليهم من أرزاقه من السماء فالماء هو أساس الحياة وسبب بقاءها وغيره ، وجميعها دلائل وآيات لأولي الألباب والبصائر الذين يرجعون إلى ربهم وينيبون إليه بتوحيدهم ."[٣]"

ودلالة الآية في أنه سبحانه وصف نفسه بالعلو والكبر في الآية الأولى لذلك استحق الحكم ، فهو العلي المستعلي بما له من الأسماء والصفات وكل ما هو عليٌ فالله أعلى وأعظم له شرف المكانة والمنزلة والعظمة ، وكذلك بكبريائه سبحانه وقهره واستعلاءه على خلقه ، وكان ذلك مناسبا لان يكون حاكما على مخلوقاته .

---

[١] - لم أجد في اقتضاء الربوبية للحكم بما انزل الله إلا الشيء اليسير وغالب آيات التحاكم إلى شرعه لا تدل إلا إجمالا وتتعلق غالبها بالألوهية والطاعة .

[٢] - سورة غافر (12-13)

[٣] - تفسير السعدي ص734

وفوق العلو والكبر والحكم تفرد سبحانه بدلائل الربوبية التي يشهد بها جميع الخلائق عليه وعلى ربوبيته ووحدانيته والتي لا تخفى على احد في الوجود ، حيث تكفل بتدبير أرزاق عباده من السماء والأرض فأنزل عليهم الماء وأنبت بسببه الزرع والثمار وخلق البحار وما فيها من كنوز وذخائر ومنافع لخلقه ، وأجرى الأنهار والعيون وأرسى الجبال دعائم وثوابت شامخات وكل مما لا يحصى مما يمكن أن يكون تدبيرا للخلق وشؤونهم .

فإن الذي يملك كل هذه الفضائل والنعم ويسخرها لعباده جميعهم على السواء دون استثناء وكان له العلو والكبر من قبل عليهم ، ألا يستحق أن يكون حاكما ترجع إليه الأمور وعنده يكون الجزاء والحساب ويخضع أمامه العباد لأجل ذلك .

وهذا الذي أردنا بيانه من أن ربوبيته العامة للخلائق تقتضي احتكامهم إليه بالسمع والطاعة ، لان هذا الأمر معهود بين البشر أن منْ كَمُلَت فيه صفات الخلق والجاه والمنصب والمال وكان أهلا للحكم نُصّبَ لذلك ، فيخضع أمامه من تحته وتكون له السيادة والولاية فيكون إذا أمر ونهى ، أُطِيعَ وانْتُهِيَ لأمره ونهيه ، وإن تكلم فمسموع قوله ، والخضوع والتعظيم أمامه وفي حضرته واجب ، ولله المثل الأعلى . "[١]"

فإن خالقا ومالكا ومدبرا لكل صغيرة وكبيرة في الكون ومتفضلا برحمته على عباده ولطيفا بهم يسعى لمصالحهم ومنافعهم من غير أن يسألوه فيقضيها لهم ، أَيقلّ في حقه إن أمر أن يُطاع أو إن نهى وحرم أن يُنْتَهى ، أفلا يستحق التعظيم والخضوع والخشية بل والحب الذي يجعل النفس من غير شعور أو تفكير تحتكم وترضى وتسلم لكل ما يقول وإن جهلت المصلحة والحكمة من تشريعاته ، لان ربا أكرمها من قبل وهي بعيدة عنه في ظلمات الجهل لم يكن ليخذلها أو يظلمها وهي تأتمر بشريعته وترضى بدينه وأنبيائه ورسله لأنه لا احد اعلم بما يصلح له في دنياه وآخرته إلا ربه وخالقه .

إن النظر إلى الشريعة الإسلامية وإلى كل أمر ونهي وحلال وحرام في الشرع من منظور أنها أوامر إلهية ربانية من ربٍ خالق للكون مستحق للتعظيم بما علمنا من آياته ودلائل ربوبيته في كل ذرة في الكون

[١] - في ظلال القران لسيد قطب 3072/5

، يجعل النفوس تهفو إليه وتحب منه كل شيء ، ولن تعترض على حكم شرعي أو لن تنساق غاضبة كارهة لأمر رباني ، وقد هداها الله بنور بصيرتها فعقلت وفقهت ما لم يعلمه غيرها .

ومن هنا كان الفرق بين من يسلم لكم ربنا ويرضى به حبا لله وحبا لرسوله وما جاء به ، وبين من يرضى بذلك ونفسه كارهة خوفا من عقوبة دنيوية أو قانون وضعي أو كان هذا الحكم موافقا لهواه .

وكذلك لو نظرنا إلى الآيات التي تقتضي الاحتكام إليه بما له من فضائل الربوبية نجدها من هذا القبيل ، فقد عدد سبحانه جملة من مظاهر ربوبيته ثم اتبعها

بقوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ "[١]"

فلما ساق سبحانه دلائل ربوبيته أعلم رسوله ﷺ أن لكل أمة شريعة ومنهجا لهم في حياتهم يرجعون إليه ، وانه سوف يجد من يجادله في هذه الشريعة ولن يرضى بما جاء فيها ، فإن جادلوه فليتركهم لربهم فهو اعلم بأحوالهم وسوف يجازيهم عليها ويحكم بينهم يوم القيامة فيها ، فأمثال هؤلاء لم يتبصروا ولم يعلموا حقيقة ربهم ولم تدلهم ربوبيته إليهم ، وألا لما ساق الله تعالى مظاهر ربوبيته وتسخيره مخلوقاته لهم ثم اتبعها بعد ذلك بشريعته ومن يجادله فيه .

لان الحق يُلزم ويبين أن كل من أدرك حقيقة ربه انقاد مباشرة لأوامره ورضي بها وسلّم من غير جدال أو تردد في إتباعها أو الاحتكام إليها . "[٢]"

لذلك أقسم سبحانه بربوبيته لما قال تعالى :

﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ "[٣]"

فنفى عنهم الإيمان واعتبرهم مشركين ماداموا لن يرضوا بالله ربا وبرسوله ﷺ حكما عليهم ، بل لا بد من الرضا والتسليم والطمأنينة دون كره لأي شيء منها .

علمنا من خلال ما سبق كيف أن ربوبية الله تعالى تقتضي التحاكم إلى شريعته والرضا بها والتسليم بكل ما جاء فيها تحقيقا لإيمانه بربه ووحدانيته به ."[٤]"

---

[١] - سورة الحج (69)

[٢] - تفسير السعدي ص545

[٣] - سورة النساء (65)

[٤] - من الآيات التي تقتضي التحاكم إليه لربوبيته (يونس108-109 ، الزمر3-5) ولم أتمكن من وجود غيرها إلا ما دل إجمالا . والله اعلم .

الفصل الخامس

المقتضيات القلبية أعمال القلوب

- المبحث الأول : تحقيق العبد التوحيد في أعمال القلوب
- المبحث الثاني : موافقة عمل القلب عمل الجوارح
- المبحث الثالث : الآثار التي يجنيها العبد من تحقيق مقتضى التوحيد العملي والقلبي

المبحث الأول

تحقيق العبد التوحيد في أعمال القلوب

عرفنا من قبل كيف أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأفعال الله تعالى وخصائص ربوبيته في الكون ، وكيف تكون العلاقة بينه وبين شعور القلب وارتباط الجوارح ، وان كل فعل من أفعاله تعالى يقتضي منه فعل قلبي أو بدني ، فإذا تحققت المقتضيات من العباد – والتي هي أوامر الشريعة ونواهيها ومجمل أحكامها — كان العبد من حقق التوحيد وجاء به كاملا على الوجه الذي أراده منه خالقه .

فالله تعالى خلق عباده أولا على الفطرة ، ثم أنشاهم ورباهم بربوبيته في الكون ودبر أمورهم وجعل لهم من أنفسهم ومن مخلوقاته حولهم ما يدلهم عليه ، فإذا اعتبرت المخلوقات بكل ذلك ونظرت إليه بعين البصيرة جاءت بنصف التوحيد ، ثم إذا استجابت الجوارح فأحب القلب وخضع وخشع لخالقه وسجدت جوارحه والتزمت بكل حكم وشرع جاء في شريعة خالقه ، ولم تجرؤ نفسه على الاعتراض لأن جوارحه وقلبه هي التي تعمل وتتحرك .

ما معنى تحقيق التوحيد ؟

ويعني تصفيته وتنقيته من شوائب الشرك والشك ، ومن البدع ومن كبائر الذنوب والمعاصي .

فتحقيقه يرجع إلى ثلاثة أمور :

- ترك الشرك بأنواعه كبيره وصغيره وخفيه .
- ترك البدع بأنواعها
- ترك الذنوب والمعاصي "[1]"

ومن هنا يمكن أن نبين تحقيق العبد لأعمال القلوب من خلال :

اقتضاء ربوبية الله تعالى عدم الإشراك بالله وتنزيهه عن الشركاء

والله الموفق و به نستعين .

[1] - التمهيد لشرح كتاب التوحيد / دروس للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص33

المطلب الأول / اقتضاء الإخلاص عدم الإشراك بالله

تطرقنا من قبل إلى أعمال القلوب وأنها جميعا تعتبر مقتضيات لربوبيته تعالى جل شانه ، وسنتحدث في هذه المطالب عن كيفية تحقيق التوحيد من خلال صرف جميع الأعمال القلبية لله وحده وعدم اتخاذ الشركاء معه فيها ومن ثم تنزيهه تعالى عنها .

ويكون ذلك على النحو التالي :

الإخلاص

عمل قلبي يجب صرفه لله تعالى وحده ، وقد يشرك العبد بالله إذا أخلص لغيره ، ولن يتحقق التوحيد إلا إذا كان العمل خالصا لله وحده قاصدا فيه خالقه في كل أحواله .

ويعد الإخلاص أهم الأعمال المقترنة بالتوحيد والدالة على تحقيقه لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه دون رياء أو عجب .

قال تعالى في الأمر بإخلاص العبادة له وحده لاقتضاء ربوبيته ذلك :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ "[1]"

في الآية بين النبي ﷺ لقومه أن ربه أمره بالعدل ، وانه تعالى لا يأمر بالفحشاء كما يزعمون حيث يعملون العمل الذي وجدوا عليه آباءهم ثم يقولون الله أمرنا بها .

فأعلمهم ﷺ أن الله أمر بالعدل وإقامة الصلاة ظاهرا وباطنا والاستقامة على الطاعة والعبادة ومتابعة الأنبياء قاصدين بذلك كله وجه ربهم وحده ."[2]"

ودلالة الآية في لفظ الربوبية ومخاطبة النبي ﷺ قومه بها ، حتى تستجيب قلوبهم بنداء الربوبية الذي يعلمون من خلاله النعم العظيمة التي أكرمهم ربهم بها ، وبالتالي يعلموا انه من الظلم أن يشركوا بربهم

[1] - سورة الأعراف (29)
[2] - تفسير السعدي ص286

بعد إيمانهم بربوبيته ومن ثم عدم الاستجابة لأمره بالدعاء والإخلاص الذي يقتضي عدم الإشراك حتى يتحقق التوحيد .

وقال تعالى أيضا : **﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** "[١]"

في هذه الآيات نهى الله تعالى نبيه ﷺ بعبادة ربه وعدم الالتفات إلى المشركين في عبادة الأصنام والآلهة وذلك بعدما تبينت له آيات الله وبيناته وأنزل عليه كتابه وأمره مع ذلك بان يسلم لرب العالمين ويتذلل ويخضع له بالطاعة . "[٢]"

دلالة الآيات :

والذي يؤكد ما ذكرنا أنه سبحانه تحدث عن دلائل خلقه في الآيتين السابقتين للآية فقال :

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ "[٣]"

فذكر النعم التي في السماء ومثلها في الأرض وذكر تصوير الإنسان في أحسن الصور ثم رزقه من الطيبات ، ذكر بعد ذلك اسم من أسمائه تعالى يقتضي أن يكون الذي ينعم على العباد ويرزقهم ويسخر لهم أن يكون حيا حتى لا تنقطع حاجة الناس بموته أو انعدامه .

وهذه الحياة أيضا تقتضي التوحيد والعبادة حين قال (**هو الحي لا اله إلا هو**) أردف بعد ذلك بقوله (**فادعوه مخلصين له الدين**)

وهذا يبين الارتباط الوثيق بين الظواهر والمخلوقات والمعاني والصلة التي بينها وأنه يجب تدبرها في محيطها الواسع ومعرفة ذلك الاتفاق وهو الذي ذكرنا في المقتضيات "[٤]"

---

[١] - سورة غافر (66)
[٢] - تفسير الطبري 412-411/21
[٣] - سورة غافر (64-65)
[٤] - في ظلال القران / لسيد قطب 3092/5

فجاء الأمر من الله تعالى بأمرين : الدعاء والإخلاص

ليظهر لنا جليا أن الذي أبدع وخلق وسخر هذا الكون بما فيه يستحق أن يكون إلها ، ويلجأ إلى خالقه بالتضرع والدعاء المقترن بالإخلاص الذي يوحي أنه من الظلم أن تصرف العبادة لغيره تعالى ، والاهم من ذلك كله توحيده وعدم الإشراك به .

فكما أن ربوبيته تقتضي عبادته أيضا تقتضي توحيده ونفي الشركاء عنه .

ولم أجد في كتاب الله ما يبين أن العبد قد يخلص لغير خالقه وهو على الشرك .

وتحقيق التوحيد في ربوبية الله تعالى يكون بترك الرياء ، وعدم الإشراك به سبحانه فيتوجه القلب كله لله وحده مخلصا له العمل

لأنه ختمها بقوله (**قل إني نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله**)

وهكذا فإن جميع الآيات التي يأمر الله فيها بالعبادة والإخلاص هي في نفسها تنهى عن الشرك ، لان من حقق الإخلاص وجاء به كان موحدا بريء من الشرك . "[١]"

والنبي ﷺ من شدة حرصه على أمته بتحقيق التوحيد وعدم الوقوع في الشرك أيا كان حرص على حماية هذا التوحيد من كل شائبة أو وسيلة يمكن أن توقع العبد في الإشراك بربه دونما علمه ، حتى في أدق الأمور التي قد لا يدركها العباد من الألفاظ والعبادات .

ومما يبين أيضا أن العبادة تقتضي الإخلاص وعدم الإشراك بالله ، انه سبحانه كما يأمر بالعبادة ويبدأ بها أيضا يحرم الشرك وينهى عنه .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ﴾ "[٢]"

فكل عبادة تقتضي الإخلاص حتى يتحقق التوحيد .

---

[١] - من الآيات التي تقتضي عدم الإشراك به : (البقرة139 ، الأعراف29 ، الزمر2-5(13-14) ، الصافات123-128، ص79-83) وغيرها

[٢] - سورة الأنعام (151)

أما تنزيهه عن الشركاء فإنه أيضا مقتضى لربوبيته والإخلاص له ، قال تعالى :

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۞ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ "[١]"

في هذه الآيات ينزه الله تعالى نفسه عن النسب بينه وبين الجن كما زعم المشركون ، فالجن خلق من خلقه كبقية المخلوقات ويعلمون أنهم محضرون يوم القيامة للحساب والجزاء .

فالله تعالى هو العلي الكريم له الكمال من جميع الوجوه تعالى وتقدس وتنزه عما يقول المفترون ، لك المخلصين من عباد الله ينزهونه كما نزه نفسه ولا يقعون فيما وقع فيه المشركون .

ودلالة الآية تكمن في أن نعم الله وآلائه تقتضي عبادته والإذعان له والتسليم لربوبيته وعباد الله المؤمنين الموحدين يعلمون قدر ربهم ومكانته وعظم سلطانه لأجل ذلك أخلصوا له .

وإخلاصهم هذا يجعلهم أيضا ينزهون ويقدسون ربهم جل شأنه عن كل ما لا يليق به من الأوصاف أو المسميات التي يدّعيها المشركون في حقه ."[٢]"

لذلك قال عنهم (**إلا عباد الله المخلصين**) لأنه محال أن يصدر منهم شرك وقد تحقق التوحيد في قلوبهم ، ووصفوا ربهم من قبل بما يليق .

فعلمنا من خلال ما سبق أن كل نعم الله تعالى وفضائله تقتضي عبادته وإخلاص العمل له ، كذلك تقتضي تنزيهه وتقديسه كما يليق بجلاله وقدرته .

---

[١] - سورة الصافات (158-160)

[٢] - تفسير السعدي ص708

المطلب الثاني / اقتضاء المحبة عدم الإشراك بالله

مباحة في الأصل ، وهي من الأمور الفطرية في قلوب العباد كمحبة الوالد لولده والأم لأبنائها ، وقد تكون لمنفعة أو مصلحة أو فضيلة ، وقد تكون محرمة إذا كانت مصحوبة بالتعظيم والإذلال الذي ينبغي أن لا يكون إلا لله وحده .

ومحبة الله تعالى : ميل القلوب إليه بالحب والتعظيم والإجلال والرجاء .

وهي عمل قلبي وأحد أهم أركان العبادة ، وأصل من أصول الدين التي لا يتحقق التوحيد إلا بها .

والفرق بينها وبين المحبة الفطرية أنها إذا قرنت بالمحبة والتعظيم والإجلال توقع صاحبها في الشرك .

وقد جاء في كتاب الله من الآيات ما يدل على أن محبة الله تقتضي عدم الإشراك به .

قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ "[1]"

بينت هذه الآية أهم أصول العبادة وما يقتضيها ، وان محبة الله تعالى ومحبة رسوله مقدمة على كل شيء وكل محبة بعد ذلك تابعة لها وهذا هو مقتضى التوحيد ، ثم بين لهم تعالى عقوبة من يفعل يتهاون ويقدم أي محبة مما ذكر ربنا تعالى على محبة الله ورسوله بقوله (**فتربصوا**) أي انتظروا أمر الله وعقوبته التي لا مرد لها .

والله تعالى لا يبين عقوبة الشيء إلا إذا كان عظيما ليس كأي ذنب مما يُغفر .

ولما كانت هذه المحبة من مقتضيات التوحيد ، فإن عدم الإتيان بها كما يجب يقدح في التوحيد أو قد ينافيه ، وبالتالي لا يتحقق التوحيد إلا بتقديم محبة الله ورسوله على كل شيء .

فتبين لنا أن الذي يقدم محبة نفسه وهواه أو أهله أو عشيرته كان مشركا بالله له الوعيد الشديد والمقت الأكيد من رب العبيد .

[1] - سورة التوبة (24)

فهذه الآية كما تبين أصل التوحيد ومقتضاه أيضا تنهى عن الشرك وعقوبته وتحذر من الوقوع فيه ، حيث لا يتحقق الإيمان والتوحيد إلا بكمال المحبة الواجبة .

أما في تنزيهه تعالى عن الشركاء ، قال تعالى :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ "[١]"

وهذه الآية كما تقتضي محبة الله تعالى وعدم موالاة المشركين ومحبتهم ، ومحال أن يجتمع في قلب حب وود لله ولرسوله ومثله لأعدائهم .

فأمثال هؤلاء وقد امتلأت قلوبهم بالإيمان وأحبوا ربهم واخلصوا له في ذلك لا يمكن أن يصدر منهم شرك ولو كان على حساب اقرب الناس إليهم ، وهذا أيضا يقتضي أنهم إذا سمعوا أو رأوا من قرابتهم ما يسيء إلى ربهم ينزهونه جل شانه عن ذلك وعن كل ما لا يليق به حيث لا يمكن أن يحبون أبناءهم كما يحبون ربهم ، لان إيمانهم يقتضي عدم مساواة ربهم بمن دونه من البشر حتى ولو كان مؤمنا مثلهم ، فكيف بالمشرك الذي لا يستحق شيئا من ذلك ."[٢]"

---

[١] - سورة المجادلة (22)

[٢] - ولم أجد في كتاب الله نصا صريحا عن اقتضاء محبة الله تنزيهه عن الشركاء سوى ما ذكرت مما تضمنته الآيات .

المطلب الثالث / اقتضاء الرجاء عدم الإشراك بالله

وهو حسن الظن بالله رجاء ثوابه ومغفرته مع تعلق القلب محبة به وخوفا منه والعمل لأجل ذلك .

ويعد أحد أصول العبادة التي لا تكمل إلا بها ، بجانب المحبة والخوف .

وقد يأتي الرجاء بمعان عدة كالخوف والثواب وتوقعهما والطمع في رحمة الله وتوقع العذاب ."[1]"

والرجاء المنهي عنه والذي يوقع صاحبه في الشرك هو رجاء احد من المخلوقين أعلى درجات الرجاء كما يرجو الخالق .

لان كل عمل مباح إذا اقترن بالتعظيم والإجلال يوقع في الشرك ، ولان ربوبية الله تعالى تقتضي رجاءه وحده وتنهي عن رجاء غيره حتى يكمل التوحيد ويتحقق بذلك .

قال تعالى في اقتضاء الرجاء به التوحيد وعدم الشرك :

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ "[2]"

تبين الآية أن الله تعالى يخبر عباده المؤمنون بأن من كان يرجوه ويخافه ويقدره قدره فليعد لذلك اللقاء بالعمل الصالح المقترن بالإخلاص ، لأنه تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان موافقا لما بينه في كتابه وجاء به نبيه ﷺ في سنته وكان خالصا لوجهه وحده دون غيره .""

ودلالة الآية ظاهرة في انه تعالى اخبر عن من كان يرجوه ، لان الذي لا يرجو الله ولا يخافه لن يعمل بإخلاص ولن يتابع النبي ﷺ فيما جاء به ، فعلمنا من ذلك أن العبد بقدر إخلاصه لربه يكون رجاءه تبعا لذلك .

فالذي يرجو غير الله في النفع والضر أو قضاء الحاجات مشرك بالله لا محالة خصوصا إذا كان معظما للمرجو منه راجيا منه ما لا يقدر عليه إلا الله .

فمثل هذا كيف يرجى منه إخلاص وقد ترك المستحق للرجاء وخالف سنة المصطفى ، وهذا مما يقدح في التوحيد ويضر بصاحبه ولا ينفعه في الدارين .

[1] - موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم / عدد من المختصين بإشراف د.صالح بن حميد 2025-2024/5

[2] - سورة الكهف (110)

فعُلِم من خلال ذلك أن رجاء الله أحد مقتضيات ربوبيته التي يتحقق معه التوحيد وكمال الإيمان ويقع صاحبه في الشرك إن رجى وخاف وعظم غير ربه ."[١]"

لذلك قال تعالى عن المشركين معاتبا لهم :

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۞ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا... ﴾ "[٢]"

لأن الإنسان كيف تظهر أمامه دلائل ربوبية الله تعالى ويعلم قدرته وعظمته ثم يرجو الثواب من غيره و يخشى ويعظم من دونه .

أما في اقتضاء الرجاء **تنزيهه تعالى عن الشركاء** ، قال تعالى :

﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۞ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۞ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ "[٣]"

ووجه الدلالة من الآيات :

أن هؤلاء الإخوة سبحوا الله تعالى ونزهوه وقدسوه عن كل ما لا يليق به ونزهوه من أن يجري شيء في الكون من غير إرادته ومشيئته بعد اعترافهم بالظلم على أنفسهم وتقصيرهم وسوء فعلتهم .

لذلك رجوْ من الله تعالى العفو والمغفرة والتوبة لعل الله يبدلهم خيرا مما أخذ منهم ."[٤]"

فهم سبحوه ونزهوه بعد ذلك رجوه وهذا هو المقتضى الذي نريده لأنهم علموا كيف أن رجاء ربهم مقترن بتقديسه وتنزيهه عن الشركاء وعما لا يليق به سبحانه .

[١] - من الآيات التي تبين أن رجاءه يقتضي عدم الإشراك به (يونس6-7 ، الإسراء28 ، فاطر29-30 ، الزمر9)

[٢] - سورة نوح (13-15)

[٣] - سورة القلم (29-32)

[٤] - مفاتح الغيب للرازي 610/30

المطلب الرابع / اقتضاء التوكل عدم الإشراك بالله

الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار وتعلق القلب بذلك في جميع الأحوال مع الأخذ ، بالأسباب المشروعة .

وهو أعم من الاستعانة لأنها تكون في بعض الأحوال أما التوكل فداخل فيها ، لان العبد يتوكل على الله في إعانته على أمر ما .

وهو أمر واجب مأمور به في كتاب الله ، وشرط لكمال التوحيد والإيمان وهذا يعني أن من توكل على غيره أشرك به ونقض توحيده .

وجاء في كتاب الله تعالى ما يدل على اقتضاء التوكل عليه عدم الإشراك به فقال :

﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ "[١]"

في هذه الآية يخبر الله تعالى نبيه ﷺ أنه أرسله إلى قومه يتلو عليهم ما أوحي إليه من آيات الله ، كما أرسل الأنبياء والرسل في الأمم من قبل ، فلم يأت برسالة جديدة حتى يستنكر قومه ما جاء به ، ولم يقدّر قومه ذلك بل كفروا بالرحمن وأنكروا وجحدوا نعمه ولم يعترفوا بربوبية الله التي تقتضي عبادته وحده لا شريك له ، والتي تقتضي التوكل والاعتماد عليه وحده في جميع الأمور وكذا التوبة والإنابة له في جميع الأحوال ."[٢]"

ودلالة الآية :

ظاهرة من خلال اقتضاء ربوبية الله تعالى لتوحيده والتسليم له والتوكل عليه والإنابة له أما خاطب النبي ﷺ قومه بقوله (**وهم يكفرون بالرحمن**) فأي رحمة أعظم من رحمة الله التي لا تخفى على أحد ولا يمكن أن يجحدها أحد ومع ذلك قومه كفروا بالرحمن .

[١] - سورة الرعد (30)

[٢] - تفسير السعدي ص418

ثم نداء الربوبية الآخر (**قل هو ربي**) فهو كفيل بأن يذكرهم بفضائل ربهم عليهم .

لذلك كانت هذه الربوبية كما اقتضت التوكل والإنابة إليه تعالى اقتضت أيضا نفي الشركاء عنه من خلال الإيمان به وحده ، وكان من خلال قوله (**لا إله إلا هو**) فكما أنها إثبات للتوحيد ، أيضا هي اعتراف بنفي الشركاء عن الإله .

لان العبد لا يمكن أن يعترف بالإله الخالق وحده ويتوكل عليه ثم يصدر منه شرك بأن يقدح توكله بشيء آخر ينافي توحيده أو يُنْقِص منه .

ولو لاحظنا ذلك نجد كيف أن النبي ﷺ حرص على ذلك لما حمى التوحيد من كل شائبة وشبهة يمكن أن تقدح فيه ، وكان جزاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب جدا عظيم كما جاء في الحديث لما سئل النبي ﷺ عن صفاتهم قال :

((**هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**)) "[1]"

ليس لأن غيرهم لا يتوكل على الله ، بل لأن اعتمادهم كان صادقا محققا للتوحيد الذي أراده ربنا وكذلك الأمر في بقية الآيات التي تقتضي التوكل عليه وحده وغيرها .

وهذا فيه بيان أن التوحيد لا يكتمل ولا يتحقق إلا بالاعتماد التام على الله في جميع الأحوال ، فالكي مع أنه علاج إلا أن تركه أولى ، وطلب الرقيا للشفاء لا بأس به ما لم يكن شركا ومع ذلك فاعله ملتفت إلى غير ربه ، فالذي يرقي نفسه يعتبر متوكلا على الله تمام التوكل ، وهو الذي ساقته ربوبية ربه وفضله عليه ووصلت به هذا المبلغ ، وقلما نجد هذا في عباد الله إلا في الأخيار لذلك استحقوا الثواب العظيم وهو دخولهم الجنة بغير حساب .

ويوجد من الأمور ما حذر منه النبي ﷺ لأنه يوقع صاحبه في الشرك كالتطير والتشاؤم والكهانة والتنجيم ولبس الحلقة والخيط والتمائم والرقى إن اعتمد عليها والتواكل وهو الاعتماد على الله دون الأخذ بالأسباب .

[1] - أخرجه البخاري في كتاب الطب / باب من اكتوى أو كوى غيره /ح5707/ج7/ص126 ، ومسلم في كتاب الإيمان / باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب /ح218/ج1/ص198

وجميعها تنافي التوكل وتقدح في الإيمان وتعلق القلب بغير الله ، لان التوكل الحقيقي يقتضي صدق الاعتماد بعدم النظر إلى غير الله أو تعلق القلب بغيره والذي يوقع في الشرك .

فتبين من خلال هذا أن ربوبية الله تعالى كما تقتضي التوكل أيضا تقتضي عدم الإشراك بالله بما يقتضيه التوكل من معاني .

أما في تنزيهه عن الشركاء قال تعالى :

﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ "[1]"

ينهى الله تعالى في هذه الآية أهل الكتاب عن الغلو في الدين لأنهم غلوا في نبيهم عيسى عليه السلام ورفعوه إلى مقام الربوبية الذي لا ينبغي أن يكون إلا لله ، وأمرهم بقول الحق فالله هو الإله وما عيسى إلا رسول من عنده شرفه الله وكرمه عن بقية خلقه لما ألقى فيه كلمته ونفخ فيه من روحه ، فليعلموا هذا الحق وينتهوا عن قول الآلهة ثلاثة ، فإنما الله اله واحد لا شريك له ولا ينبغي أن تكون العبادة إلا له لذلك نزه نفسه عن الشريك والولد فكل مخلوقاته في السماوات والأرض مملوكة له مفتقرة إليه وهو خير معين ووكيل لهم ."[2]"

ودلالة الآية ظاهرة بيّنة من خلال ختام الآية بقوله (**وكفى بالله وكيلا**) ولا شك أن لها علاقة بمضمون الآية فالله هو خير من يقضي الحوائج ويدفع الكربات وينزل الرحمات وهذا ظاهر من خلال ربوبيته لعباده فإن كان الإله الحق كذلك لا يمكن أن يتردد العباد في رفع حاجاتهم إليه لذلك طمأنهم بأنه خير وكيل لهم .

---
[1] - سورة النساء (171)
[2] - تفسير السعدي ص216

وهذا هو اقتضاء ربوبيته للتوكل عليه ، أما اقتضاء توكله لعدم الإشراك به لما اخبرهم بأنه اله واحد لا شريك له ليعلموا أن ربوبيته تقتضي عبادته ، وكذلك لما نهاهم عن قول الحق فيه وفي رسوله ونهاهم عن التثليث نزه نفسه بعد ذلك ليعلموا أن عبادته تقتضي تنزيهه عن الشريك والولد وعن كل ما لا يليق به لما ساووه بعبده عيسى عليه السلام .

المطلب الخامس / اقتضاء الصبر عدم الإشراك بالله "[١]"

وهو أحد أعمال القلوب التي تقتضيها ربوبية الله تعالى على عباده .

والصبر أنواع ومراتب ودرجات كما بينا من قبل أعلاها الصبر على طاعة الله ، كما أمر ربنا بذلك لما قال : ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ "[٢]"

وقد جاء في كتاب الله ما يدل على أن الصبر يقتضي عدم الإشراك به ، فقال تعالى :

﴿ **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ "[٣]"

ودلالة الآية ظاهرة من خلال أمره سبحانه وتعالى بالعبادة فغن الإنسان إذا عبد الله على الوجه الصحيح ، فإن عبادته تقتضي التوحيد وعدم الشرك ، وان كان الأمر مطلقا في العبادة لكن لا يعني ذلك أنه يجوز أن يشرك معه في عبادته ، لان العبادة التي يُشرك فيها الله لا تسمى عبادة وصاحبها واقع في الشرك

فالله تعالى إذا أمر بالعبادة فإنه يقصد توحيده والتسليم له والتذلل والخضوع له وحده لا شريك له ، وكذلك هذا الأمر في نفسه يقتضي تنزيهه سبحانه عن الشركاء وعن كل ما لا يليق به لان الآية قد أشارت إلى ذلك في قوله (**هل تعلم له سميا**) فهو سبحانه بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى له الكمال المطلق الذي لا يساويه معه أو فيه احد من خلقه .

وأيضا ذكر سبحانه في آية أخرى أن ربوبيته كما تقتضي الصبر ، أيضا تقتضي التنزيه عن الشركاء ، قال تعالى :

﴿ **فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ** ﴾ "[٤]"

---

[١] - لم أجد في كتاب الله من آيات الرضا ما يقتضي عدم الإشراك بالله أو تنزيهه عن الشركاء .

[٢] - سورة طه (132)

[٣] - سورة مريم (65)

[٤] - سورة ق (39-40)

ففي الآية أمر ربنا تعالى نبيه بالصبر على أذية قومه وما لاقاه منهم ، وأن يتعوض عن ذلك بتسبيح ربه وحمده في الأوقات الفاضلة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وفي أطراف النهار أوله وآخره وفي أوقات الليل وساعاته ، لعله يرضى بما يعطيه ربه من الثواب العاجل والآجل وتقر عينه ويطمئن قلبه ويكون ذلك معينا له على صبره ."[١]

ودلالة الآية أن الله تعالى لما أمر نبيه ، كان صبره على ما وجد من قومه من الشرك والكفر الذي ضاقت به نفسه ، فكان الأمر بالصبر والتسبيح والحمد في الأوقات التي ذكر تنزيها لله تعالى وإجلالا وتقديسا عما وصفه به الجاهلون ممن لم يعرف قدره فوقع في الشرك ."[٢]

لنعلم من خلال ذلك أن ربوبيته جل شأنه كما تقتضي الصبر ، تقتضي أيضا التنزيه عن الشركاء حتى يكمل التوحيد الذي تكون به النجاة في الآخرة ."[٣]

---

[١] - تفسير السعدي ص516

[٢] - مفاتح الغيب للرازي 113/22

[٣] - من الآيات التي تقتضي الصبر والتنزيه من الشركاء (غافر55 ، ق39 ، الطور48)

المطلب السادس / اقتضاء الشكر عدم الإشراك بالله

أحد أعمال القلوب التي تقتضيها ربوبية ربنا تعالى ، واصله ذكر القلب وثناؤه على الله اعترافا بنعمه وانقيادا بجوارحه .

وجاء في كتاب الله تعالى ما يبين أن الشكر يقتضي عدم الشرك بالله ، فقال تعالى :

﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ "[١]"

بينت الآية أن الله تعالى لا ينفعه إيمان المؤمن ولا تضره معصية الكافر فهو غني سبحانه عن عبادتهم ، فأمره ونهيه ما هو إلا محض فضله وإحسانه إلى عباده ، لذلك لم يرضى لهم تعالى الكفر لأنه شقاء بالنسبة لأهله ، لكن أن وحدوه وعبدا واخلصوا له شاكرين لنعمه رضي لهم ذلك لان هذا الأمر هو سبب وجودهم ، ثم إن إحسانه وفضله ورحمته بكم تجعله لا يؤاخذ أحدا بذنب غيرها إنما يجزي ويثيب بالحق والعدل كل إنسان بما عمل يوم ترجعون إليه يوم القيامة ليخبركم بما عملتم وبما أحصاه لكم وعليكم من الأعمال ، لأنه سبحانه عليم بخفايا الصدور وسرائرها ."[٢]"

أما دلالة الآية فظاهرة من خلال إخبار الله لعباده انه يكره الشرك والكفر ولا يرضاه ويحب الشكر والاعتراف بالفضل ويعني التسليم له بالتوحيد والإخلاص .

لان أصل الشكر توحيد واعتراف بالنعم التي اقتضتها ربوبية ربنا جل شأنه ، فيكون الشكر انقيادا وخضوعا وحبا للمنعم بالتوحيد الذي رضيه لعباده ، فإن كان الشكر هو التوحيد فبالتالي لا يمكن أن يصدر من الموحد شرك بالله وجحود لأنه أصل توحيده بربه شكر اقتضته ربوبيته ، وتستحيل مناقضة هذا الشكر بالكفر ، لذلك كان الموحد شاكرا محققا للتوحيد الذي أراده ربنا وبمعاني الشكر التي اقتضتها ربوبية الله تعالى ."[٣]"

---

[١] - سورة الزمر (7)

[٢] - تفسير السعدي ص719

[٣] - من الآيات التي تقتضي الشكر وعدم الشرك (إبراهيم35-37 ، القصص73-74)

ومثلها وصية لقمان لابنه فهي تبين الشرك ظلم لأنه جحود ونكران لفضل المنعم وشكر ووضع للشيء في غير موضعه ، قال تعالى : **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۞ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾** "[١]"

أما ما جاء في تنزيه ربنا جل شأنه عن الشركاء ، فقال تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ "[٢]"

تبين الآيتين حال موسى عليه السلام لما جاء إلى وعد ربه وسمع صوته اشتاق لرؤيته فسأل الله ذلك ، فأمره بالنظر إلى الجبل فإن استقر وثبت فسف يراه ، فلما تجلى ربنا للجبل أصبح رمالا فصعق موسى عليه السلام من هول المنظر وخر ساقطا مستغفرا الله وتائبا على ما بدر منه من السؤال ومنزها الله تعالى ومعظما له عما لا يليق بجلاله معترفا بإيمانه ، فاخبره ربنا جل شأنه باصطفائه واختياره من بين الناس للرسالة والنبوة وكلام الله له ، فليأخذه ويقبله وليكن من الشاكرين على هذه النعم ."[٣]"

ودلالة الآية ظاهرة من خلال قول ربنا لنبيه موسى عليه السلام (**وكن من الشاكرين**) حيث كان ذلك بعد تنزيه الله تعالى وتقديسه وإجلاله ومعرفة عظمته وقدرته ، والذي يبين ارتباط ذك بالشكر ، لذلك أمر الله به بعد التنزيه .

---

[١] - سورة لقمان (12-13)
[٢] - سورة الأعراف (143-144)
[٣] - تفسير السعدي ص302

فالذي يشكر الله تعالى موحدا له مستسلما لدينه منقادا يقتضي منه أن ينزه الله تعالى ويقدسه تعظيما وإجلالا عن كل ما لا يليق كما بدر ذلك من موسى عليه السلام .

ليتبين لنا أن الشكر كما تقتضيه ربوبية ربنا تعالى ، أيضا لا يكمل توحيد العبد ولا يتحقق إلا إذا نزه الله تعالى وقدسه واجله ."[1]"

[1] - من الآيات التي تقتضي الشكر والتنزيه (الإسراء1-3 ، الفرقان61-62 ، الواقعة68-74)

المطلب السابع / اقتضاء التقوى عدم الإشراك بالله

أحد أعمال القلوب التي تقتضيها ربوبية ربنا تعالى على خلقه .

واصلها أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه

وهي الطريق الموصل إلى مرضاة الله ، وقد أمر بها ربنا جل شأنه في آيات كثيرة وكان مما أوصى به عباده الأولين والآخرين ، فقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ "[١]"

وقد جاء في كتاب الله ما يبين ويدل على أن التقوى تقتضي عدم الإشراك بالله .

قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ "[٢]"

اخبر الله سبحانه عباده عن عموم ملكه الواسع والمستلزم تدبيره بجميع أنواع التدبير ، حيث أوصى الأولين والآخرين وأهل الكتب السابقة بالتقوى المتضمنة للأمر والنهي والتشريع والجزاء والعقاب لمن جاء بها ولمن فرط فيها ، واعتبر تركها شركا لم ينزل الله به من سلطان ، ولا تضر إلا بصاحبها الذي لن يُغْنِيَ من الله شيئا ولن يُنْقِص شيئا من ملكه ، بل له عبيد وأناس خير وأفضل منكم مطيعون له خاضعون لأمره ."[٣]"

ودلالة الآية واضحة حيث اعتبر ربنا تعالى التقوى أصل التوحيد والعبادة ، فمن اتقى الله كان موحدا ومن كفر لم يكن من المتقين ، وهذا يعني أن العبد إذا اتقى الله ربه بما اقتضته ربوبيته لا يمكن أن يصدر منه شرك لله أو تقصير في حقه ، بل على العكس بتوحيده وإيمانه هو متقٍ لله محققا للتوحيد الذي أراده ربنا .

[١] - سورة النساء (131)
[٢] - نفسه
[٣] - تفسير السعدي ص207

والرسل والأنبياء كان أول حديثهم لأقوامهم في سورة الشعراء :

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ "[١]"

ودلالة الآية ظاهرة أيضا من أقوام الأنبياء لما بعثهم الله إليهم كانوا على الشرك والكفر ولم يكونوا موحدين ، فلما أراد الرسل دعوتهم إلى توحيد الله خاطبهم بالتقوى ، لأنها أصل التوحيد ، ولان من اتقى الله حق التقوى كان مؤمنا به مستسلما لدينه ولا يمكن أن يصدر منه شرك وقد ملئ قلبه بالتقوى والخشية من الله تعالى .

وهذا يعني أن حقيقة التقوى تقتضي عدم الشرك بالله تعالى أو الوقوع في شيء منه ولو كان يسيرا لان ذلك يعتبر منافيا لكمال التوحيد .

وجاء في التنزيه والثناء عليه سبحانه من الشرك

قوله تعالى : **﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۞ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾** "[٢]"

دلت الآيتين على انه تعالى انزل هذا القران باللسان العربي ونوع فيه من الآيات فتارة يذكر فيه أسمائه الدالة على العدل والانتقام وتارة يذكر آثار الذنوب وما تكسبه من العيوب وتارة يخوفهم بأهوال يوم القيامة وبجهنم وأصناف العذاب فيها كل ذلك لعله يجد منهم تقوى وخشية فيتركون المعاصي وما يضرهم ، أو يكون ذكرا لهم فينفعهم وينتفعون به وبما فيه من الطاعات .

ثم نزه سبحانه نفسه وارتفع وتقدس عن كل نقص وآفة وهو الملك الحق القائم بالسموات والأرض وما فيهما .

[١] - سورة الشعراء (106-110)

[٢] - سورة طه (113-114)

ودلالة الآية انه سبحانه اعتبر التقوى أصل التوحيد كما ذكرنا ثم ، فمن امن فقد اتقى ومن لم يتق الله فهو كافر ، وبعد ما ذكر تنوع كتاب الكريم وتصريفه وكونه عربيا لا يمكن أن يصعب على احد ، نزه نفسه بعد ذلك وأثنى عليها وتقدس إجلالا عن كل ما لا يليق .

ليظهر لنا كيف أن تقوى الله والإيمان به يستلزم ويقتضي تنزيهه كما نزه نفسه .

المبحث الثاني

موافقة عمل القلب عمل الجوارح

لا يمكن أن يخفى على أي عبد كائنا من كان العلاقة والأثر الذي يظهر على الإنسان حينما يعتقد شيئا أو يؤمن به ، فإنه لا بد أن يظهر اثر هذا الاعتقاد على جوارحه وفي أقواله .
وقد أشرنا إلى شيء من ذلك فيما تقدم ."[1]"

ومن خلال الأسطر الآتية نحاول بيان الدلائل والعلامات التي تبين أن عمل القلب موافق لعمل الجوارح ولا يمكن الاعتبار بأحدهما دون الآخر ، وأن التلازم بينهما وارد فما كان في القلب ظهر على الجوارح ، وما عملته الجوارح تأثر القلب به .

يقول شيخ الإسلام في بيان هذا التلازم :
(وإذا قام بالقلب التصديق به والمحبة له لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة؛ والأعمال الظاهرة فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه ؛ ودليله ومعلوله كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضا تأثير فيما في القلب. فكل منهما يؤثر في الآخر لكن القلب هو الأصل ، والبدن فرع له والفرع يستمد من أصله ، والأصل يثبت ويقوى بفرعه) "[2]"

والسعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة ما هي إلا ثمرة موافقة عمل القلب للجوارح وليس لأحدهما الانفكاك عن الآخر .

---

[1] - راجع الفصل الثالث من هذا المبحث (علاقة العقيدة بالعمل) ص140

[2] - مجموع الفتاوى لابن تيمية 541/7

ثم إن القول بهذا التلازم وتحريره والاعتراف به هو ما يميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم ممن خالفهم في مثل هذه المسائل كالمرجئة ومن قال بقولهم ، لذلك كان يجب علينا بيان هذه المسائل وتوضيحها حتى يميز الخبيث من الطيب والنافع من الضار ، هدانا الله وإياكم ووفقنا للصواب .

ويمكن أن نلخص ونبين الدلائل التي تبين علاقة وموافقة العمل القلبي بالعمل الظاهر فيما يأتي :

أولا / وجود التلازم الظاهر بين عمل القلب وعمل الجوارح

فما يعتقده القلب ويدين به ظاهرٌ ولا بد على جارحته قولا أو عملا ، وكذلك العكس من اعتاد فعل الشيء دون اعتقاده أو الإيمان به فإن أثر هذا العمل لاحق أثره على قلبه .

وأدلة كتاب الله تعالى وكذلك السنة أكثر من أن تحصى .

منها قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ "[1]"

وقوله تعالى : **﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ﴾** "[2]"

وقد أشرنا إليها وبيناها من قبل . "[3]"

وقد جاء في السنة قوله ﷺ :

((**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب**)) "[4]"

نجد أن في هذا الحديث قاعدة تبين أنه لا يمكن صلاح القلوب إلا بصلاح الأعمال ، ولا صلاح الأعمال إلا بصلاح القلوب ، وهذا هو عين التلازم .

---

[1] - سورة المائدة (81)

[2] - سورة المجادلة (22)

[3] - راجع الفصل الثالث من هذا البحث (مقتضيات توحيد الربوبية) ص140-141

[4] - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان / باب فضل من استبرأ لدينه / ح52/ج1/ص20 ، ومسلم في كتاب المساقاة / باب اخذ الحرام وترك الشبهات / ح1599/ج3/ص1219

يقول شيخ الإسلام بن تيمية في تأصيل هذه القاعدة :

(فأصل الإيمان في القلب وهو قول القلب وعمله وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه) "[1]"

فبحسب زيادة الإيمان ونقصانه في القلب تكون الزيادة والنقصان ظاهرة على الجوارح .

واخطأ كثير من الناس لما جعلوا عمل القلب لا يدخل في عمل الجوارح كالمرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان ، فظهر بسببهم من أطالوا الشوارب وقصوا اللحى وتشبهوا بالكفار وخالفوا سنة المصطفى ، وإذا سئل الواحد منهم عن ذلك قال : الإيمان في القلب

فإن كان الإيمان في القلب كما يزعمون ، ما بال أثره لم يظهر على الجوارح ؟؟!

فكل عمل تعمله الجوارح يصدقه القلب ، وما صدقه القلب عملته الجوارح فهي دليل عليه وشاهد له وشعبة من شعب الإيمان المطلق عليه وبعض ما في القلب أصل لما في الجوارح ."[2]"

والذي يؤيد ما ذكرنا أيضا أن الإيمان وإن كان معناه عمل القلب إلا أن النبي ﷺ فسره مرة بأعمال الإسلام الظاهرة لما قال لوفد عبد القيس :

((**أتدرون ما الإيمان بالله وحده**)) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ((**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس**)) "[3]"

وفي حديث جبريل المشهور أو حديث عمر فسر الإيمان بالأعمال الباطنة وفسر الأعمال الظاهرة بالإسلام ، فقال ﷺ :

((**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**)) ، قال :

---

[1] - الفتاوى لابن تيمية 643/7

[2] - مجموع الفتاوى 644/7

[3] - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان / باب أداء الخمس من الإيمان /ح53/ج1/ص20 ، ومسلم في كتاب الإيمان / باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله /ح17/ج1/ص47

صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ، ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال : ((**أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره**)) "[1]"

والصلاة عمل سماها الله تعالى في كتابه بالإيمان ، قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ "[2]"

ولا شك أن الصلاة أعظم شعب الإيمان بعد الشهادتين ، لذلك أُطلق عليها اسم الإيمان .

وهذه الأعمال الظاهرة لو تصورنا أن أحدهم جاء بها كاملة دون إخلاص ونية فهل يعد مسلم وتقبل منه ؟! بالطبع لا ، لانتفاء الأصل الذي تبنى عليه ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ "[3]"

والحديث : ((**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**)) "[4]"

وهذا كله وغيره يبين التلازم الذي ذكرنا ويدل على موافقة عمل القلب لعمل الجوارح وعدم انفكاك أحدهما عن الآخر .

---

[1] - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب معرفة الإسلام والإيمان والقدر والساعة /ح8/ج1/ص36

[2] - سورة البقرة (143)

[3] - سورة البينة (5)

[4] - أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي / باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله /ح1/ج1/ص6

الثاني / أن أصل الدين هو الإيمان بالله تعالى وبرسوله وبلقائه في الآخرة.

وهذا الإيمان في أساسه عمل قلبي وعمل الجوارح تابع له .

والإيمان ظاهر وباطن كما أن الكفر ظاهر وباطن ، والأصل وجودهما معا .

وبين تعالى في كثير من آيات كتابه أن تحقيق الإيمان وتصديقه يكون بالأعمال الظاهرة والباطنة معا .

قال تعالى في أول سورة البقرة :

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ "[١]"

فالإيمان بالغيب عمل قلبي والصلاة والنفقة أعمال ظاهرة .

وقال أيضا : **﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾** "[٢]"

فجمع هنا بين إيمان القلب والخوف والتوكل (أعمال قلبية باطنة) وبين إقامة الصلاة والإنفاق (أعمال الجوارح الظاهرة) ثم بين أن الإيمان لا يتحقق إلا بهما .

وقال تعالى : **﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾** "[٣]"

وكثيرا ما يقترن الإيمان بالعمل في كتاب الله (**الذين امنوا وعملوا الصالحات**)

ولا يمكن أو يتصور وجود إيمان في القلب مع عدم جميع أعمال الجوارح ، بل ما في القلب هو الأصل ومتى ما نقص عمل الجوارح كان لنقص ما في القلب ومتى ما قوي وزاد الإيمان في القلب زاد وظهر في الجوارح ."[٤]"

لكن أن يوجد في القلب بقوة دون العمل فهذا يستحيل .

[١] - سورة البقرة (2-3)
[٢] - سورة الأنفال (2-4)
[٣] - سورة النساء (65)
[٤] - مجموع الفتاوى 198/7

الثالث / أن الله تعالى جعل الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة على سلامة القلب وإيمانه وعلى الأعمال

وهذا الإيمان أساسه العمل ، فلا يمكن أبدا ولا بحال من الأحوال أن نظن أنه تعالى قصد بالإيمان التسليم بالقلب فقط دون العمل .

قال تعالى عن ثواب أهل الجنة :

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ "[١]"

وهنا سمى الله تعالى الإيمان عملا أثاب المؤمنون عليه في الآخرة

وقال تعالى : **﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾** "[٢]"

وسئل النبي ﷺ عن أي العمل أفضل ؟ فقال : ((**إيمان بالله ورسوله**)) "[٣]"

وكان السلف من قبلنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل ، ويعتبرون العمل من الإيمان والإيمان من العمل ، والأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان .

وقال تعالى : **﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾** "[٤]"

فهل يُعقل أن تكون النجاة في الآخرة للقلب السليم المليء بالإيمان دون أي عمل ظاهر .؟!

وقال تعالى أيضا : **﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾** "[٥]"

ومثلها من الآيات كثير والتي جاءت في مدح القلوب الحية النابضة بالخشوع واللين والخشية لله والوجل عند ذكر وعيده ، والاطمئنان عند ذكر وعده ، والمحبة له ، والتوكل عليه وغيرها من أعمال القلوب .

منها قوله تعالى : **﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾** "[٦]"

وقوله : **﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾** "[٧]"

---

[١] - سورة الزخرف (72)
[٢] - سورة الصافات (61)
[٣] - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان / باب من قال أن الإيمان هو العمل /ح26/ج1/ص14
[٤] - سورة الشعراء (88-89)
[٥] - سورة ق (31-33)
[٦] - سورة الحديد (16)
[٧] - سورة الأنفال (2)

وفي المقابل جاءت النصوص التي تذم القلوب الميتة المريضة والقاسية والمظلمة والخالية من ذكر الله .
قال تعالى في ذلك :
﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ "[١]"
وقوله تعالى : **﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾** "[٢]"
وقال أيضا : **﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾** "[٣]"
فهذه جميعها تبين أن المؤمن الحق من آمن قلبه وتبع إيمان قلبه عمل ، وكذلك في المقابل الذي فسد قلبه تبع هذا الفساد خلل في أعماله وترك لها حتى ذمه الله بما قلبه كونه هو الأصل .

الرابع / أن من لم يأت بعمل الجوارح فهو كافر كفرا لا يثبت معه توحيد

وهذا الأمر نقول فيه للذين يزعمون أنه يمكن الاستغناء بعمل القلب دون الجوارح أو أن عمل القلب الباطن لا علاقة له بالظاهر فكيف يحكم الله تعالى بكفر من لم يأت بشيء منه ولو كان قد نطق بالشهادتين وامن بالله وبالرسل واعتقد أركان الإيمان كاملة ثم لم تنقاد جوارحه لشيء منها .
والصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح وجميع أهل السنة مجمعون على كفر تارك الصلاة ، أو تارك أعمال الإسلام بالكلية .
لان الإيمان قول وعمل والقول تصديق قلبي لكل ما جاء به الرسول والعمل تصديق لهذا القول .
وحقيقة الإيمان العمل وبه تكون النجاة وليس التصديق فقط ، فكل لفظ إيمان في كتاب الله أو في سنته يشمل القول والعمل وليس القول فقط .
والإسلام والإيمان مرتبطان ببعضهما ، بل هما كالشيء الواحد لأنه لا إسلام لمن لا إيمان له ، ولا إيمان لمن لا إسلام له .
ولا يمكن أن يخلو المؤمن من إسلام يصح به إيمانه والعكس ، وتحقيق الإيمان يكون بالاثنين معا كما قال تعالى في ذلك :
﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾ "[٤]"

---
[١] - سورة البقرة (74)
[٢] - سورة المائدة (13)
[٣] - سورة الزمر (22)
[٤] - سورة الأنبياء (94)

وقال أيضا : ﴿ **وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى** ﴾ "[١]"
فمن أظهر أعمال الإسلام دون إيمان القلب كان منافقا ، ومن ترك أعمال الإسلام مع زعمه بإيمان القلب كان كافرا ، ومن حقق الأمرين معا (الإيمان والإسلام) كان مؤمنا .
فمن كان مؤمنا ثم ترك أعمال الإسلام ذهب إيمانه وتوحيده ، وأصبح كافرا ، لأنه لا إيمان إلا بعمل

الخامس / أن من لم يأت بعمل الجوارح مع علمه بها وتمكنه منها لا يدل ذلك إلا على نفاق قلبه .

فلا يمكن أن يوجد شخص مؤمنا بالله إيمانا صادقا يعلم أن الله فرض عليه الصلاة والصيام والزكاة والحج ثم يعيش دهره باسم الإيمان ولم يسجد لله سجدة ، بل هذا الأمر عين النفاق ولا يسمى هذا مؤمنا

[١] - سورة طه (75)

المبحث الثالث

الآثار التي يجنيها العبد من تحقيق مقتضى التوحيد

بعد حديثنا عن التوحيد وأنواعه ومقتضياته القلبية والعملية ، نصل وإياكم إلى الحديث عن أهم آثار هذا التوحيد والتي يمكن أن يجني العبد ثمراتها في الدنيا وكذلك في الآخرة .

وهذه الآثار هي مما يقوي إيمان العبد بربه ويزيد صلته به واستشعار عظمة ربه وحكمته وقدرته فيما يحقق له في دنياه وما يعاينه من معية ربه وتوفيقه ونصرته وتأييده ، وما ذلك إلا لأنه حقق المطلوب منه وهو تحقيق التوحيد فأراه ربه ثمرة إيمانه وتوحيده ليثبت عليه وليجزيه بأعظم منه في آخرته ودار قراره .

هناك ثمرات عامة تظهر على المؤمنين الموحدين في الدنيا يراها ويبصراها المؤمن نفسه ومن خلالها تظهر حكمة الله تعالى في الأرض ويظهر الدين الحق ويعلو الحق على الباطل والشر على الخير والصلاح على الفساد .

ومن كان من أهل التوحيد نال الخير كله .

ومن هذه الآثار أن أهل التوحيد هم أهل النجاة **في الدنيا** وتوحيدهم سبب فلاحهم وفوزهم ورفعتهم عن غيرهم .

فالله تعالى ييسر أمورهم ويجعل لهم مخرجا من كل ضيق وفرجا من كل شدة ويرزقهم من حيث لا يحتسبون وينصرهم على عدوهم ويرد كيد أعدائهم ويمدهم بمدد من عنده ويحفظهم من أذى الشياطين ويحقق لهم خلافة الأرض .

وأهل التوحيد هم أهل الرضا والصبر والثبات والتفاؤل في الدنيا وهم أهل سلامة الصدر وخلوه من البغض والغل والحسد ، ولا كرامة وعزة إلا لمن اتبع الدين الحق .

وهم أهل السعادة الحقيقية وأكثر الناس اطمئنانا وراحة في القلب .

أما في الآخرة فهم أهل الثواب العظيم ودخول الجنة والفوز بنعيمها وما اعد الله لهم فيها .

والله تعالى يكفر عنهم سيئاتهم ويعفو عنهم ويغفر لهم ويثقل ميزان حسناتهم ويؤمنهم من أهوال الفزع الأكبر وينالون شفاعته ﷺ .

وغيرها كثير لا يمكن أن يحصى لو أردنا تفصيلها ، لكن يكفي أن نذكر الأبرز منها والذي دلت عليه أكثر الآيات في كتاب الله .

1/ أهم الآثار والثمرات في الدنيا

أولا / قبول العمل

فإن من أهم ما يقلق المؤمن في الدنيا أقبل عمله أم لا ؟

فهو أحد ثمرات الإخلاص لله والمتابعة لرسوله وكان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر ما يخشون ذلك ، فكانوا يعملون العمل ويجتهدون فيه ثم يخشون إلا يقبل منهم

قال الله تعالى عنهم : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ "[١]"

وجاء في الحديث قوله ﷺ :

((**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه**)) "[٢]"

فما دام العبد مقبلا إلى ربه معترفا بنعمه شاكرا لها بتوحيده كان ممن تقبل أعمالهم .

وكذلك التقوى والخشية من الله احد أسباب قبول الأعمال

قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ "[٣]"

فكل من وحد الله اتقاء عذابه وقاه الله ما يخشاه وكان من أهل قبول العمل .

الثاني / حماية النفس من الشياطين

فالله تعالى يحفظ العبد من الشياطين ومن أذاهم وتسلطهم ما دام مقبلا على الله موحدا مخلصا العمل له .

قال تعالى : ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ "[٤]"

فوسوسة الشياطين لا يمكن أن تكون إلا للعصاة أما من تحصن بالإخلاص فلا سبيل لهم إليه ، وحتى إبليس نفسه علم أن لا سبيل له إليهم لان ربهم سوف يحفظهم من كيده

فلما علم أنه عاجز من جميع الوجوه وأنه لن يضل أحدا إلا بمشيئة الله ، استعان بعزته تعالى على إغواء ذرية آدم ."[٥]"

[١] - سورة المؤمنون (60)

[٢] - أخرجه النسائي في السنن الكبرى 286/4 واللفظ له ، والطبراني في المعجم الكبير 140/8 ، والبيهقي في الشعب 179/9 ، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة وقال : إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيح 624/6

[٣] - سورة المائدة (27)

[٤] - سورة ص (82-83)

[٥] - تفسير السعدي ص716

وكذلك الله تعالى يقي عباده المتوكلين من كيد الشياطين ، حيث قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ "[١]"

وفي الحديث قال ﷺ : ((**إذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : يقال حينئذ : هديت وكفيت ووقيت فتتنحى له الشياطين**)) "[٢]"

فالله تعالى هو الكافي والحسيب لمن يتوكل عليه ويستعين فينجيه ويقيه ويكفيه تسلط الشياطين والجن وأذاهم .

قال تعالى : **﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾** "[٣]"

وبالتالي فإن كل من كفاه الله كان في حفظه تعالى وحمايته ، حيث قال تعالى :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ "[٤]"

فالتقوى هاهنا من أعظم أسباب الحماية والحفظ بفضل الله تعالى للرجل ولذريته من بعده .

الثالث / النجاة من الفتن

فالله تعالى ينجي المؤمنين والصالحين من الفتن لأنهم أهل توحيده ، فلا يصيبهم ما يصيب غيرهم من فتنة الدين والدنيا .

وقد خلّص الله تعالى نبيه يوسف عليه السلام من كيد امرأة العزيز لإخلاصه وصدق لجوؤه إلى ربه قال تعالى : **﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾** "[٥]"

وهذا ثواب الله لأنبيائه وعباده الصالحين أنه تعالى يصرف عنهم الفتن وكيد الشياطين ، فيكون توحيد العبد واستقامته حرزا له من الوقوع في الشهوات والمحرمات .

وكذلك فالله تعالى ينجي عباده المتقين من عذاب الدنيا ومصائبها ،

---

[١] - سورة المجادلة (10)

[٢] - أخرجه أبو داوود في سننه 425/7 واللفظ له ، والبزار في مسنده 83/13 ، والنسائي في الكبرى 39/9 ، والبيهقي في سننه 411/5 ، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير 148/1

[٣] - سورة الطلاق (3)

[٤] - سورة النساء (9)

[٥] - سورة يوسف (24)

قال تعالى : ﴿ **وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ "[١]"

فكانت نجاتهم بسبب تقواهم الله وخشيتهم منه وتوحيده دون الإشراك به .

الرابع / رضا الله عنهم ورضاهم عنه

فالمؤمن الموحد يجد ثواب طاعته واجتهاده وعمله في الدنيا قبل الآخرة وهو إحدى ثمرات الإيمان الصادق المستسلم المنقاد لربه .

ومن تلك الثمرات الرضا فهي نعمة عظيمة لا يصل إليها كل مخلوق ولن ينالها جاحد أو مرتاب أو شاك في الله تعالى .

والرضا والتفاؤل الذي يشعر به المؤمن في الدنيا سببه التوحيد الخالص وإتباعه الدين الحق .

فنجده قلما يصيبه اليأس أو الملل في الدنيا أو التضجر والتبرم من قضاء الله وأقداره فيهم .

فرضا ربهم عنهم لتحقيقهم التوحيد على الوجه الأكمل ، ورضاهم عنه لإيمانهم بكماله وجلاله وعدله وحكمته وإيقانهم بأن تدبير ربهم أفضل من تدبيرهم واختيارهم ، وانه تعالى أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم والناس أجمعين .

أما تفاؤلهم وأملهم الكبير بما عند ربهم شعور لا يساويه شعور لان الكافر المشرك بعيد جدا عن هذا الأمر ، قنوط يائس من رحمة ربه

قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ** ﴾ "[٢]"

وقال : ﴿ **إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ "[٣]"

والمؤمن بتوحيده يعلم أن ربه موجود متى ما أراده إذا رفع يديه إليه وابتهل وسأل ، فإذا حارب العدو كان واثقا من نصر الله لأنه الله تعالى يقول :

﴿ **وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا** ﴾ "[٤]"

وإذا مرض لم ينقطع أمله في الشفاء لان ربه يقول :﴿ **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** ﴾ "[٥]"

[١] - سورة فصلت (18)
[٢] - سورة الحجر (56)
[٣] - سورة يوسف (87)
[٤] - سورة النساء (45)
[٥] - سورة الشعراء (80)

ومهما اقترف من الذنوب والخطايا يعلم أن ربه يغفرها ويتجاوز عنها فيندم ويعود ولا ييأس لأن ربه غفور رحيم وهو سبحانه القائل :

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ "[١]"

وإن وقع في الشدة والبأس وأصابته المصيبة صبر ورضي بقدر ربه لعلمه أن بعد العسر يسرا وأن الأجر الذي يلاقيه من ربه أعظم بكثير من صبره لما قال تعالى :

﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ "[٢]"

الخامس / زوال الهم وكثرة الأرزاق

فكيف يصيبه الهم والغم وهو ممن تعلق قلبه بالله وعلم أن الأمر كله بيده وانه مأجور على همه وحزنه ، وأن كل ما يصيبه بأمر خالقه الذي لا يقضي ويكتب له إلا لحكمة ورحمة ولطف بعباده .

فلا يغتم إن تأخر رزقه أو ضاقت حاله بل على العكس يظل مسرور القلب منشرح الصدر لان حياته بيد من يخيب ظنه ورجاءه به .

فيكون ثمرة ذلك كله أن يبارك الله له في رزقه ويزيده ويبعد عنه كل ما يغمه في دنياه .

التقوى سبب للرزق ومخرج من الضيق وتسهيل الأمور

قال تعالى : **﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾** "[٣]"

يسوق له الرزق من حيث لا يحتسب ولا يشعر .

وقال : **﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾** "[٤]"

فتسهيل الأمور وتيسير كل عسير وسوق الأرزاق والبركة فيها ثمرة التقوى والتوكل والرضا .

[١] - سورة الزمر (53)
[٢] - سورة البقرة (157)
[٣] - سورة الطلاق (2-3)
[٤] - سورة الطلاق (4)

قال ﷺ في رزق المتوكلين : ((**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا**)) "[١]"

السادس / تفريج الكربات

فهو سبحانه فارج الهموم وكاشف الغموم لعباده المؤمنين المتقين المخلصين له على الدوام .

ومن ذلك حديث الثلاثة نفر الذين دخلوا الغار فحبستهم الصخرة فسأل كل واحد منهم ربه بما عنده وكانوا يقولون ((**اللهم إن كنت تعلم إني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا**)) ."[٢]"

فهؤلاء أخلصوا لله العمل فكان ثوابهم في الدنيا الفرج بعد الشدة وفي الآخرة يجازيهم ربهم بالثواب العظيم ودخول الجنة .

السابع / محبة الله لهم وإكرامهم

فالله يحب المؤمنين والموحدين وكل من استقام على هذا الدين ، وكيف لا يحبهم وهم أهل طاعته واستجابة أوامره وإتباع رسله والاقتداء بهم .

وكرامة العبد قبل أي شيء تكون في كونه إنسانا كرمه الله عن سائر المخلوقات في الكون كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ﴾ "[٣]"

ثم في إتباعه للدين الحق حيث يشعر بالكرامة والعزة والاستعلاء والحرية لثقته بأن الإسلام خير من كل الأديان وأنه يعلى ولا يعلى عليه

قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ "[٤]"

وقال مخاطبا رسوله والمؤمنين : ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ "[٥]"

فالذلة والمهانة والصغار للمشركين والكافرين والعلو والعزة والكرامة للمؤمنين .

---

[١] - أخرجه ابن ماجه 266/5 واللفظ له ، والإمام احمد 252/1 في مسنده ، والبزار في مسنده 476/1 ، وابن حبان في صحيحه 509/2 ، والحاكم في المستدرك 354/4 ، صححه الألباني وقال : صحيح على شرط مسلم ورجاله رجال الشيخين . السلسلة الصحيحة 620/1

[٢] - أخرجه البخاري في كتاب البيوع / باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه / ح2215/ج3/ص79 ، ومسلم في كتاب الرقاق / باب قصة أصحاب الغار / ح2743/ج4/ص2099 .

[٣] - سورة الإسراء (70)

[٤] - سورة المنافقون (8)

[٥] - سورة آل عمران (139)

وفي محبته تعالى كثيرا ما يذكر في كتابه انه يحب الذين يستقيمون ويلتزمون بطاعته ويستجيبون لأوامره ، فذكر أنه يحب المتوكلين لأنه أمرهم بالتوكل ، ويحب المحسنين وقد أمرهم من قبل بالإحسان ويحب المتقين والصابرين والمقسطين ويحب التوابين والمتطهرين .

قال تعالى : ﴿ **وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ "[١]"

وقال : ﴿ **بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ "[٢]"

الثامن / النصرة على العدو

فتعلق قلب المؤمن بربه كما ذكرنا يجعله متفائلا متأملا الخير عند لقاء العدو ، فيقدم عليه بكل ما أوتي من قوة ولا يجبن ولا يخشى في الله لومة لائم لثقته أن ربه ناصره ومعينه حافظه من كيدهم وتربصهم .

قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا** ﴾ "[٣]"

فلا يزالون في حفظ الله ورعايته لا يصل إليهم العدو ، قال تعالى :

﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ "[٤]"

وقال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ** ﴾ "[٥]"

وقال تعالى : ﴿ **بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ** ﴾ "[٦]"

التاسع / التمكين في الأرض

أهل الإيمان وأهل التوحيد هم أهل التمكين والاستخلاف في الأرض والله تعالى وعد عباده المؤمنين الموحدين بذلك ما داموا يحققون التوحيد ويأتون به كما أراده تعالى .

---

[١] - سورة البقرة (195)
[٢] - سورة آل عمران (76)
[٣] - سورة آل عمران (120)
[٤] - سورة البقرة (194)
[٥] - سورة آل عمران (173-174)
[٦] - سورة آل عمران (125)

قال تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾ "[١]"

فجعل سبحانه عدم الإشراك به شرطا لسيادة الأرض والخلافة فيها وإظهار الدين وعلوه على غيره من الأديان وانتشار الأمن والأمان في ديارهم .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ "[٢]"

لأن العاقبة الحسنة لا تكون إلا للموحدين المتقين القائمين بدين الله كما ينبغي .

وقال تعالى : ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا** ﴾ "[٣]"

---

[١] - سورة النور (55)
[٢] - سورة الأعراف (128)
[٣] - سورة الأعراف (137)

2/ الثمرات التي يجنيها العباد في الآخرة :

أولا / الفوز بالجنة والنجاة من النار

وهي أقصى غايات العبد في الدنيا ، ومن دخلها نال رضى الله وثوابه .

حيث ينجيهم الله تعالى من عذاب النار ويبعدهم عنها بدخولهم جنته ورحمته التي كتبها لمن يشاء من عباده .

قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** ﴾ "[١]"

وقال في ثواب الموحدين : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ "[٢]"

وقال تعالى في عاقبة المتقين :

﴿ **تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا** ﴾ "[٣]"

فكانت الجنة ميراثهم الذي ورثوه جزاء أعمالهم وتقواهم لربهم في الدنيا ، "[٤]" وأكثر ما ذكرت الجنة ثوابا لهم لان التقوى هي جماع كل الأعمال .

وسئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : ((**التقوى وحسن الخلق**)) "[٥]"

وكانت أيضا ثمرة للصابرين والمتوكلين فقال تعالى :

﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۞ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ "[٦]"

وكانت ثمرة لرضاهم بربهم وجزاء رضاه عنهم :

﴿ **قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ "[٧]"

وليس هناك شقاء ولا تعاسة بعد دخولها ، فقد ذكر تعالى أصناف من النعيم والثواب الذي يلاقونه فيها بعد دخولهم ذكره في آيات كثيرة .

---

[١] - سورة آل عمران (185)

[٢] - سورة هود (23)

[٣] - سورة مريم (63)

[٤] - تفسير الطبري 222/18

[٥] - أخرجه ابن ماجه 318/5 واللفظ له ، والإمام احمد 435/15 ،

[٦] - سورة العنكبوت (58-59)

[٧] - سورة المائدة (119)

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ "[١]"

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۞ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ۞ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۞يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۞ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۞ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۞ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۞ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ "[٢]"

الثاني / مغفرة الذنوب وتكفير السيئات

ومن هذه الثمرات رضا الله تعالى عنهم في الآخرة ومغفرة ذنوبهم وسيئاتهم والعفو والصفح عنهم يوم القيامة ، وهي عامة لكل مسلم مؤمن موحد يشهد أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله فإن الله يتجاوز عنه ويدخله جنته .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ "[٣]"

ووصف الله تعالى عباده المتقين بذلك حين قال :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ "[٤]"

فالله تعالى جزاء تقواهم يغفر لهم ذنوبهم كبيرها وصغيرها ويؤتيهم الأجر العظيم لأنهم اثروا رضاه على هوى أنفسهم ."[٥]"

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ "[٦]"

وكذلك من نطق بالشهادتين وختمت حياته بخاتمة حسنة كان ممن تشملهم مغفرة الذنوب والسيئات ، ومن قال لا اله إلا الله خالصا بها لله كما في الحديث قال ﷺ :

((**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار**)) "[٧]"

[١] - سورة آل عمران (15)
[٢] - سورة الصافات (41-49)
[٣] - سورة النساء (48)
[٤] - سورة الطلاق (5)
[٥] - تفسير السعدي ص319
[٦] - سورة الأحقاف (16)
[٧] - أخرجه البخاري في كتاب العلم / باب من خص بالعلم قوما دون قوم /ح128/ج1/ص137

الثالث / إدراك ونيل شفاعته ﷺ

حيث يشفع فيها للمسلمين الموحدين من أمته وللعصاة ولأصحاب الكبائر وذلك من فضل الله تعالى لنبيه وفضل أمته .

قال ﷺ :

((**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه**)) "[١]"

وهذه الشفاعة تكون لأهل الموقف ولمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم وكذلك في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب وللمؤمنين في رفع درجاتهم في الجنة ، أو أقوام استحقوا النار فلا يدخلوها ، أو لمن دخلها من أهل الكبائر فيخرج منها وغيرها .

الرابع / الأمن من الفزع الأكبر

وأهل التوحيد آمنون من أهوال يوم القيامة ومن فزعها جزاء إيمانهم وتسليمهم لربهم ، لا يصيبهم ولا يلحقهم ما يصيب غيرهم من الفزع والخوف ، فكما نجاهم الله من فتن الدنيا وعذابها ينجيهم يوم القارعة ويوم التغابن فيسهل عليهم الحساب وتثقل موازينهم وييسر الله لهم المرور على الصراط ويَرِدُون حوضه ﷺ إن كانوا أهلا لذلك .

وقد ذكر الله تعالى هذا الأمن في قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ "[٢]"

فالظلم هو الشرك ، وهم أهل توحيد وإيمان لذلك أثابهم الله بالأمان في الدنيا والآخرة .

وقال تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۞ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾** "[٣]"

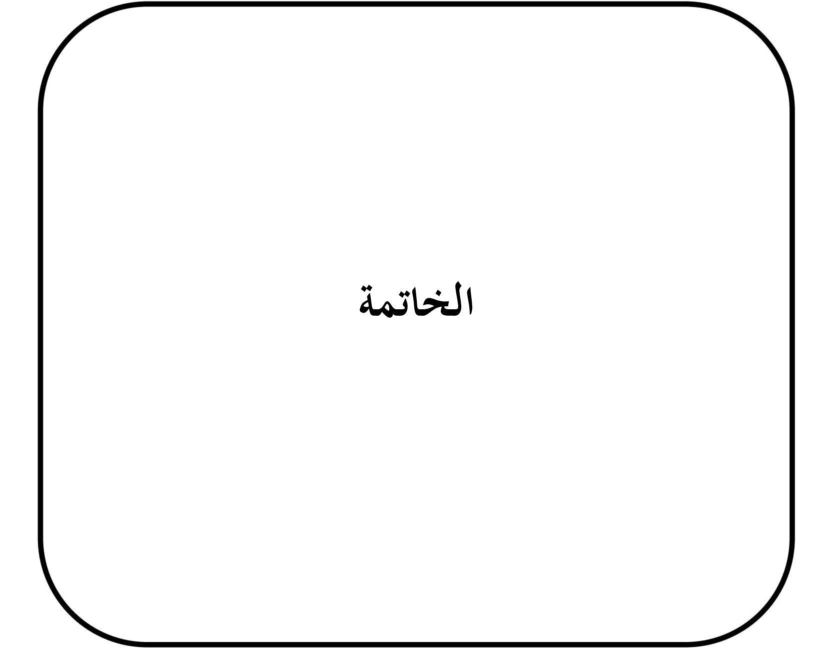
وهكذا نكون قد بينا ثمار التوحيد وأهله وعواقبه في الدارين .

---

[١] - أخرجه البخاري في كتاب العلم / باب الحرص على الحديث / ح99/ج1/ص31

[٢] - سورة الأنعام (82)

[٣] - سورة الأنبياء (101-103)



الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خير الخلق في البريات ، محمد بن عبد الله المبعوث بخاتمة النبوات ، وبعد

فقد انتهيت بفضل الله من دلائل توحيد الربوبية ومقتضياته ، وخرجت بجملة من نتائج البحث أختصرها فيما يلي :

- أن التوحيد في اللغة والاصطلاح يدل على الإفراد والوحدانية والعبادة وتحقيق الشهادتين .

فالله هو الأوحد والمتوحد وذو الوحدانية ومن صفاته الواحد الأحد "[1]"، وأما اسم الله عز وجل أحد فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره "[2]"

فالوحدانية لله والتوحيد الإقرار بها . قال تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ "[3]"

وكذلك هو سبحانه الواحد في الذات والواحد في الصفات وحقيقة هذين الأمرين هي إفراده سبحانه بأنواع التوحيد الثلاثة أو بالنفي والإثبات كما في شهادة التوحيد .

- توحيد الربوبية هو الأساس والأصل إذا جيئ به على الوجه الأكمل باعتباره العقيدة والإسلام والدين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين

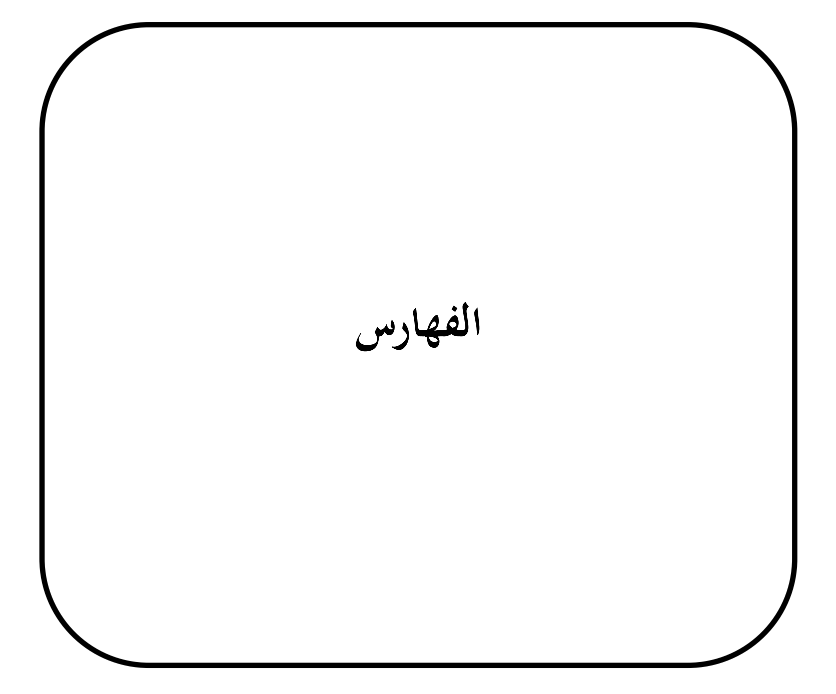
- دلالات ربوبية الله على خلقه كثيرة ومتنوعة وواضحة جلية ولا يمكن لكافر أو ملحد تجاهلها وانكارها وكل عاقل يفهمها ويدركها إلا من أبى لأنها مبنية على مخاطبة العقل واستثارة الفكر وإيقاظ الفطر في النفوس وجميع ذلك كان مما حواه كتاب الله عامة وآيات التوحيد خاصة
- استعمل القران الكريم في دعوته إلى توحيد الربوبية الأدلة العقلية وان دلالته للتوحيد سمعية عقلية ويخطئ من يظن انه ليس في القران دليل عقلي

---

[1] - القاموس المحيط / مجد الدين أبو طاهر محمد الفيروزابادي ص324
[2] - تهذيب اللغة / أبو منصور محمد بن احمد الأزهري 127/5
[3] - سورة الإخلاص (1)

- أفعال الله تعالى وربوبيته من الخلق والرزق والملك وما يدخل فيها من المعاني تقتضي كل منها تحرك الجوارح استجابة وطاعة لله أو على الأقل شكرا له جلّ شأنه جزاء أفعاله وبما له من فضل لا يستحق إلا التسليم بالربوبية والتوحيد والإفراد له بنفي الشرك وهو الأمر الذي من أجله وجدت المخلوقات .
- أن أعمال القلوب عليها مدار القبول والعمل وآيات التوحيد جميعها تقتضيها ، ولذة العبادة والطمأنينة فيها والأُنس بها، وقرة العين، وراحة النفس وانشراح الصدر لا تكون إلا بتحقيق أعمال القلوب أثناء القيام بتلك العبادة؛ لأن أعمال القلوب هي روح أعمال الجوارح ، وبالروح تكون اللذة والطمأنينة والأنس ، وإن فارقتها فأعمال الجوارح موات لا روح فيها ولا لذة وطمأنينة ولا أنس .
- التوحيد ضروري لاستقامة الحياة البشرية وصلاحها وبدونها تصبح الحياة فوضى لا معنى لها وجاهلية عمياء وانه لا نجاة في الآخرة إلا بالتوحيد
- واخيرا توحيد الربوبية ينجي العبد المؤمن من الحيرة والشك والاضطراب ، وتسكن روحه ونفسه لأنه امن بالله وعرفه أكثر من غيره ، ويظهر عليه اليقين والطمأنينة والإخبات وصدق التعامل مع الله والاستقامة على أمره ونهيه ، كل خير يصيبه في الدنيا هو ثمرة من ثمرات التوحيد ومقتضاه .

وصلِ اللهم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



الفهارس

أولاً : فهرس الآيات

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	﴿ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾	60	124
	﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾	74	243
	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾	143	240
	﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾	157	250
	﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾	164	122
	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾	165	20-151
	﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾	172	164
	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾	194	252
	﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	195	252
	﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	257	9
	﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾	260	86
	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ ثم قال : ﴿ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾	282	144-168
آل	﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا	15	255

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
عمران	الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ﴾		
	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾	31	142
	﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾	76	252
	﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾	120	252
	﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾	125	252
	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	139	251
	﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾	152	141
	﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾	-173 174	252
	﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾	185	254
	﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	189	51
	﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾	191	103
	﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾	195	194

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
النساء	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾	1	100-168
	﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	9	248
	﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾	45	249
	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾	48	73-255
	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾	65	65-210-214-241
	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾	131	234
	﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾	171	227
المائدة	﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ ﴾	1	129
	﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾	13	243

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾	17	51
	﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾	27	247
	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾	44	210
	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	45	210
	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	47	210
	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾	48	133
	﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾	49	210
	﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	50	-65 210
	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	73	57
	﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	76	203
	﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾	81	-140 239
	﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾	96	122
	﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾	119	254

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
الأنعام	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾	35	133
	﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾	57	64-69
	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	59	62
	﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾	62	73
	﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾	73-72	175
	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾	82	256
	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	99	126
	﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾	102	15-157-200
	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾	107	133
	﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾	122	46-48-66
	﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾	142	128

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾	151	-72 219
	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	162	171
	﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾	164	29
الأعراف	﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾	29	217
	﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾	54	117
	﴿ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾	59	197
	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾	75	125
	﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	128	253
	﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾	137	253
	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾	-143 144	232
	﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ	158	202

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾		
	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾	172	80
	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾	179	-91 146
	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	180	21
	﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾	185	-58 -89 103
	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾	188	61
	﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۞ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾	-191 193	-27 -60 201
	﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾	205	178
الأنفال	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ	4-2	-172 -241 242

الصفحة	أرقام الآيات	الآيات	السورة
		يُنْفِقُونَ ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾	
91	22	﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	
46	24	﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾	
151-221	24	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾	التوبة
141	46	﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾	
52	117	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾	
16-43-52	3	﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾	يونس
118	5	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	
49	12	﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ ﴾	
16	31	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾	
87-103	101	﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	
189	3	﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ	هود

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾		
	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾	6	45
	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	23	254
يوسف	﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾	24	248
	﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾	78	249
	﴿ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ﴾	88	49
	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۞ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾	-105 106	103
الرعد	﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾	2	-52 207
	﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾	8	112
	﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾	30	225
إبراهيم	﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	10	79
	﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾	17	48
	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ	33-32	-117 124

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾		
الحجر	﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾	19	120
	﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾	22	125
	﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾	56	249
	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾	98	185
النحل	﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	3	105
	﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ﴾	5	128
	﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾	6	128
	﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۞ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	8-7	-127 128
	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	12	116
	﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	14	122
	﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	15	120
	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾	36	-18 69

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾	48	90
	﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾	66	129
	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾	73	204
	﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾	74	25
	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	78	99
	﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾	80	128
	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ﴾ ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾	81	119-121
الإسراء	﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾	23	68
	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾	57	153
	﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾	67	28-82
	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾	70	93-

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
			251
الكهف	﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾	24	179
	﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾	110	223
مريم	﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾	9	102
	﴿ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾	23	48
	﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾	63	254
	﴿ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾	65	161-229
	﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾	67	102
طه	﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾	44	86
	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾	53	120-125
	﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾	75	244
	﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾	89	204
	﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۞ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾	113-114	235

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾	130	159
	﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾	132	229
الأنبياء	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۞ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ۞ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾	16-18	105
	﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	22	56-70
	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾	25	18-69
	﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾	30	124
	﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾	32	113
	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾	94	243
	﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۞ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾	101-103	256
الحج	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾	34	180
	﴿ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	36	126
	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا	46	91

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾		
	﴿ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾	65	122
	﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾	69	214
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾	78-77	144
المؤمنون	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾	14-12	96
	﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾	18	132
	﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾	21	129
	﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾	32	69
	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾	60	247
	﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	88	52
	﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	91	56
	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ	-115 116	-73 106

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾		
النور	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾	55	253
الفرقان	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۞ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾	2	-113 -134 204
	﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾	3	49
	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾	45	133
	﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾	48	124
	﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾	53	123
	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً ۞ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾	59-58	155
الشعراء	﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾	80	249
	﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾	89-88	242
	﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	-106 110	235

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
النمل	﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾	14	54
	﴿ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	61	123
	﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ ﴿ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾	63	-16 125
	﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾	65	61
	﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾	88	-110 112
القصص	﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾	38	54
	﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾	40	102
	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾	56	130
	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	72-71	133
العنكبوت	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾	11-10	145
	﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	17	-164 207

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾	19	102
	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾	20	102
	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾	41	70
	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۞ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	59-58	254
	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾	61	-28 81
	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾	63	81
	﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾	65	81
الروم	﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾	8	-59 -88 105
	﴿ وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾	19	48
	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾	22	99
	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾	27	59

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾	30	80
	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	40	208
	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾	42	102
	﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾	50	103
لقمان	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	12-13	232
	﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾	20	117
	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ﴾	31	123
السجدة	﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾	7	-97 112
	﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾	16	187
فاطر	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾	3	-51 -174 201
	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾	11	101

الصفحة	أرقام الآيات	الآيات	السورة
122	12	﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾	
16	13	﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴾	
46	22	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾	
125	27	﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾	
22	28	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾	
109	37-33	﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا.... ﴾ إلى قوله ﴿ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾	يس
124	34	﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾	
100	36	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾	
118	40-37	﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۞ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	
122	42-41	﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴾	
-126 -127 163	72-71	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۞ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾	
95	77	﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾	

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾	78-79	59
	﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾	81	106
الصافات	﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾	11	107
	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾	35	19
	﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۝ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۝يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۝ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۝ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾	41-49	255
	﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾	61	242
	﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾	95-96	58-201
	﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾	158-160	220
	﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	180	184
ص	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	27	105
	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾	82-83	247

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
الزمر	﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾	2	20
	﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾	6	96
	﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾	7	221
	﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾	10	168
	﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾	22	243
	﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾	42	48
	﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	53	250
	﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾	54	20
	﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	63-62	-58 157
	﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾	101	16
غافر	﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۞ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ	13-12	212

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	يُنِيبُ ﴾		
	﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ۝ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾	14-13	-149 212
	﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	57	106
	﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾	62	51
	﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	65-64	-97 -182 218
	﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	66	218
	﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾	81	134
فصلت	﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾	12	115
	﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾	18	249
	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾	53	-84 112
الشورى	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	11	-25 63
	﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾	27	112

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
الزخرف	﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾	12	100
	﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾	13	126
	﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	72	242
	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾	87	51
الجاثية	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	13	116
	﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾	24	58
الأحقاف	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾	16	255
	﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾	25-24	125
	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	33	106
محمد	﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾	19	-19 68
الحجرات	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾	2-1	136

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾	15	19
ق	﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۞ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۞ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۞ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾	12-6	-86 -87 114
	﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	15	59
	﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾	33-31	242
	﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾	40-39	229
الذاريات	﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾	7	114
	﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	21-20	-55 93
	﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾	47	114
	﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾	50-49	100
	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	56	-18 -41 -147 -175 -197

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
			200
	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾	58	45
الطور	﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾	5	113
	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾	36-35	-51 101
النجم	﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾	45	101
القمر	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾	49	113
الرحمن	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۞ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾	4-3	129
	﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	21-19	123
	﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	23-22	122
الواقعة	﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۞ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۞ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾	70-68	132
	﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾	82	63
الحديد	﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾	16	242
	﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾	17	46
المجادلة	﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	10	248

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾	22	140-152-222-239
المنافقون	﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	8	251
	﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	10	192
الطلاق	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾	3-2	250
	﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾ ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾	3	113-156-248
	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾	4	250
	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾	5	255
الملك	﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	2	46-149
	﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾	4-3	115
	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾	15	119-120
	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾	30	132

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
القلم	﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ۞فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ۞ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ۞عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾	32-29	224
نوح	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۞ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا... ﴾	14-13	-95 224
المدثر	﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾	7	163
القيامة	﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾	39	101
الإنسان	﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾	24	162
	﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾	25	179
المرسلات	﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾	25	121
	﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴾	27	120
النبأ	﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ إلى قوله ﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾	16-6	-109 119
النازعات	﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾	24	54
	﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾	28-27	107
	﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾	32	120
عبس	﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ إلى قوله ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾	23-17	109
	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۞	32-24	108

السورة	الآيات	أرقام الآيات	الصفحة
	وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾		
الانفطار	﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾	7-6	97
	﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾	8	132
الأعلى	﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾	3	129
الغاشية	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾	17	-90 127
	﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾	18	113
الشمس	﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۞ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۞ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾	6-1	90
التين	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	4	-97 110
	﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾	8	210
العلق	﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾	5-4	129
البينة	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾	5	-149 240
النصر	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾	3	185
الإخلاص	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾	1	-35 258
الناس	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَهِ النَّاسِ ﴾	3-1	29

ثانيا : فهرس الأحاديث والآثار

الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله))	البخاري	18
((إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى))	البخاري	19-33-69
((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة))	الإمام أحمد	19
((لله تسعة وتسعون اسما ، من حفظها دخل الجنة))	مسلم	22
((إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله))	ابن أبي شيبة	33
((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب))	مسلم	64
((لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل الصالح : الكلمة الحسنة))	البخاري	64
((يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟) قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا) قلت : أفلا أبشر الناس ؟ قال : (لا تبشرهم فيتكلوا))	البخاري	73
(أبشروا وبشروا الناس من قال لا إله إلا الله صادقا بها دخل الجنة)	الإمام أحمد	73

الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه))	البخاري	80
((وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم))	مسلم	81
((لا يؤمن أحدكم ، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))	البخاري	137
((ألا وإن في الجسد مضغة : إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب))	البخاري	143-239
((لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه))	ابن أبي شيبة	143
((أسروا ما شئتم ، من أسر سريرة خير ألبسه الله رداءها ، ومن أسر سريرة شر ألبسه الله رداءها))	أبو يوسف الأنصاري	142
((وماذا عمل فيما علم))	ابن أبي شيبة	147
((رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا))	مسلم	158
((كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم))	البخاري	186
((من قال : سبحان الله وبحمده ، في يوم مائة مرة ، حطت خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر))	البخاري	186
((إن أحب الكلام إلى الله : سبحان الله وبحمده))	مسلم	186

الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
((هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون))	البخاري	226
((أتدرون ما الإيمان بالله وحده)) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ((شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس))	البخاري	239
((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)) ، قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ، ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال : ((أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره))	مسلم	240
((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى))	البخاري	240
((إيمان بالله ورسوله))	البخاري	242
((إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه))	النسائي	247
((إذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : يقال حينئذ : هديت وكفيت ووقيت فتتنحى له الشياطين))	أبو داوود	248
((لو أنكم توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا))	ابن ماجه	251
((اللهم إن كنت تعلم إني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا))	البخاري	251
((التقوى وحسن الخلق))	ابن ماجه	254

الحديث	مخرج الحديث	الصفحة
((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار))	البخاري	255
((أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه))	البخاري	256

ثالثاً : فهرس الأعلام والرواة

رابعا : فهرس الفرق والطوائف

خامسا : فهرس المصادر والمراجع

١ – **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد** / سعود بن عبد العزيز بن محمد العريفي / دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع / الطبعة الأولى 1419
٢ – **الأعلام** / خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي / دار العلم للملايين /الطبعة 15/2002.
٣ – **الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية** / آمال بنت عبد العزيز العمرو
٤ – **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف** / علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي / دار احياء التراث العربي / الطبعة الثانية / بدون تاريخ .
٥ – **أبجد العلوم** / أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي / دار ابن حزم للنشر / الطبعة الأولى 1423 هـ- 2002 م
٦ – **أسد الغابة في معرفة الصحابة** / أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري / عز الدين ابن الأثير / تحيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود / دار الكتب العلمية ، ط1، 1415-1994.
٧ – **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد** / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان / مؤسسة الرسالة للنشر / الطبعة الثالثة 1423
٨ – **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** / محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي / دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان /1415 هـ – 1995 م
٩ – **إعراب القرآن** / أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي / علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم / منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة الأولى 1421 هـ
١٠ – **تاج العروس من جواهر القاموس** / محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني / أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي / تحقيق مجموعة من المحققين / دار الهداية للنشر

١١ - **تأويلات أهل السنة** / محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي / تحقيق مجدي باسلوم / دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان / الطبعه الأولى 1426
١٢ - **التحرير والتنوير** / تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد / محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي / الدار التونسية للنشر – تونس / سنة النشر 1984 هـ
١٣ - **التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع)** / تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي / تحقيق : د. محمد بن عودة السعوي / مكتبة العبيكان للنشر – الرياض / الطبعة السادسة 1421هـ / 2000م
١٤ - **تفسير أسماء الله الحسنى** / إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج / تحقيق : أحمد يوسف الدقاق/ دار الثقافة العربية للنشر
١٥ - **تفسير التستري** / أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري / جمعها ابو بكر محمد البلدي / تحقيق : باسل عيون السود / منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة الأولى 1423.
١٦ - **تفسير القران** / أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي / تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم / دار الوطن الرياض –السعودية / الطبعة الأولى 1418 .
١٧ - **تفسير القرآن العظيم** / أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي / تحقيق : سامي بن محمد سلامة / دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية : 1420هـ - 1999 م
١٨ - **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم** / أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم / تحقيق : اسعد محمد الطيب / مكتبة نزار مصطفى الباز للنشر والتوزيع / السعودية ، الطبعة 1419هـ .
١٩ - **تفسير مجاهد** / أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي / تحقيق : محمد عبد السلام ابو النيل / دار الفكر الإسلامي الحديثة للنشر / مصر الطبعة 1410 هـ

٢٠	- **تقريب التدمرية** / محمد بن صالح بن محمد العثيمين / دار ابن الجوزي للنشر / المملكة العربية السعودية ، الدمام / الطبعة الأولى، 1419هـ
٢١	- **تكملة المعاجم العربية** / رينهارت بيتر آن دُوزِي / ترجمه وعلق : محمَّد سَليم النعَيمي ، جمال الخياط / وزارة الثقافة والاعلام / الجمهورية العراقية / 1979 -2000
٢٢	- **التمهيد لشرح كتاب التوحيد** / صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ / دار التوحيد / الطبعة الأولى 1424هـ
٢٣	- **التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية** / الشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد / دار الرشيد للنشر والتوزيع – الرياض / الطبعة الثانية 1416-1995
٢٤	- **التنوير شرح الجامع الصغير** / محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير / تحقيق : د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم / مكتبة دار السلام للنشر الرياض / الطبعة الأولى : 1432 هـ - 2011 م
٢٥	- **تهذيب اللغة** / محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي / تحقيق : محمد عوض مرعب / دار إحياء التراث العربي للنشر – بيروت/ الطبعة 2001م .
٢٦	- **التوقيف على مهمات التعاريف** / زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري / عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة / الطبعة الأولى1410هـ.
٢٧	- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد** / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب / تحقيق : زهير الشاويش / نشر المكتب الإسلامي - بيروت دمشق / الطبعة الأولى 1423.
٢٨	- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** / عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي / تحقيق : عبدالرحمن بن معلا اللويحق / موسسة الرسالة للنشر
٢٩	- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه = صحيح البخاري** / محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي / تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) / الطبعة الأولى 1422هـ/ شرح وتعليق : لمصطفى ديب البغا .

٣٠ - **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** / محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري / تحقيق : عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر عبد السند حسن يمامة / دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الأولى 1422هـ- 2001م

٣١ - **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم** / زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي / تحقيق : شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس / مؤسسة الرسالة للنشر – بيروت / الطبعة السابعة 1422هـ

٣٢ - **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون** / القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ) / عرب عباراته الفارسية : حسن هاني فحص / دار الكتب العلمية للنشر لبنان – بيروت / الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م

٣٣ - **الجامع لأحكام القرآن** / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي / تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش / دار الكتب المصرية – القاهرة / الطبعة الثانية 1384.

٣٤ - **الجامع الكبير – سنن الترمذي** / محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى / تحقيق : بشار عواد معروف / دار الغرب الإسلامي للنشر –بيروت /1998 .

٣٥ - **جمهرة اللغة** / أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي / تحقيق : رمزي منير بعلبكي / دار العلم للملايين –بيروت / الطبعة الأولى 1987 .

٣٦ - **جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة** / احمد عبد الله الغنيمان / رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

٣٧ - **جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية** / أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني / دار الصميعي للنشر (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية) / الطبعة الأولى - 1416 هـ - 1996 م

٣٨ - **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة** / إسماعيل بن محمد بن الفضل بن

علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة / تحقيق : محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي / دار الراية للنشر – السعودية ، الرياض / الطبعة الثانية، 1419هـ - 1999م

٣٩ - **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها** / محمد أحمد الخطيب / مكتبة الأقصى عمان –الأردن / الطبعة الأولى 1404 ، الطبعة الثانية 1406 .

٤٠ - **حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي** / بديع الزمان سعيد النورسي / دار سوزلر للطباعة والنشر / الطبعة الثانية 1988.

٤١ - **حماية الرسول ﷺحمى التوحيد** / محمد بن عبد الله زربان الغامدي / عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية / المدينة المنورة المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى 1423هـ

٤٢ - **دلائل الربوبية** / د.أبو زيد بن محمد مكي / تكوين للدراسات والأبحاث – المملكة العربية السعودية (الخبر) / الطبعة الثاني 1439هـ -2018م

٤٣ - **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين** / محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي / اعتنى بها : خليل مأمون شيحا / دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت – لبنان / الطبعة الرابعة 1425هـ

٤٤ - **ذيل [طبقات الحفاظ للذهبي]** / عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي / تحقيق : الشيخ زكريا عميرات / دار الكتب العلمية للنشر

٤٥ - **الرسالة القشيرية** / عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري / تحقيق : الإمام عبد الحليم محمود ، محمود بن الشريف / دار المعارف للنشر القاهرة .

٤٦ - **الزاهر في معاني كلمات الناس** / محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري / تحقيق : حاتم صالح الضامن ، حاتم صالح الضامن / الطبعة الثانية 1412هـ .

٤٧ - **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** / أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني / مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض / مكتبة المعارف للنشر/ 1422هـ

٤٨ - **سنن ابن ماجه الأرنؤوط** / ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني / شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله ، دار الرسالة العالمية ، ط1 ، 1430.

٤٩ - **سنن أبي داود** / أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني / تحقيق : شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي / دار الرسالة العالمية / الطبعة الأولى 1430هـ

٥٠ - **سنن الدار قطني** / أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني / حققه وضبط نصه وعلق عليه : شعيب الارنؤوط - حسن عبد المنعم شلبي - عبد اللطيف حرز الله - أحمد برهوم / مؤسسة الرسالة / بيروت – لبنان / الطبعة الأولى 1424هـ

٥١ - **السنن الكبرى** / أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي / تحقيق محمد عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية للنشر / بيروت – لبنان الطبعة الثالثة 1424هـ

٥٢ - **السنن الكبرى** / أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي / حققه وخرج أحاديثه : حسن عبد المنعم شلبي / أشرف عليه : شعيب الأرناؤوط ،قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي / مؤسسة الرسالة –بيروت / الطبعة الأولى 1421هـ

٥٣ - **سير أعلام النبلاء** / شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي / دار الحديث- القاهرة / الطبعة الثانية : 1427هـ-2006م

٥٤ - **شرح العقيدة الطحاوية** / صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ) / تحقيق : جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني / دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) / الطبعة المصرية الأولى، 1426هـ - 2005م

٥٥ - **شرح مشكل الآثار** / أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي / تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة / الطبعة الأولى 1415هـ

٥٦	- **شعب الإيمان** / أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي / تحقيق ومراجعة وتخريج الأحاديث : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد / أشرف على التحقيق : مختار أحمد الندوي / مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند / الطبعة الأولى 1423 هـ - 2003 م
٥٧	- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** / نشوان بن سعيد الحميرى اليمني / تحيق : حسين بن عبد الله العمري ، مطهر بن علي الإرياني ، يوسف محمد عبد الله / دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان) / دار الفكر (دمشق - سورية) / الطبعة الأولى 1420هـ
٥٨	- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** / أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي / تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين – بيروت / الطبعة الرابعة 1407 هـ
٥٩	- **صحيحُ ابن خُزَيمة** / أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري / حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أحَاديثه / قدَّم له : محمد مصطفى الأعظمي / الطبعة الثالثة 1424هـ
٦٠	- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** / محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي / تحقيق : شعيب الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة – بيروت / الطبعة الثانية 1414هـ
٦١	- **الصفدية** / تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي / تحقيق : محمد رشاد سالم / مكتبة ابن تيمية للنشر – مصر / الطبعة الثانية 1406هـ
٦٢	- **طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها** / سليمان الحلبي / الدار السلفية للنشر / الطبعة الثانية 1404 هـ
٦٣	- **عقيدة التوحيد في القرآن الكريم** / محمد احمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي / مكتبة دار الزمان للنشر / الطبعة الأولى 1405 هـ
٦٤	- **عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك** / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان .
٦٥	- **العبودية** / تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي

القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي / تحقيق : محمد زهير الشاويش / المكتب الإسلامي – بيروت / الطبعة السابعة 1426هـ

٦٦ – **في ظلال القرآن** / سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي / دار الشروق للنشر – بيروت- القاهرة / الطبعة السابعة عشر 1412هـ

٦٧ – **فتح شرح صحيح البخاري** / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي / دار المعرفة – بيروت /1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي / قام بإخراجه وصححه وأشرف على / طبعه : محب الدين الخطيب / عليه تعليقات العلامة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز

٦٨ – **فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد** / حامد بن محمد بن حسين بن محسن / المحقق : بكر بن عبد الله أبو زيد / دار المؤيد / الطبعة الأولى 1417هـ

٦٩ – **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية** / عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني أبو منصور / دار الآفاق الجديدة للنشر – بيروت / الطبعة الثانية 1977هـ

٧٠ – **فضل الحميد المجيد في فضل وفوائد ومعاني التحميد** / أبو عبد الرحمن سلطان علي / كتيب صغير منشور

٧١ – **قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات** / تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ،تحقيق : أبو محمد أشرف بن عبد المقصود / مكتبة أضواء السلف /1422هـ

٧٢ – **القاموس المحيط** / مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى / تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي / مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت – لبنان / الطبعة الثامنة 1426.

٧٣ – **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا** / سعدي أبو حبيب / دار الفكر دمشق – سورية 1408

٧٤ – **القول المفيد على كتاب التوحيد** / محمد بن صالح بن محمد العثيمين / دار ابن الجوزي للنشر السعودية / الطبعة الثانية 1424هـ

٧٥ - **القول السديد شرح كتاب التوحيد** / أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي / تحقيق : المرتضى الزين أحمد / مجموعة التحف النفائس الدولية الطبعة الثالثة .
٧٦ - **كتاب التعريفات** / علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني / ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر / دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الطبعة الأولى 1403.
٧٧ - **كتاب العين** / أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري / تحقيق مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي / دار ومكتبة الهلال
٧٨ - **كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد** / عمر العرباوي الحملاوي / مطبعة الوراقة العصرية 1404 / أعده للمكتبة الشاملة/ أبو ياسر الجزائري .
٧٩ - **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار** / أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي / تحقيق :كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد – الرياض / الطبعة الأولى 1409 .
٨٠ - **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** / مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة / مكتبة المثنى للنشر- بغداد / تاريخ النشر: 1941م
٨١ - **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** / أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي – بيروت ،ط3 ،1407.
٨٢ - **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** / أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق / تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور / مراجعة وتدقيق : الأستاذ نظير الساعدي / دار إحياء التراث العربي/ بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1422.
٨٣ - **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** / أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي / تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري / مؤسسة الرسالة – بيروت.

٨٤	- **لسان العرب** / محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى / دار صادر – بيروت / الطبعة الثالثة 1414هـ.
٨٥	- **مجمل اللغة لابن فارس** / أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين / دراسة وتحقيق : زهير عبد المحسن سلطان / مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية 1406.
٨٦	- **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار** / جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية / الطبعة الثالثة 1387.
٨٧	- **مجموع الفتاوى** / تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، / تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف / المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية 1416، الطبعة الثالثة / طبعة دار الوفاء في الهامش أضيف كتاب صيانة مجموع الفتاوى من السقط والتصحيف / للشيخ ناصر بن حمد الفهد / نشر: دار أضواء السلف ، الطبعة الأولى : 1423 هـ / 2003 م
٨٨	- **مجموع فتاوى ورسائل العثيمين** / محمد بن صالح بن محمد العثيمين فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان / دار الوطن - دار الثريا الطبعة الأخيرة 1413.
٨٩	- **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث** / أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني / تحقيق : عبد الكريم العزباوي / جامعة أم القرى - مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي / كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة / دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع ، جدة - المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى (1406 هـ - 1986 م) ج1 ، (1408 هـ - 1988 م) ج2-3
٩٠	- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** / أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي / تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد / دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة الأولى 1422.
٩١	- **المحكم والمحيط الأعظم** / أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي / تحقيق عبد الحميد هنداوي / دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة الأولى 1421.
٩٢	- **مختار الصحاح** / زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي

/ تحقيق : يوسف الشيخ محمد / المكتبة العصرية – الدار النموذجية ، بيروت – صيدا / الطبعة الخامسة 1420.

٩٣ – **المخصص** / أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي / تحقيق : خليل إبراهيم جفال / دار إحياء التراث العربي – بيروت / الطبعة الأولى 1417.

٩٤ – **المعجم الكبير** / سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني / تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي / دار الصميعي للنشر – الرياض / الطبعة الأولى 1415 هـ – 1994 م / مكتبة ابن تيمية للنشر – القاهرة / الطبعة الثانية .

٩٥ – **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات** / محمد بن خليفة بن علي التميمي / أضواء السلف للنشر ، الرياض، المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى 1419هـ/1999م

٩٦ – **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى** / أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي / تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي / الجفان والجابي للنشر – قبرص / الطبعة الأولى 1407 – 1987

٩٧ – **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية / تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي / دار الكتاب العربي للنشر – بيروت / الطبعة الثالثة، 1416 هـ – 1996م

٩٨ – **مذكرة التوحيد** / عبد الرزاق عفيفي / وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى 1420.

٩٩ – **مسند الإمام أحمد بن حنبل** / أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني / تحقيق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون / ارشاد : عبد الله بن عبد المحسن التركي / مؤسسة الرسالة للنشر / الطبعة الأولى 1421هـ

١٠٠ – **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار** / أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار / تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله – عادل بن سعد – صبري عبد الخالق الشافعي / مكتبة العلوم والحكم للنشر – المدينة المنورة / الطبعة الأولى 2009م

١٠١	**مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)** / أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي / تحقيق: حسين سليم أسد الداراني / دار المغني للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى 1412.
١٠٢	**المستدرك على الصحيحين** / أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية للنشر – بيروت / الطبعة الأولى 1411 - 1990
١٠٣	**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ** / مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري / تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٠٤	**مشكاة المصابيح** / محمد بن عبد الله الخطيب العمري / أبو عبد الله ولي الدين التبريزي / تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني / المكتب الإسلامي – بيروت / الطبعة الثالثة 1985.
١٠٥	**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** / أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس / المكتبة العلمية – بيروت .
١٠٦	**معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول** / حافظ بن أحمد بن علي الحكمي / تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر / دار ابن القيم – الدمام / الطبعة الأولى 1410 هـ.
١٠٧	**معاني القرآن وإعرابه** / إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج / تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي / دار عالم الكتب للنشر – بيروت / الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م
١٠٨	**معجم ديوان الأدب** / أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي / تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر / مراجعة : دكتور إبراهيم أنيس / طباعة مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة / عام : 1424 هـ - 2003 م
١٠٩	**معجم اللغة العربية المعاصرة** / أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل / عالم الكتب / الطبعة الأولى 1429هـ

١١٠	**معجم الفروق اللغوية** / أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري / تحقيق : الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» / الطبعة الأولى 1412هـ.
١١١	**معجم مقاييس اللغة** / أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين / تحقيق : عبد السلام محمد هارون / دار الفكر 1399.
١١٢	**معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم** / عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) / تحقيق : أ. د محمد إبراهيم عبادة / مكتبة الآداب للنشر - القاهرة / مصر / الطبعة الأولى 1424هـ - 2004
١١٣	**معالم التنزيل في تفسير القرآن** / أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي / تحقيق : عبد الرزاق المهدي / دار إحياء التراث العربي للنشر –بيروت / الطبعة الأولى 1420 هـ
١١٤	**مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"** / أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي / دار إحياء التراث العربي – بيروت / الطبعة الثالثة 1420.
١١٥	**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية / دار الكتب العلمية – بيروت
١١٦	**المفردات في غريب القرآن** / أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى / تحقيق : صفوان عدنان الداودي / دار القلم للنشر / الدار الشامية - دمشق بيروت / الطبعة الأولى 1412.
١١٧	**المفيد في مهمات التوحيد** / عبد القادر بن محمد عطا صوفي / دار الاعلام ، الطبعة الأولى 1423.
١١٨	**الملخص في شرح كتاب التوحيد** / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان / دار العاصمة الرياض / الطبعة الأولى 1422.
١١٩	**الملل والنحل** / أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني / مؤسسة الحلبي .

١٢٠	**المنهاج القويم** / أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري شهاب الدين شيخ الإسلام أبو العباس / دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى 1420 .
١٢١	**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** / الندوة العالمية للشباب الإسلامي / إشراف وتخطيط ومراجعة : مانع بن حماد الجهني / دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الرابعة 1420 .
١٢٢	**النكت والعيون** / أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي / تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم / دار الكتب العلمية للنشر - بيروت / لبنان
١٢٣	**نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - ﷺ** / عدد من المختصين بإشراف الشيخ : صالح بن عبد الله بن حميد / دار الوسيلة للنشر والتوزيع / جدة الطبعة الرابعة .
١٢٤	**النهاية في غريب الحديث والأثر** / مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير / تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي/ المكتبة العلمية - بيروت 1979 .
١٢٥	**نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسُّنَّة** / سعيد بن علي بن وهف القحطاني / مطبعة سفير الرياض / مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض
١٢٦	**الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه** / أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي / تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة / بإشراف : الشاهد البوشيخي ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة/ الطبعة الأولى 1429.
١٢٧	**الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية** / (شرح حدود ابن عرفة للرصاع محمد بن قاسم الأنصاري أبو عبد الله الرصاع التونسي المالكي / المكتبة العلمية / الطبعة الأولى 1350 .
١٢٨	**وجاء دور المجوس الابعاد التاريخية والعقائد السياسية للثورة الايرانية** / عبد الله محمد الغريب / مكتبة الرضوان / الطبعة الأولى 1426.

١٢٩ -**الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** / أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري الشافعي / تحقيق : صفوان عدنان داوودي / دار القلم للنشر / الدار الشامية – دمشق–بيروت / الطبعة الأولى 1415.

سادسا : فهرس المحتويات